قسم اللغة الفارسية وآدابها

مقرر

تاريخ وحضارة إيران من السلاجقة إلى الجمهورية الإسلامية بنصوص فارسية

الفرقة الثالثة فارسي

أستاذ المقرر

د. صديق محمود حسن إبراهيم

قسم اللغة الفارسية وآدابها- كلية الآداب بقنا

العام الجامعي ٢٠٢٢/٢٠٢٣م

بيــانــات أساسية

الكلية: الآداب

الفرقة: الثالثة فارسي

التخصص: اللغة الفارسية

عدد الصفحات: ٢٦٣ صفحة

القسم التابع له المقرر: قسم اللغة الفارسية وآدابها .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة........................	٥-٦
القسم الأول: تاريخ إيران من السلاجقة إلى الجمهورية الإسلامية	٧- ٢١٦
الباب الأول: تاريخ إيران من السلاجقة وحتى التيموريين (إيران السنية)........	٨- ١٠٨
الفصل الأول: الدولة السلجوقية	٩- ٤٥
الفصل الثاني: الخوارزميون والمغول	٤٦- ٨٠
الفصل الثالث: الإيلخانيون والجلائريون والتيموريون	٨١- ١٠٨
الباب الثاني تاريخ إيران من الصفويين إلى الجمهورية الإسلامية (إيران الشيعية)	١٠٩- ٢١٦
الفصل الأول: الدولة الصفوية	١١٠- ١٢٧
الفصل الثاني: الأفشاريون والزنديون	١٢٨-١٤٩
الفصل الثالث: الدولة القاجارية	١٥٠- ١٧٣
الفصل الرابع: الدولة البهلوية	١٧٤- ٢٠٢
الفصل الخامس: الجمهورية الإسلامية	٢٠٣-٢١٦
القسم الثاني: النصوص الفارسية........................	٢١٧- ٢٥٥
أولًا: إيران من السلاجقة إلى التيموريين	٢١٧- ٢٣٤
ثانيًا: إيران من الصفويين إلى الجمهورية الإسلامية	٢٣٥- ٢٥٦
قائمة المصادر والمراجع	٢٥٧- ٢٦٣

مقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم.

يسعدني أن أقدم لدارسي اللغة الفارسية وآدابها والمهتمين بها هذا العمل المتواضع المبسط، والذي حاولت فيه تقديم تاريخ إيران من عصر السلاجقة إلى الجمهورية الإسلامية بشكل مختصر، وأسلوب سهل سلس بعيد عن الغموض والإبهام، وقد سبقني فى هذا المضمار نخبة كبيرة من أساتذتنا الإجلاء كان لهم دورهم البارز، وإسهاماتهم القيمة في هذا السبيل، فأناروا لنا الطريق، وعلى هداهم نسير .

ينقسم الكتاب إلى قسمين: على النحو التالي :

مقدمة

القسم الأول: تاريخ إيران من السلاجقة إلى الجمهورية الإسلامية

الباب الأول : تاريخ إيران من السلاجقة وحتى التيموريين (إيران السنية):

الفصل الأول: الدولة السلجوقية

الفصل الثاني : الخوارزميون والمغول

الفصل الثالث : الإيلخانيون والجلائريون والتيموريون

الباب الثاني: تاريخ إيران من الصفويين إلى الجمهورية الإسلامية (إيران الشيعية)

الفصل الأول: الدولة الصفوية

الفصل الثاني: الأفشاريون والزنديون

الفصل الثالث : الدولة القاجارية

الفصل الرابع: الدولة البهلوية

الفصل الخامس: الجمهورية الإسلامية

القسم الثاني: النصوص الفارسية

أولًا: إيران من السلاجقة إلى التيموريين

ثانيًا: إيران من الصفويين إلى الجمهورية الإسلامية.

وأرجو من الله العزيز القدير أن أكون قد وفقت فيما قمت به من عمل ، وعلى الله قصد السبيل وهو الموفق والمعين .

القسم الأول

تاريخ إيران من السلاجقة إلى الجمهورية الإسلامية

الباب الأول

تاريخ إيران من السلاجقة وحتى التيموريين

(إيران على المذهب السنّي)

الفصل الأول

الدولة السلجوقية

الدولة السلجوقية

قامت دولة السلاجقة العظمى بدور تاريخي حاسم في القرنين الخامس والسادس الهجريين، فقد نجحت تلك الدولة الإسلامية في حفظ سلطان الدولة العباسية السنية أمام منازعة الدولة الفاطمية الشيعية لها في مصر والشام، وخلصتها من سطوة البويهيين الشيعة الذين جثموا على صدور العباسيين، وسيطروا عليهم مستغلين حالة ضعفهم، كما ساهمت في توجيه الأحداث السياسية في المشرق الإسلامي بشكل بارز، وفي رسم سياسة توسعية باتجاه العالم المسيحي؛ لنشر العقيدة الإسلامية، وشكلت حصنًا منيعًا أمام الغزوات الصليبية الغربية، ولقنت دروسًا عظيمة للجيوش البيزنطية ومرتزقتها، واستمرت كذلك لعقود إلى انهيارها، ويكفي دلالة على دورها المصيري، النظر إلى تاريخ أول حملة صليبية على بلاد المسلمين في الشرق، حيث انطلقت في عام ٤٩١هـ بأوامر من البابا "أوربان الثاني" في كليرمونت جنوب فرنسا لانتزاع القدس وعموم الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين وذلك بعد نحو ٦ سنوات من وفاة سلطان السلاجقة ملكشاه بن ألب أرسلان في عام ٤٨٥هـ، أي بعد أن دخلت الدولة السلجوقية في مرحلة الانهيار والتنازع والانقسام مباشرة بعد وفاته. كما لا ننسى إنجازات الدولة السلجوقية الفكرية وتقدمها في كثير من علوم الحضارة، وازدهار الحركة العلمية في عصرها حيث نشط العلماء في دحض شبهات الفرق الشاذة والمنحرفة والمبتدعة كالرافضة والإسماعيلية بالتوازي مع الجهود العسكرية في القضاء عليهم، مما ساهم في تقوية صف أهل السنة . كما لمعت خلال

حكمهم نجوم أسماء العديد من العلماء منهم أبو إسحاق الشيرازي وأبو حامد الغزالي وعبد الملك الجويني وغيرهم .

بلغ أكبر امتداد لدولة السلاجقة العظام في عصرها الذهبي في عصر السلطان ملكشاه، حيث حكم السلاجقة من حدود الصين شرقًا إلى البحر المتوسط غربًا، وضمت أقاليم ما وراء النهر وإيران وآسيا الصغرى والعراق والشام، وخضع لها قياصرة الروم، فدفعوا الجزية المفروضة عليهم بشكل سنوي دون إخلاف أو تسويف، لكن كثرة التنازع على الملك بعد وفاة ملكشاه تسببت في تقلص رقعة الدولة السلجوقية وانقسامها.

انقسم السلاجقة إلى عدة فروع رئيسة، وهي:

أ- السلاجقة العظام: وهم طغرل بك، وألب أرسلان، وملكشاه، حيث استقرت وازدهرت الدولة في عصورهم، وأضاف لهم بعض المؤرخين أبناء ملكشاه بركياروق ومحمد وسنجر، رغم كثرة التنازع في عصرهم، وتسلل الضعف لأركان الدولة، وحكموا منذ عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م إلى عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م.

ب- سلاجقة العراق: وهم أمراء السلاجقة الذين سيطروا على العراق والري وهمدان وكردستان، واستمر نفوذهم من عام٥١١هـ/١١١٧م إلى عام ٥٩٠هـ /١١٩٤م، وانتهى عصرهم بتمكن الخوارزميين من القضاء عليهم .

جـ- سلاجقة كرمان: تركز نفوذهم في الجنوب الشرقي لفارس، وفي بعض مناطق الوسط سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، واستمر حتى سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وانتهى عصرهم بقضاء التركمان عليهم .

د- سلاجقة الشام: تمركز نفوذهم في المناطق التي استولى عليها السلاجقة من الفاطميين أو الروم في الجزيرة والشام، وانتهى نفوذهم سنة٥١١هـ/ ١١١٧م على أيدي أتابكة الشام والجزيرة .

هـ- سلاجقة الروم: تمركز نفوذهم في أراضي الروم التي فتحها السلاجقة في آسيا الصغرى، واستمر نفوذهم حتى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م، وانتهى عصرهم بصعود العثمانيين الذين قضوا عليهم .

ظهور السلاجقة :

الدولة السلجوقيَّة أو دولة بني سلجوق أو دولة السَّلاجقة العظام- يُطلَق عليها الاسم الأخير لتمييزها عن دول السَّلاجقة اللاَّحقة التي ظهرت بعد تفكّكها وانهيارها-، هي واحدة من الدول الكبرى في تاريخ الإسلام، وإقليم وسط آسيا، وقد لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ الدولة العباسية، والحروب الصليبية والصراع الإسلامي البيزنطي، وتأسَّست على يد سلالة السَّلاجقة .

ينحدر السلاجقة من قبيلة "قِنِق" التركمانية التي تنتمي بدورها إلى مجموعة أتراك الأوغوز، وتشكل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى من القبائل التركمانية ما يعرف بقبائل "الغز"، وكانت مواطنهم الأولى في منطقة ما وراء النهر (تركستان اليوم)، وهي مساحة ممتدة من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقًا إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غربًا، ومن سهول سيبيريا شمالًا إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبًا .

تحركت تلك القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي باتجاه آسيا الصغرى في أسراب ضخمة مهاجرة، واختلفت الروايات التاريخية

في تحديد سبب تلك الهجرة، فمنها من أرجعتها لأسباب اقتصادية بحثًا عن مصادر للعيش الكريم، ومنها من فسرتها بأسباب سياسية، بحثًا عن الاستقرار والأمن. واستمرت تلك القبائل المهاجرة في التوجه غربًا، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون، ثم استقرت لبعض الوقت في طبرستان، وجرجان، فأصبحت بمحاذاة الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند(٢١هـ-٦٤١م) التي أزالت الدولة الساسانية ببلاد فارس.

بدأت قصة ظهور السلاجقة من جدهم "دقاق" الذي كان وأفراد قبيلته في خدمة أحد ملوك الترك، والذي كان يعرف باسم "بيغو"، وكان "دقاق" في هذه المرحلة من تاريخ السلاجقة بمثابة شيخ ومقدم قبائل الأتراك الغز، مرجعهم إليه، لا يخالفون له قولاً، ولا يتعدون له أمرًا، وانخرط "سلجوق بن دقاق" في خدمة(بيغو) كما كان والده من قبل، حيث كان يشغل وظيفة عسكرية مهمة -مقدم الجيش-، وفي هذا الوقت ظهرت عليه إمارات القيادة الفذة حتى أن زوجة الملك أخذت تثير مخاوف زوجها منه؛ لما رأت من حب الناس له، وانصياعهم إليه، وأوغرت صدره عليه لكي يقتله فلا ينافسه في يوم ما، خاصة مع ازدياد شعبية "سلجوق"، وإقبال الناس عليه، فبلغ مسامع الأخير الخبر، فارتحل بجماعته وكل من يطيعه من دار الكفر إلى دار الإسلام، وأقام بنواحي "جند" قريبًا من نهر سيحون، حيث اعتنق "سلجوق" الإسلام، وأعلن الجهاد ضد الكفار الترك. واستمر سلجوق كذلك إلى أن توفي في "جند"، فأكمل أولاده مسيرته من بعده في غزو الترك الوثنيين، وحماية ثغور المسلمين، وقد تمرسوا في فنون القتال والغزو، فازدادت قوتهم، وتوسعت أراضيهم، وكسبوا احترام الحكام المسلمين

المجاورين لهم، فقد غزا "ميكائيل بن سلجوق" بعض بلاد الكفار من الترك، فقاتل حتى استشهد في سبيل الله، ولا شك أنه في مقابل تلك الانجازات كان هناك التضحية والصبر والإصرار الذي غذّى الرغبة في إقامة دولة لهم، وهذا ما تحقق فعليًا في عام ٤٢٩هـ.

انهيار الدولة الغزنوية وقيام دولة السلاجقة :

في بداية القرن الخامس الهجري كانت قوة السلاجقة قد بدأت تتعاظم في بلاد ما وراء النهر، مما آثار مخاوف السلطان محمود الغزنوي، وقرر في عام ٤١٥هـ كبح جماح السلاجقة، فعبر نهر جيحون لقتالهم، ونجح في القبض على زعيمهم "أرسلان"، وولده "قتلمش"، وعدد من كبار أصحابه، ثم بعث "أرسلان" إلى الهند، وسجنه هناك حيث مات في السجن بعد سبع سنوات، وفي عام ٤١٩هـ خرج السلطان محمود لقتال السلاجقة مرة أخرى بناء على التماس سكان مدينتي(نسا) و(باورد)، فأنزل بهم هزيمة ساحقة حفظت سلطان دولته من تهديد دولة ناشئة .

لم يهدأ السلاجقة بعد الهزيمة التي نالت منهم على يد الغزنويين، فظلوا يتحينون الفرصة للثأر، ونالوا مرادهم بعد وفاة السلطان محمود، وتولّي ابنه مسعود مهام السلطنة عام ٤٢١هـ، فأحرزوا انتصارات كبيرة على جيوشه، ومع ذلك عرضوا عليه الصلح، والدخول في طاعته، فقبل منهم، ومنح زعماءهم الإمارات والولايات، وكان سخيًا جوادًا معهم، ولكن في الوقت ذاته دفعته المخاوف من ازدياد قوتهم إلى تكليف عامله على خراسان سنة ٤٢٩هـ بقتالهم، فدارت الحرب بين الطرفين قرب مدينة سَرخس، وانتهت

بانتصار السلاجقة، وتحول السلاجقة في نفس العام بقيادة زعيمهم طغرل بك نحو نيسابور، حيث بسط نفوذه عليها، وأعلن نفسه سلطانًا على السلاجقة، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي عام٤٢٩هـ، فاستثار هذا التصرف السلطان مسعود الذي زحف بجيوشه نحو خراسان، واشتبك مع السلاجقة في معركة حاسمة في مكان يعرف بـ "دَنَدانقان"، وكانت هذه المعركة إحدى المعارك الكبرى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، ونقطة النهاية لدولة الغزنويين، حيث هزموا فيها هزيمة كبيرة عام٤٣٢هـ، وهزم مسعود نفسيًا وعسكريًا، فلم يقدم على أية مقاومة، وانسحب تمامًا إلى الهند، وقد قُتل مسعود في العام نفسه، فخلفه ابنه مودود. وقد أصبح السلاجقة بعد معركة دَنَدانقان أكبر قوة في خراسان، وضعف الغزنويون ضعفًا شديدًا بعد أن فقدوا غالبية جيوشهم، وخسروا العديد من ممتلكاتهم، وانتهى اسم الدولة الغزنوية بعد أن استولى الغوريون في أفغانستان على أملاكها في الهند عام٥٨٢هـ[1].

اقتسمت العشائر السلجوقية، الأراضي التي استولوا عليها، فكان نصيب "داوود چغري بك" مدينة مرو، فاستقر بها، واتَّخذها عاصمة لملكه، كما ملك أكثر خراسان، وكان نصيب "أبي علي الحسن بن موسى"، ولاية بُست وهراة وسجستان وما يجاور ذلك من النواحي. وأخذ "قاورد"- أكبر أبناء چغري-، ولاية طبس ونواحي كرمان، وحصل "إبراهيم ينال" على همدان، كما حصل "ياقوتي" على أبهر، وزنجان، ونواحي آذربايجان، وكان من نصيب "قُتُلمش بن إسرائيل" جرجان ودامغان. والواقع أن فكرة التقسيم هذه تتعارض مع الفكرة الإيرانية عن الملك بوصفه صاحب السلطة المطلقة في

(1) انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ط١- القاهرة٢٠٠٦م، ص١٧- ٢٤

الدولة، وهي غريبة على السلاجقة الأوائل، إلا أن المسئولين السلاجقة هدفوا من وراء ذلك إلى إحاطة السلطنة الغزنوية، ومنعها من محاولة استعادة خراسان، ثم تأمين فتح طريق جيحون من أجل قدوم مهاجرين غز جدد .

١- طغرل الأول مؤسس الدولة السلجوقية وأول حكامها:

كان انتصار السلاجقة في معركة "سرخس" عام٤٢٩هـ/١٠٣٧م النقطة الفاصلة في تاريخهم، والبداية الفعلية لقيام دولتهم في خراسان؛ حيث اجتمعوا على زعامة "طغرل بك"، الذي أعلن نفسه سلطانًا على السلاجقة، وباشر مهامه السياسية والقيادية والإدارية لأول مرة في ذلك العام، وبعد انتصار السلاجقة في معركة دَنَدانقان دخل طغرل بك نيسابور أواخر عام٤٣١هـ وأوائل٤٣٢هـ، وقد ازدادت قوة السلاجقة عقب تلك الانتصارات، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون، وجددوا العهد لـ" طغرل بك" كقائد أعلى لجيوشهم، وسلطانًا على دولتهم، رغم أن أخاه "داوود چغري بك" كان أكبر منه سنًا، لكن "طغرل" تميز بشجاعته النادرة، وقوة شخصيته، مع تدين ملحوظ، وذكاء حاد، وكلها صفات رجحت كفته، وهكذا قامت دولة السلاجقة .

بعد أن وطّد "طغرل بك" أركان دولته، وأرسى قواعدها، لم يبق سوى الحصول على اعتراف من الخليفة به؛ ليكسب سلطته الصفة الشرعية في أعين المسلمين، لذلك أنفذ في عام ٤٣٢هـ رسالة إلى الخليفة العباسي "القائم بأمر الله" تضمنت ولاء السلاجقة له، وتأكيد تمسكهم بالدين الإسلامي، والتزامهم بالجهاد في سبيل الله، وحبهم للعدل، والتماسهم الحصول على اعتراف الخليفة بقيام دولتهم. وكان السلاجقة في أشد الحاجة للدعم المعنوي

من الخليفة العباسي صاحب النفوذ الروحي على العالم الإسلامي السني، وقد اعترف به الخليفة العباسي في عام٤٣٢هـ، وإن جاء الاعتراف متأخرًا، إلا أنه يبقى اعترافًا شكليًا؛ كون الخلافة في ذلك الزمان كانت تعاني الضعف، ولا تملك قوة مادية تسمح بفرض أي قرار، وهذا ما يجعل الخليفة يعترف بالسلطان المنتصر والدولة المنتصرة سواء أراد ذلك أو لم يرده، فهو خاضع للأقوى .

جهود السلطان طغرل لتوسيع رقعة الدولة السلجوقية :

بعد أن اطمأن طغرل بك – أول سلاطين السلاجقة– على دولته إثر اعتراف الخليفة العباسي بها، وتوجه أمراء السلاجقة كل إلى المنطقة المخصصة له، شرع في تنفيذ ما تبقى من خطته الرامية إلى إتمام سيطرة السلاجقة على بلاد فارس، ومن ثم التوجه منها للسيطرة على العراق، فتحرك في عام ٤٣٣هـ رأس جيش كبير من أجل تحقيق ذلك الهدف .

القضاء على دولة الديالمة الشيعية :

كان الديالمة يسيطرون آنذاك على معظم أجزاء بلاد فارس والعراق، ولكنهم مع ذلك كانوا في نزاع مستمر، مما أضعفهم، وسهّل على السلطان السلجوقي–طغرل بك– التغلب عليهم، وإنهاء حكمهم، فقد كان النصر حليفه في جميع حروبه معهم، والتي انتهت بسيطرته على بلاد فارس والعراق، فقد بدأ طغرل بك بالهجوم أولاً على جرجان وطبرستان؛ من أجل القضاء على حكم "أنوشروان" الزياري الديلمي، الذي كان يسيطر على هذين الإقليمين، وإدراكًا من الأخير لقوة السلاجقة، وأنه لا طاقة له بقتال طغرل بك، قرر

الخضوع له، وأعلن تعهده بطاعته، وبذلك ضم طغرل هذين الإقليمين إلى دولة السلاجقة، وأزال حكم الزياريين الديالمة، حيث تمكن من دخول أصفهان عاصمة الديالمة في عام٤٣٣هـ/١٠٤٢م، وعين عليها واليًا من قبله، فكان هذا إيذانًا بسقوط الدولة الزيارية، وانتهاء نفوذها في بلاد فارس.

ضم خوارزم وما جاورها من بلاد ما وراء النهر ووسط فارس:

اتجه طغرل بك بعد ذلك إلى خوارزم لفتحها، وذلك في عام ٤٣٤هـ، وما إن تم له ذلك حتى سيطر على ما جاورها من المناطق، فأصبح السلاجقة أكبر قوة في بلاد فارس وما وراء النهر، وكان هذا سببًا في مسارعة حكام الأقاليم إلى إعلان طاعتهم وولائهم لهم، وموافقتهم على دفع إتاوة سنوية. كل هذا أتاح الفرصة أمام طغرل بك للتوجه إلى وسط بلاد فارس، وغزو مدينة الري، والتي فتحها في العام نفسه، واتخذ منها عاصمة له، ومقرًا لحكومته .

كان لهذه الانتصارات التي حققها السلاجقة بزعامة السلطان طغرل بك في بلاد فارس وفي ما وراء النهر انعكاساتها على الخليفة العباسي القائم بأمر الله في بغداد، فما كان منه إلا أن بعث رسولاً من قبله إلى مدينة الري يحمل رسالة منه للسلطان السلجوقي يدعوه فيها لزيارة بغداد. أبلغ مبعوث الخليفة العباسي السلطان السلجوقي بأن الخليفة قد سُرَّ برسالة السلاجقة إليه كثيرًا، وردَّ عليها برد حسن تضمن موافقته على قيام دولة السلاجقة، وأن الخليفة يسره أن يستقبل سلطان السلاجقة في بغداد عاصمة الخلافة كضيف عزيز كريم، واستقبل السلطان طغرل بك مبعوث الخليفة أحسن استقبال،

ورحب بدعوة زيارة بغداد، ووعد بالقيام بها في الوقت المناسب، وظل مبعوث الخلافة في الري مدة ثلاث سنوات لمرافقة طغرل بك عند توجهه لزيارة بغداد، ولكنه اضطر إلى الرجوع بمفرده إلى بغداد، بعد أن أكد له طغرل بك حرصه على هذه الزيارة، وأنه سوف يلبيها بعد فراغه من غزو الأقاليم الغربية والجنوبية من بلاد فارس.

كان طغرل بك قد أرسل أخاه من أمه "إبراهيم ينال" إلى همدان والأجزاء الغربية المجاورة لها؛ لتثبيت نفوذ السلاجقة فيها، فتوجه إليها عام ٤٣٧هـ، وهناك حدثته نفسه بالتمرد، واتخاذها قاعدة له، مما اضطر طغرل إلى التوجه نحوه بنفسه وذلك عام ٤٤١هـ، وما إن اقترب من همدان حتى أرسل إلى أخيه يطلب منه تسليمه القلاع التي تحت يديه، غير أنه رفض ذلك، فهاجمه طغرل بك، وانتصر عليه، ثم عفا عنه بعد أن استسلم له، ولم يعاقبه على تمرده .

ضم أقاليم بلاد فارس :

بعد أن فرغ السلاجقة من بسط سيطرتهم على الأقاليم الشرقية من بلاد فارس، أخذ طغرل بك يبسط سيطرته على أقاليمها الغربية، فنجح في ذلك دون عناء كبير؛ نظرًا لضعف أمراء الديلم هناك، فخضعت له قزوين وأبهر وزنجان وهمدان وآذربايجان، ودان له حكامها بالطاعة والولاء، بعدها أرسل جيشًا لفتح كرمان التي خضعت له في شهر محرم منذ عام ٤٤٣هـ، وبخضوعها انتهت دولة الديالمة في تلك المنطقة، وكان طغرل بك قد حاول استغلال الوقت أثناء حصار جيشه لأصفهان، فأرسل جزءً منه لفتح إقليم

فارس وما جاورها، فتمت له بذلك السيطرة التامة على المنطقة الجنوبية من بلاد فارس، بعد ذلك توجه طغرل بك بجيشه لتفقد المناطق الشمالية الغربية من بلاد فارس، وتوطيد سيطرة السلاجقة عليها، فسار في عام ٤٤٦هـ إلى إقليم آذربايجان، ودخل عاصمته تبريز، وشمل نفوذه جميع أجزاء آذربايجان، فضلًا عن بعض أجزاء من بلاد الروم بآسيا الصغرى والمتاخمة لآذربايجان، بعدها عاد إلى عاصمته الري عام ٤٤٧هـ، وهكذا شمل نفوذ السلاجقة أكثر أجزاء بلاد فارس، فضلاً عن أجزاء من الدول المجاورة لها، وبهذا أصبح طغرل بك مستعدًا لدخول بغداد عاصمة الخلافة وتلبية دعوة الخليفة، وبعد ذلك سيطر السلاجقة على معظم أنحاء العراق .

ضم ديار بكر وأصفهان:

استمر طغرل في تفقده للأقاليم التابعة لدولة السلاجقة غربي بلاد فارس من أجل إحكام سيطرته عليها، كما استطاع أن يبسط نفوذه على ديار بكر بعد أن وافق حاكمها نصر الدولة بن مروان على ذكر اسمه في الخطبة، وإعلان طاعته وولائه للسلاجقة وفي عام٤٤١هـ/١٠٤٩م، توجه طغرل بك نحو أصفهان التي كان قد حاصرها عام٤٣٨هـ/١٠٤٦م، فحاصرها وفيها حاكمها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة، وضيَّق عليه كثيرًا لكنه لم يوفق في ذلك، ولكن في النهاية تم الصلح بين الطرفين على مال يقدمه فرامرز بن علاء الدولة لطغرل بك، فضلا عن الخطبة له في أصفهان.

التوسع نحو الأناضول :

قام "إبراهيم ينال" بغزو الروم في عام ٤٤٠هـ، فانتصر عليهم، وغنم مغانم كثيرة، ويرجع السبب في ذلك أن جموعًا كثيرة من الغز فيما وراء النهر قد جاءوا إليه بغية الاستقرار في بلاده، ولكنه رفض ذلك، معللًا ذلك بأن بلاده ومصادرها تعجز عن حاجتهم، ونصحهم بالتوجه إلى غزو الروم، والجهاد في سبيل الله، فضلًا عن حصولهم على الغنائم، كما أخبرهم أنه سيلحق بهم ويساعدهم، فاستجابوا له، وساروا أمامه فتبعهم، فلما بلغوا "ملاذكرد" و"أردن الروم" و"قاليقلا" و"طرابزون" واجهوا جيشًا كبيرًا من الروم والأبخاز،–تذكر المصادر أن تعداده بلغ ثمانية وخمسون ألفًا– فدار بينهم قتال شديد تبادل فيه الفريقان النصر والهزيمة، وكان النصر في النهاية حليف المسلمين، وقتلوا عددًا كبيرًا من الروم، وأسروا العديد منهم بينهم كثير من البطارقة، وكان من بين الأسرى "قاريط" ملك الأبخاز الذي افتدى نفسه بثلاثمائة ألف دينار، وبهدايا قُدر ثمنها بمائة ألف، ولكن لم يقبل ذلك منه، ومع ذلك فقد استمر إبراهيم ينال في غزو ونهب تلك البلاد، ولم يبق بينه وبين القسطنطينية سوى مسيرة خمسة عشر يومًا، ونتيجة لهذه الغارات والغزوات غنم المسلمون الكثير، وسبوا ما يزيد على مائة ألف رأس، وما لا يحصى من البغال والدواب والأموال، وكان لهذه الغزوة آثار كبيرة، فقد ألحق السلطان طغرل بك بالروم خسائر كبيرة بما قام به من نهب وقتل وأسر، وبعد ذلك توجه إلى الري، وأقام بها حتى حلول ٤٤٧هـ، وعاد بعدها إلى العراق. وقد استفادت دولة السلاجقة كثيرًا من تلك الانتصارات، فأضحت في عام ٤٤٧هـ أكبر قوة في العالم الإسلامي، وكان السلاجقة حينها قد بسطوا

حكمهم على بلاد فارس، وتغلبوا على الغزنويين والبويهيين، وتوغلوا داخل الأراضي البيزنطية، وقاتلوا جيش الروم، فكانت تلك التطورات دفعة أمل كبيرة، ورد اعتبار للعالم الإسلامي بعد امتهان الروم للخلافة العباسية الضعيفة .

دخول طغرل بك بغداد وبداية نفوذ السلاجقة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م

فتنة البساسيري في العراق ٤٥٠هـ:

كان البساسيري من القادة المقربين من الخليفة العباسي، إلا أن الدعوة الفاطمية تغلغلت بين الناس، وأثرت في بعض الأعيان القادة، وممن تأثر بهذه الدعوة قائد الجند التركي أبو الحارث أرسلان البساسيري، فأصبح يراسل الفاطميين، ويعمل على قلب نظام الحكم في بغداد لصالح الدولة الفاطمية، وتدهورت العلاقات بين الخليفة العباسي والبساسيري حينما علم بالاتصالات السرية التي كانت تجري بين الخليفة القائم بأمر الله والسلاجقة، وبخاصة مكاتبة الخليفة لهم بالمسير إلى العراق، فترك البساسيري بغداد وسار إلى واسط، فانتهز وزير الخليفة الفرصة وأخذ يوغر صدر الخليفة القائم بأمر الله على البساسيري، وأخبره بأن البساسيري يراسل أعداء الخلافة، ويعمل على خلعه من الخلافة. وفي الوقت نفسه حرض الأتراك والعامة على الاعتداء على أملاك البساسيري في بغداد بعدما ظهرت ميوله الشيعية، وظهرت نواياه السيئة تجاه الخلافة العباسية وأهل السنة، فقاموا بنهب داره والاستيلاء على ممتلكاته سنة ٤٤٧هـ، وفضلاً عن ذلك، أخذ الوزير يؤلب الأترك البغداديين على قائدهم البساسيري، واتهامه بأنه المتسبب في نقص رواتبهم وسوء

أحوالهم، فسار جماعة منهم إلى الخليفة القائم بأمر الله، واستأذنوه في نهب دور البساسيري، فلما تأكد من صحة ما نسب إليه أذن لهم في ذلك، خاصة بعد أن جاء إليه طائفة من الأتراك من أصحاب البساسيري بواسط وأخبروه بما عزم من نهب دار الخلافة، والقبض على الخليفة. وبفضل جهود السلاجقة، تخلصت الخلافة العباسية من النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق، فقد نشب نزاع داخلي في الدولة البويهية كان في صالح السلاجقة الذين استنجد بهم الخليفة العباسي "القائم بأمر الله" في عام ٤٤٧هـ، بعد أن سيطر البساسيري–أكثر الرجال نفوذًا في الدولتين البويهية والعباسية آنذاك– على الدولة، وصار يهدد وجود الخلافة العباسية، فقد أدى خروج إبراهيم ينال على طاعة أخيه، ومسير طغرل بك في أثره لمحاربته، إلى خلو بغداد من الحامية السلجوقية، مما أتاح للبساسيري الفرصة للاستيلاء على حاضرة الخلافة العباسية، والخطبة فيها للفاطميين، فزحف إليها على رأس أربعمائة فارس، حاملاً الرايات الفاطمية التي طرزت باسم "الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين"، وأقيمت الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي بجامع المنصور. سار طغرل بك إلى بغداد، وأمر الخليفة العباسي بأن يُخطب لطغرل فيها قبل ثلاثة أيام من وصوله، ثم دخل طغرل بغداد في رمضان عام٤٤٧هـ، وهرب منها البساسيري والملك الرحيم– آخر ملوك البويهيين–، فأرسل طغرل بك جيشًا إلى نواحي الكوفة؛ لمنع البساسيري من الوصول إلى بلاد الشام، وخرج هو في التاسع والعشرين من الشهر مع بقية الجيش، وفي تلك الأثناء كان البساسيري يعد العدّة في "واسط"؛ لقتال طغرل ، واستعادة بغداد، لكن جيوش طغرل وصلت إليه، والتحمت بجنوده، فهُزم البساسيري ولاذ بالفرار بمفرده، فطاردته مجموعة من الغلمان وقتلوه، وطيف

برأسه في أرجاء بغداد[1]. استطاع طغرل بك إسقاط الدولة البويهية في بغداد عام٤٤٧هـ، وقضي على الفتن، كما أزال سبّ الصحابة من على أبواب المساجد، وقتل شيخ الروافض "أبا عبد الله الجلاب".

عقب تلك الانتصارات دخل طغرل بغداد واستقبل استقبالًا عظيمًا، وخلع عليه الخليفة خلعة سنية، وأجلسه إلى جواره، وأغدق عليه ألقاب التعظيم، ونقش اسمه على العملة، وذُكر اسمه في الخطبة بالمساجد، ويعد دخول السلاجقة بغداد هو بداية عصر نفوذ السلاجقة، حيث حلّ السلاجقة محل البويهيين في السيطرة على أمر بغداد، وقد أحسن السلاجقة معاملة الخلفاء العباسيين، وأقرّوا المذهب السنيّ في البلاد بعكس البويهيين، وتوطيداً للروابط بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وبين زعيم الدولة السلجوقية طغرل بك، تزوج الخليفة من من "أرسلان خاتون خديجة" ابنة "داوود چغري بك"، الأخ الأكبر لطغرل بك، وذلك في عام ٤٤٨هـ/١٠٥٩م، ثم تزوج طغرل بك من ابنة الخليفة العباسي القائم بالله في شعبان عام ٤٥٤هـ /١٠٦٢م والذي كان قد تألم حين طلبها منه، واستعفى فلم يعف، فزوجه بها، فقد أرغم طغرل بك الخليفة القائم بأمر الله على تزويج ابنته له بالقوة على الرغم من عدم رضا الخليفة الأمر الذي أدى إلى تأزم العلاقة بينهما، وبخاصة بعد أن هدد السلطان الخليفة بمصادرة أملاكه في العراق، وكان هذا الزواج سابقة خطيرة في التاريخ؛ لأن الأسرة العباسية الحاكمة لم تزوج بناتها لغير العرب، خاصة وأن طغرل بك كان كبير السن، فقد بلغ السبعين

([1])انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ص٣٣-٣٥ ، ٤٣- ٥٠

من عمره، وكان السلطان يهدف من هذا الزواج السياسي الوصول إلى مرتبة أعلى والحصول على مزيد من الشرعية .

توفي السلطان طغرل بك في ليلة الجمعة لليوم الثامن من شهر رمضان ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وكان عمره أنذاك سبعين عاماً ولم يترك خلفه ولدًا، وكانت مدة سلطنته أربعاً وعشرين سنة وأشهرًا، ودفن بمرو عند قبر أخيه داوود چغري بك بن ميكائيل بن سلجوق. وكان طغرل عاقلًا حليمًا، كثير الاحتمال شديد الكتمان للسر، محافظًا على الصلوات والصوم، مواظبًا على لبس البياض، وبلغ عمره يوم موته سبعين سنة، وكان كثير الصدقات حريصًا على بناء المساجد متعبدًا متهجدًا، ويقول: أستحي من الله أن أبني دارًا ولا أبني بجانبها مسجدًا(١).

٢- ألب أرسلان :

السلطان ألب أرسلان هو أبو شجاع محمد بن جغر بك داؤد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب بعضد الدولة ألب أرسلان، وهو ابن أخي السلطان طغرل بك، ولد عام ٤٢٤هـ-على الأرجح - وبذلك كان عمره عندما تولّى حكم الدولة السلجوقية واحداً وثلاثين عامًا، وقد بدت عليه ملامح قوة الشخصية وحسن الإدارة منذ أن كان يساعد والده في إدارة حكم إقليم خراسان، حتى وفاة أبيه عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م في مدينة بلخ .

---

(١) انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ص٣٣-٣٥ ، ٤٣- ٥٠ ، حسن محمد حسن القانوع : عوامل النصر والتمكين للدولة السلجوقية في عهد السلطان ألب أرسلان، ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة ٢٠١٩م، ص٢٥-٢٩ ، ٣٣- ٣٤ ، ٣٩ .

بعد وفاة السلطان طغرل، قام وزيره "عميد الملك الكندري" بتنفيذ وصيته، وأجلس على العرش السلجوقي "سليمان بن داوود چغري بك"، وهو ابن أخي السلطان طغرل، رغم صغر سنه، وكان داوود چغري بك قد توفي عام ٤٥٠هـ قبل أخاه طغرل، فخلفه ابنه الأكبر ألب أرسلان في حكم خراسان وبلاد ما وراء النهر، لكن ألب أرسلان لم يقبل بسلطنة أخيه الأصغر سليمان، فصمم على التوجه إلى الري، ولاقى عزمه هذا صدى في نفوس كثير من أفراد البيت السلجوقي، وقادة الجيش، فانحازوا إلى صفه، وأمام خطورة الوضع أمر الوزير الكندري بقراءة الخطبة في الري باسم ألب أرسلان ، وأن يتولى سليمان بعده، وبذلك استتب الأمر لـ" ألب أرسلان" منذ عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وقد تمكن نظام الملك وزير ألب أرسلان بما أوتي من حيلة ودهاء وحكمة من الإيقاع بالوزير عميد الملك الكندري، وحمل السلطان على سجنه ثم قتله، وقد برز أمير آخر هو "قتلمش بن إسرائيل" ابن عم چغري بك، حيث رأى أنه أحق بالسلطنة، ومن ثم استولى على الري بقواته، وأعلن نفسه سلطانًا على السلاجقة، فأسرع ألب أرسلان إلى الري على رأس جيش كبير، ومعه وزيره نظام الملك، واشتبك مع "قتلمش" في معركة طاحنة قرب الري انتهت بانتصار ألب أرسلان، وقتل "قتلمش"، ودخل ألب أرسلان الري في عام٤٥٦هـ/١٠٦٤م، ومن ثم انتهت مشكلة النزاع على السلطنة، واستتب الأمر للسلطان ألب أرسلان بلا منازع، فسار في الناس سيرة حسنة، وقد اعتمد على "نظام الملك" في الوزارة، وهو وزير أتقن عمله، وأحسن إكرام العلماء والفقراء، وساهم في حفظ وحدة الصف، وإخماد الفتن بشكل مبهر.

كان ألب أرسلان –مثل عمه طغرل بك– قائدًا ماهرًا مقدامًا، وقد اتخذ سياسة خاصة تعتمد على تثبيت أركان حكمه في البلاد الخاضعة لنفوذ السلاجقة، قبل التطلع إلى إخضاع أقاليم جديدة، وضمها إلى دولته، أو القيام بأي توسع خارجي، كما كان متلهفاً للجهاد في سبيل الله، ونشر دعوة الإسلام في داخل الدولة المسيحية المجاورة له، مثل بلاد الأرمن وبلاد الروم، وكانت روح الجهاد الإسلامي هي المحركة لحركات الفتوحات التي قام بها ألب أرسلان وأكسبتها صبغة دينية، وأصبح قائد السلاجقة زعيمًا للجهاد، وحريصًا على نصرة دين الإسلام ونشره في تلك الديار، ورفع راية الإسلام خفاقة على مناطق كثيرة من أراضي الدولة البيزنطية. وحينما اطمأن على استتباب الأمن، وتمكن حكم السلاجقة في جميع الأقاليم والبلدان الخاضعة له، أخذ يخطط لتحقيق أهدافه البعيدة، وهي فتح البلاد المجاورة لدولته، وإسقاط الخلافة الفاطمية في مصر، وتوحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنية، ونفوذ السلاجقة، فأعد جيشًا كبيرًا اتجه به نحو بلاد الأرمن وجورجيا، فافتتحها وضمها إلى مملكته، كما عمل على نشر الإسلام في تلك المناطق، وأغار على شمال الشام وحاصر الدولة المرداسية في حلب، والتي أسسها "صالح بن مرداس" على المذهب الشيعي سنة ٤١٤هـ، وأجبر أميرها "محمود بن صالح بن مرداس" على إقامة الدعوة للخليفة العباسي عام٤٦٢هـ، وسيطر على الرملة وبيت المقدس، ولم يتمكن من عسقلان التي تعدّ بوابة الدخول إلى مصر، وبذلك أضحى السلاجقة داخل بيت المقدس[1] .

([1]) انظر: د.محمد عبد العظيم يوسف: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص٧٧-٨٤

معركة ملاذ كرد التاريخية :

قام "ألب أرسلان" بحملة كبيرة ضد الأقاليم المسيحية المجاورة لحدود دولته، وقاد جيشه نحو جنوب آذربايجان، واتجه غربًا لفتح بلاد الكُرج والمناطق المطلة على بلاد البيزنطيين، وكان سكان الكرج يكثرون من الغارة على آذربايجان، فأصبحوا مصدر قلق لسكان المنطقة، وانضم إليه وهو في مدينة "مرند" في آذربايجان أحد أمراء التركمان ويدعى "طغتكين"، وكان دائم الإغارة على تلك المنطقة، واجتاز الجيش السلجوقي نهر "الرس"، في طريقه إلى بلاد الكُرج، وفصل ألب أرسلان أثناء زحفه، قوة عسكرية بقيادة ابنه ملكشاه ووزيره نظام الملك هاجمت حصونًا ومدنًا بيزنطية وفتحها، واستمرت فتوحاته الكبيرة في الأراضي الأرمينية، ويبدو أن ملك الكُرج هاله التوغل السلجوقي في عمق المناطق الأرمينية، فهادن ألب أرسلان وصالحه على دفع الجزية، ونتيجة لهذا التوغل السلجوقي أضحى الطريق مفتوحًا أمام السلاجقة للعبور إلى الأناضول بعد أن سيطروا على قلب أرمينيا، فأغاروا على المناطق الحدودية، واستولوا على دروب الأمانوس في عام ٤٥٩هـ، وهاجموا قيصرية، وقد جرى كل ذلك ولم يبذل الإمبراطور البيزنطي جهدًا كبيرًا لمقاومة هذه الغارات، مما شجعهم على التوغل في عمق الأناضول، فوصلوا إلى نيكسار وعمورية في عام ٤٦١هـ وإلى قونية في العام التالي، وإلى خونية القريبة من ساحل بحر إيجه في عام ٤٦٣هـ، وقد شكل فتح السلاجقة لبلاد الكرج، والقسم الأكبر من أرمينيا، تحديًا لبيزنطة وبخاصة بعد أن أدرك الإمبراطور البيزنطي أن ألب أرسلان يصبغ غزوه للبلاد بصبغة الجهاد الديني، وهو يطبع المناطق المفتوحة بالطابع الإسلامي، مما

جعل نشوب الحرب بين المسلمين والبيزنطيين أمرًا لا مفر منه. خرج إمبراطور الروم(رومانوس ديوجينوس) في جمع كبير من الروم والروس والكرج والفرنجة وغيرهم من الشعوب النصرانية، وقدر ذلك الجمع بثلاثمائة ألف جندي لملاقاة السلطان السلجوقي، الذي ما إن علم باقتراب الروم ومن معهم حتى استعد للأمر، واحتسب نفسه ومن معه، وكان في قلة من أصحابه لا تقارن بعدد الروم وأتباعه، قيل إنهم قرابة خمسة عشر ألفًا، ولم يكن لديه وقت لاستدعاء المدد من المناطق التابعة له، وقال قولته المشهورة: أنا أحتسب عند الله نفسي، وإن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل النسور الغبر رمسي، وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي ويومي خير من أمسي، وهجم بمن معه على مقدمة الأعداء، وكان فيها عشرون ألفًا معظمهم من الروس، فأحرز المسلمون عليهم انتصارًا عظيمًا، وتمكنوا من أسر معظم قادتهم. ثم أرسل السلطان ألب أرسلان من قبله وفدًا إلى إمبراطور الروم وعرض عليه المصالحة، فلم يقبل بالعرض، وقال: هيهات!! لا هدنة ولا رجوع إلا بعد أن أفعل ببلاد الإسلام مثل ما فُعل ببلاد الروم، وجاء في رواية: لا هدنة إلا ببذل الري، فحمى السلطان وشاط، وأعد المسلمون العدة للمعركة الفاصلة واجتمع الجيشان في يوم الخميس ٢٥من ذي القعدة ٤٦٣هـ، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر، ودعا الله تعالى وابتهل، وبكى وتضرع، وقال لهم: "نحن مع القوم تحت الناقص، وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يُدعي فيها لنا وللمسلمين على المنابر، فإما أن أبلغ الغرض، وإما أن أمضي شهيدًا إلى الجنة، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحبًا فما ها هنا سلطان بأمر ولا عسكر يؤمر، فإنما

أنا اليوم واحد منكم، وغازٍ معكم، فمن تبعني، ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة أو الغنيمة، ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة"، فقالوا: "مهما فعلت تبعناك فيه وأعناك عليه"، فبادر ولبس البياض، وتحنط استعدادًا للموت وقال: "إن قُتلت فهذا كفني". واندلع القتال بين الطرفين، فنزل ألب أرسلان عن فرسه، ومرغ وجهه بالتراب، وأظهر الخضوع والبكاء لله تعالى، وأكثر من الدعاء، ثم ركب فرسه، وانغمس في الأعداء، ففتح الله عليه فتحًا مبينًا، وقتل السلاجقة من الروم مقتلة عظيمة، وأسروا منهم جموعًا كبيرة، كان على رأسهم إمبراطور الروم نفسه، فأُحضِر ذليلًا إلى السلطان . وقد قبل فيه السلطان الفداء، فافتدى نفسه بألف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار، وإطلاق كل أسير في بلاده، فأطلق سراحه، وبعث معه عدة، وأعطاه نفقة توصله، لكن الروم بعد هزيمة قائدهم ملَّكوا بدلًا منه "ميخائيل السابع بن قسطنطين العاشر"، وكان مصير "رومانوس" الاعتقال، وسمل عينيه .

نتائج معركة ملاذكرد٤٦٣هـ:

ترتب على النصر الذي حققه المسلمون في معركة ملاذكرد نتائج آنية ومستقبلية مهمة، منها:

١- تعد معركة "ملاذكرد" من المعارك الفاصلة في التاريخ وأكبر نكسة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وأصبحت الأراضي البيزنطية تحت رحمة السلاجقة.

٢- لم يكن هذا النصر نصرًا عسكرياً فقط بل كان نصراً دعوياً للإسلام، إذ انتشر السلاجقة في آسيا الصغرى عقب معركة ملاذكرد وضموا إلى ديار الإسلام مساحة تزيد على ٤٠٠ ألف كم.

٣- كانت هزيمة البيزنطيين في ملاذكرد نقطة تحول في التاريخ الإسلامي البيزنطي، فلأول مرة يقع الإمبراطور نفسه أسيراً في أيدي المسلمين، فلا تقل أهمية عن اليرموك ونتائجها، فإذا كانت هذه الأخيرة قررت مصير بلاد الشام، فإن الأولى قد قررت مصير آسيا الصغرى، التي نجح الأتراك السلاجقة في فتحها والتوغل فيها، وكانت بذلك لبنة اجتثت من بناء الدولة البيزنطية فمهدت لسقوطها.

٤- قضى السلاجقة على التحالف البيزنطي الفاطمي، واضطرت بيزنطة إلى مصالحتهم .

٥- يعد الأتراك أكثر العناصر العسكرية الأجنبية إفادة من الأوضاع المضطربة التي سادت المجتمع البيزنطي والوضع السياسي بعد معركة ملاذكرد . فقد حاولت الأطراف البيزنطية المتنازعة الاستعانة بالقوات التركية ضد بعضها البعض مما أتاح للسلاجقة، التوغل في صميم الحياة البيزنطية.

٦- أقدمت السلطات البيزنطية في القسطنطينية على عزل الإمبراطور رومانوس الرابع، وأجلست مكانه ميخائيل السابع بن قسطنطين العاشر دوقاس، وحاول رومانوس في غمرة هذا الصراع أن يستعين بالقوات التركية، غير أن الهزيمة لحقت به وتقرر إلقاء القبض عليه وسمل عينيه.

سجل التاريخ غزو ألب أرسلان لبلاد الروم مرتين، ثم سار إلى أصفهان ومنها إلى كرمان، وذهب إلى شيراز ثم عاد إلى خراسان، وكاد يتملك مصر، لكن قدر هذا الفاتح المسلم العظيم كان أن يلقى ربه قريبًا بعد نصره في ملاذكرد. قصد السلطان ألب أرسلان ما وراء النهر في عام ٤٦٥هـ، وعبر نهر جيحون، في مائتي ألف فارس، وقد جيء إليه بأحد الثائرين موثوقًا، ويدعى يوسف الخوارزمي، وهو صاحب قلعة بهذا الاسم، فأمر أن تُضرب له أربعة أوتاد لتشد أطرافه الأربعة إليها ويعذبه، ثم يقتله، وما لبث أن أمر بفك وثاقه، ثم تناول سهمًا وأطلقه عليه، وكان جالسًا على سريره، فأخطأه، فنزل فعثر ووقع على وجهه، فبادره يوسف، وضربه بسكين كانت معه في خاصرته، وحُمل السلطان الجريح إلى خيمة أخرى للعلاج، وأحضر وزيره نظام الملك وأوصاه بولاية العهد لابنه ملكشاه، وتوفي بعد أربعة أيام (١٠ربيع الأول٤٦٥هـ/٢٤ نوفمبر١٠٧٢م)، وكان عمره ٤٠سنة، وقيل ٤١ سنة، ودفن بمرو بجانب والده[1] .

٣- ملكشاه بن ألب أرسلان :

انتقل حكم الدولة السلجوقية إلى ملكشاه بن ألب أرسلان، ودبّر دولته الوزير نظام الملك تحت وصية ألب أرسلان، وكان ألب أرسلان والوزير نظام الملك قد أعدا ملكشاه إعدادًا ملكيًا، ودرباه تدريبًا سلطانيًا، وعلماه من معين العلم، كما لم يكتف ألب أرسلان ونظام الملك بتدريبه نظريًا على

([1]) انظر: د.محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، ط٢، بيروت ٢٠١٦م ، ص١١٨ ، علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى، ص ٦١- ٦٣

العلوم العسكرية بل أنزلاه ميادين القتال، حتى ألفها وتمرسها، ولقناه أصول الحكم وتدبير شئون الرعايا بالممارسة وليس عن ظهر قلب، فحكم جيلان بأمر رسمي من السلطان قبل أن يرث السلطنة، وتولى ملكشاه السلطنة سنة ٤٦٥هـ وعمره ١٨عامًا، وتتفق المصادر التاريخية على أن الوزير نظام الملك كان له الفضل الأكبر في إرساء دعائم الدولة وانتصاراتها الحربية والفكرية والعقائدية على الباطنية والفلاسفة في عصر ملكشاه، وذلك باهتمامه الكبير بعلماء أهل السنة، ونشر المدارس النظامية في أرجاء الدولة السلجوقية، التي تعد مثالًا رائعًا يحتذى به في بناء الدول، وصناعة الأجيال. وعرف عصر ملكشاه نهضة علمية وعسكرية، فبرع في الحروب، وارتفع العمران وانتشرت القناطر، وظهرت معالم الحضارة الراقية في كل ربوع مملكته، وأسقط المكوس والضرائب ، حتى عدّه أحد المؤرخين المؤسس الحقيقي للإمبراطورية السلجوقية المترامية الأطراف، ويرجع الفضل في ذلك لنشاط وحنكة وزيره نظام الملك .

خطب المسلمون في عصر ملكشاه للسلاجقة من أقصى بلاد الترك، إلى أقصى بلاد اليمن، ومن حدود الصين، إلى آخر الشام. واهتم ملكشاه برعيته أيما اهتمام، وأرسى قواعد الأمن والعدل بينهم، وكان يسمع احتياجاتهم بنفسه وإن بعدت المسافة، فقد كان يجوب أرض مملكته ليعاينها بنفسه، ويرافقه في ذلك نظام الملك في جميع سفراته وجولاته، وهو الذي يدبر الأمور له.

بذل السلاجقة جهودًا كبيرة للسيطرة على بلاد الشام، وبعد أن ثبَّت ملكشاه أقدامه في الحكم، واطمأن على سلطنته، التفت إلى بلاد الشام، وأحيا

مشروع أبيه السلطان ألب أرسلان بغزو هذه البلاد وضم مصر إليها، والقضاء على الدولة الفاطمية، فاختار أن يولي على هذه الجبهة البعيدة أميرًا سلجوقيًا هو أخاه "تاج الدولة تُتُش"، ويشغله في نفس الوقت عن التفكير في منافسته، ويؤمَّن الإقطاع لقسم كبير من الجيش السلجوقي المتزايد، لكن"تتش" أخفق أمام أسوار حلب وكتب من مشتاه إلى أخيه يشرح له ما آلت إليه الأوضاع في شمالي بلاد الشام ويطلب منه نجدة أخرى، ثم غادر مع قواته الجديدة التي وصلت إليه متوجها إلى حلب للاستيلاء عليها، إلا أنه فشل وغادر وقواته المنهكة مدينة حلب بعد أن أدرك عدم جدوى الاستمرار في الحصار والاستيلاء على حلب، فيمم وجهه نحو دمشق، حيث استولى على حماة والمعرة وما جاورهما، وأطاعه أمير حمص، فأقرّه على حكمها. وإذا كان التوغل السلجوقي في بلاد الشام قد بدأ بوصول "تتش"، إلا أنه لم يحقق حتى ذلك الوقت أي إنجاز يذكر وتبين من خلال أعماله أنه كان متعسفًا ذا سطوة وجبروت وظلم وتدمير وسلب ونهب، وقد سنحت له الفرصة ليضع يده على مقدرات بلاد الشام ويؤسس دولة سلجوقية في ربوعها وكان لذلك علاقة بالمحاولات الفاطمية الهادفة إلى استعادة نفوذ الفاطميين في هذه البلاد، وقد سيطر "تتش" على الأقاليم الوسطى من بلاد الشام، وجهد بعد ذلك للعمل على بسط سلطاته على كامل بلاد الشام، وبخاصة المدن الساحلية التي كانت تدين بالطاعة للدولة الفاطمية، أو تُحكم من قبلها مباشرةً، وإنشاء دولة أخرى للسلاجقة في هذه البلاد، يتولى حكمها بمعزل عن السلاجقة العظام في خراسان وفارس[١].

---

(١) انظر: علي محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة، ص ٦٩- ٧٠

ظهرت في عهد "ملكشاه" سلطنة **سلاجقة الروم** التي أسسها "سليمان بن قتلمش بن إسرائيل"، الذي يعد جد سلاطين آسيا الصغرى، وكانت سلطنته قد استقرت في قونية وآقسرا وقيصرية وغيرها من المدن في آسيا الصغرى، وكانت تحت سيادة ملكشاه، واتخذ مدينة نيقية عاصمة له. وقد توفي الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٦٧هـ في عهد ملكشاه، وتولى الخلافة من بعده "المقتدي بالله"، لكن علاقته مع ملكشاه تدهورت كثيرًا؛ بسبب سوء الفهم بين المقتدي وزوجته "خاتون" ابنة السلطان ملكشاه، فأعاد الأخير ابنته من بغداد إلى قصره في موكب عظيم، وذلك بعد أن اشتكت له من زوجها الخليفة، ولكنها ما كادت تستريح في بيت والدها حتى فارقت الحياة في نفس السنة، وتسبب موتها في إيغار صدر ملكشاه على "المقتدي" ، فبدأ يضغط عليه، ويعمل على إذلاله، وانتهى بطرده من بغداد، ولم يمهله ساعة للخروج منها، ولولا تدخل "تاج الملك أبي الغنائم" وزير زوجة ملكشاه "تركان خاتون"، لما حصل على ١٠ أيام ليرتب خروجه، ولم يجد "المقتدي" إلا اللجوء إلى الله يدعوه ليل نهار أن يفرج كربه، ويخرجه من هذا المأزق، فكان يقضي ليله قيامًا، ونهاره صيامًا في خشوع وتضرع، وقبل أن تنتهي الأيام العشرة، خرج السلطان ملكشاه للصيد، لكنه رجع مريضًا بشدة، ووافته المنية، فكان موته نجاة للمقتدي، وكان قد وصل لدرجة ضعف لا يحسده عليها عدو، وبموت ملكشاه(١٥شوال٤٨٥هـ/١٠٩٢م) انقضى العصر الذهبي لدولة السلاجقة العظام، وبدأ عهد الانقسامات السياسية والحروب بين ورثة العرش السلجوقي، مما أدى لتشتيت صفوفهم، وإضعاف سلطتهم .

الوزير نظام الملك :

شخصية نظام الملك نموذج رائع لنجاح رجل في صناعة مجد أمة، فقد تمكن هذا الوزير الملهم من إعادة هيبة الخلافة والدولة بذكاء وبصيرة، وشهد التاريخ لنظام الملك أنه كان أول من أنشأ المدارس، فاقتدى به الناس، وشرع في عمارة مدرسته النظامية ببغداد سنة ٤٥٧هـ، وضبط نظام الملك الحكم لما تولى ملكشاه السلطة، حيث انفلت العسكر وبسطوا أيديهم على أموال الناس، وكان ملكشاه قد أوكل له المسئولية الكاملة، فنجح في عمله بشكل أثلج الصدور، وعمل على نشر العلم وتقدير أهله، وعلى رفع مرتبة العلم والعلماء والمكتبات. وكان عالما فقيهًا دينًا خيرًا متواضعًا عادلًا يحب أهل الدّين ويكرمهم ويجزل صلَاتهم، وأما صدقاته ووقوفه فلا حد عليها، ومدارسه في العالم مشهورة لم يخل بلد من شئ منها، وكان مجلسه عامرًا بالقراء، والفقهاء، وأئمة المسلمين، وأهل الخير والصلاح. وتعد المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك، واهتم بها، أحد أبرز معالم القوم للأمة المسلمة منذ عصر السلاجقة إلى صلاح الدين، فقد كانت تهدف إلى صناعة الرجال علمًا وخلقًا، ووارتقاء النفوس والهمم، فخرج منها الشيرازى والجوينى والغزالي وابن عساكر والعز بن عبد السلام، وكذلك عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين الأيوبي .

وجد نظام الملك كل الدعم من أبي حامد الغزالي والجويني وبقية العلماء، كما دعمهم نظام الملك بدوره دعمًا معنويًا وماديًا. واهتم الوزير بالتنظيمات الإدارية حيث أشرف بنفسه على رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية بشكل كبير، مستفيدًا من فهمه ومعرفته بنظم الإدارة، حيث ألف

كتاب "سياست نامه" جمع فيه عصارة الآراء والنظريات الإدارية التي تعد أساسًا لنظام الحكم وإدارة الدول والممالك، كما كان شديد الحرص على إرسال المخبرين إلى جميع الأطراف في هيئة التجار والسياح والمتصوفة والدراويش وغيرهم يتنسمون الأخبار ويرسلونها للسلطان أولًا بأول حتى لا يخفى عليه شيء من أمور مملكته. وقد نجح نظام الملك في إحباط العديد من المؤامرات والفتن التي كانت تتربص بالدولة السلجوقية، وكان شوكة في حلوق المبتدعة والضالين، كما راقب العمال تحت حكمه حتى ينضبط الجميع بالنظام. وعن وفاته، فيروى أنه خرج مع السلطان ملكشاه في العاشر من رمضان عام ٤٨٥هـ، من أصفهان قاصدًا بغداد، فاجتاز في بعض طريقه قرية بالقرب من نهاوند، وحان وقت الإفطار فصلى المغرب، وجلس على السماط وعنده خلق كثير من الفُقَهاء والقراء والصوفية وأصحاب الحوائج، فجعل يذكر شرف المكان الذي نزلوه من أرض نهاوند، وأخبار الْوَقْعَة التي كانت به بين الفرس والمسلمين في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–، ومن استشهد هناك من الأعيان ويقول: "هذا الموضع قُتل فيه خلق كثير من الصحابة زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنهم أجمعين– فطوبى لمن كان معهم". فلما أفطر جاءه صبي ديلمي في هيئة مستغيث، فلما أجابه نظام الملك، غدر الصبي به بضربه بسكين في فؤاده، وهرب ثم عثر عليه فقُتل. وقيل أن الاغتيال كان من تدبير الحسن الصباح، وقيل أن مقتله كان بتدبير من تركان خاتون زوجة ملكشاه. وجاء السلطان ملكشاه عند نظام الملك فبكاه وهو يجود بنفسه حتى مات شهيدًا، وحُمل إلى أصفهان ودفن بها .

توفى السلطان ملكشاه عام٤٨٥هـ/١٠٩٢م، بعد أقل من شهر من وفاة الوزير نظام الملك، وترك خلفه٤ أبناء ذكور من٣ زوجات، هم: بركيارق من زوجته زبيدة وكان أكبرهم، وابنيه الثاني والثالث، محمد وسنجر من جاريته المملوكة واسمها تاج الدين خاتون السفرية وابنه الرابع محمود وهو أصغرهم، من زوجته تركان خاتون، فضلًا عن بناته. وفقدت الدولة السلجوقية بوفاته أهم ركائزها، وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها خاصة مع الاقتتال على الملك الذي نشب بين أبناء السلطان وإخوته وأحفاده .

الدولة السلجوقية بعد وفاة ملكشاه:

تفككت الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه، وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها بين أبنائه وإخوته وأحفاده، فضعفت بالتالي سيطرة الدولة على مختلف أقاليمها، ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف تنافس الأمراء على عرش السلطنة، الأمر الذي أحدث انقسامًا كبيرًا، دب الضعف في أوصال دولة السلاجقة على أثر الانقسامات بين أمراء السلاجقة، وفي عام٥٣٦هـ/١١٤١م انهزم السلطان سنجر، آخر السلاطين السلاجقة العظام أمام القراخطائيين، وبمقتل السلطان سنجر على أيدي الغز عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م، زالت دولة السلاجقة العظام في فارس، فقد أخذت الدولة السلجوقية في الضعف والانهيار بعد سنجر، وذلك في عهد الخليفة الناصر لدين الله، الذي استقر رأيه على الاستعانة بعلاء الدين تكش خوارزم شاه ضد السلطان طغرل الثالث، فأرسل إلى خوارزم شاه شاكيًا من السلطان طغرل السلجوقي، ويطلب من خوارزم شاه أن يساعده عليه، وأرفق الرسالة بمنشور يقضي بإقطاع خوارزم شاه كل البلاد التي كانت آنذاك

تحت نفوذ السلاجقة، فلبى خوارزم شاه رغبة الخليفة العباسي، وسار على رأس جيشه لقتال السلطان طغرل، والتقى به قرب الري منتصف عام٥٩٠هـ، فانهزم الجيش السلجوقي، وقتل طغرل الثالث، وزالت الدولة السلجوقية.

طائفة الإسماعيلية ومحاولات السلاجقة التصدي لها :

الإسماعيلية فرقة باطنية، كان أتباعها ينادون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق؛ لذا سموا بذلك، وتميزوا بالباطنية: لأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون، فظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلوِّ الشديد لدرجة أن الشيعة الاثنى عشرية يكفِّرون أعضاءها.

قيام دولة الإسماعيلية النزارية في إيران :

كان من أبرز التحديات التي واجهت دولة السلاجقة، دعوة الإسماعيلية النزارية، أو ما يعرف بالباطنية، أو الحشاشين، والتي نشأت بصورة خاصة في المشرق الإسلامي ورئيسها الحسن الصباح، وتعود جذورها لعام ٤٧٨هـ، حيث توفي الخليفة الفاطمي المستنصر دون أن يبايع لابنه الأكبر "نزار"، رغم أنه أبدى رغبته في ذلك، وبويع بعده ابنه الأصغر المستعلي بالله، فانشقت بذلك الدعوة الإسماعيلية لشقين، النزارية والمستعلية، وكان الحسن بن الصباح الحميري قد ولد بالري في بلاد فارس عام٤٣٠هـ، وتأثر في شبابه بالدعوة الإسماعيلية الفاطمية، وزار مصر، والتقى المستنصر. وكان الحسن الصباح قد اتصل ببلاط ملكشاه قبل ذهابه لمصر، ثم هرب إلى الري بسبب انكشاف نشاطه مع الباطنية والفاطميين، وخرج إلى مصر

ليحضر دروس "عبد الملك بن عطاش" في الباطنية، ويقابل إمامهم المستنصر، ويعلن الولاء له، وأثناء وجوده في مصر لأكثر من عام أمدّه المستنصر بالأموال، وأمره بدعوة الناس إلى إمامته في بلاد العجم، وعزم على نشر دعوة المستنصر في فارس وخراسان، وحين عاد إلى بلاد فارس بدأ بنشر دعوته إلى نزار رافضًا البيعة للمستعلي، معتبرًا نفسه نائب الإمام، مخططًا لإنشاء دولة إسماعيلية جديدة في المشرق الإسلامي(١).

بعد أن رجع الحسن الصباح إلى فارس، وبلغ أصفهان سنة ٤٧٣هـ، باشر دعوته السرية، لكن نظام الملك ضيّق عليه الخناق، فرحل إلى قزوين، واستولى على قلعة "ألموت" الحصينة فوق جبل ألموت العالي بنواحي قزوين عام ٤٨٢هـ، وجعلها مقرًا له ولجماعته، فتوسعوا، وأكثروا الفساد في البلاد. وعمل الحسن الصباح على تحصين نفسه وأتباعه في قلاع متناثرة في أقاليم وعرة مثل أقاليم بحر قزوين، وثبت مركزه في قلعة ألموت، وكان صاحب غدر وخيانة، فقد بث الرعب في قلوب الناس بالاغتيالات الغادرة. وتشير الروايات التاريخية إلى أن أهم ضحاياه كان الوزير نظام الملك الذي شدد على الدعوة النزارية وحاربها، مع أن عددًا من المؤرخين من أمثال ابن الجوزي والذهبي، قد أوردوا آراء أخرى تجعل عملية اغتيال الوزير مدبرة من قِبل السلطانة "تركان خاتون" زوجة ملكشاه، حيث نصبت مكانه وزيرها "تاج الملك"؛ لتنفرد بالحكم لصالح ابنها الصغير. وسجل التاريخ غدر الحشاشين الباطنية، وقتلهم للخليفتين العباسيين المسترشد والراشد، وهددوا ملكشاه السلجوقي، وصلاح الدين الأيوبي. لقد كان عمل الحسن الصباح على هدم

---

(١) انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ص ٧٧

العقيدة من الداخل، وكل صفات الألوهية والتوحيد، ورفض السنة وتعاليم النبي(ص) ونفى الفرائض بالاعتماد في ذلك على نظريات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس بتأثر واضح بالفلسفة اليونانية، فيخرج من يتبعهم من دين الله بالجملة، وقد شبهها بعض الباحثين بالماسونية في عصرنا الحاضر. ورغم فساد دعوتهم إلا أن شدة تنظيم الساعين لها سمحت بنشر الحركة الإسماعيلية بشكل لم يسبق له مثيل وبقاءها إلى اليوم يعود لتلك الجهود في الباطل. سيطر الباطنيون على الناس بالشعوذة والمخاريق والتظاهر بالولاية والتأله. تراوحت سياسة ملكشاه مع الحسن الصباح بين المهادنة والمقاومة، فلما استولى الصباح على قلعة ألموت، وأرسل أسراب فدائييه يفتكون بالآمنين بالاغتيالات، أرسل له السلطان السلجوقي الإمام أبا يوسف يعقوب بن سليمان، وكان فقيهًا عالمًا بالأصول على مذهب أهل السنة لمناظرتهم، لكن دون جدوى، فتحول ملكشاه إلى السلاح، فأرسل الأمير "أرسلان طاش" سنة ٤٨٥هـ فحاصر القلعة، ولكنه هزم، وفشلت محاولته في حصار قلعة أخرى لهم وهي "ديرة"، واستمر دجلهم في الانتشار أوساط الجهلة الأغرار، وأرسل ملكشاه للصباح رسالة تهديد، فكان رده أمام الرسول أن طلب من أحد الشباب قتل نفسه، فأخرج سكينًا وقتل نفسه وسقط ميتًا، وقال لآخر ألق نفسك من هذا الموضع فرمى نفسه من رأس القلعة إلى الأرض، فتقطع، وقال للرسول هذا الجواب، وفي رواية قال: "أخبر سيدك أن عندي من هؤلاء عشرين ألفًا هذا حد طاعتهم لي"، فعاد الرسول إلى السلطان فأخبره بما رأى، فعجب من ذلك، وترك كلامهم .

يلاحظ أن ملكشاه لم يبذل في مقاومتهم جهدًا يتناسب مع قوته ومكانته فلم يتوجه بنفسه مثلًا لحربهم كما فعل في مناسبات كثيرة عندما كان يتهدد

دولته خطر من الأخطار، كما تجاهل نصائح وزيره نظام الملك عندما حذره من أخطارهم، ولم يدم السلطان في الحياة كثيرًا بعد استيلاء الحسن الصباح على القلعة، فبقي شر الأخير يؤرق حياة من خلفه من سلاطين.

تمكن الحسن الصباح من السيطرة على القلاع المجاورة لقلعة "ألموت"، حتى ضم لحكمه المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين كلها، قلاعها وأرجائها، والتي بلغت نحو ٦٠ قلعة، وسط أراضي صالحة للزراعة، ومصادر للمياه جميعها بالقرب من نهر شاهرود وفروعه، وكانت بمثابة أول دولة للإسماعيلية في المناطق التي سيطر عليها الباطنية، إضافة إلى ولاية قهستان، المجاورة لخراسان منذ سنة ٤٨٤هـ والتي رغم بعدها النسبي عن مركزهم كانت تابعة للدولة، وظل حكامها المحليون يتبعون ملوك الإسماعيلية في "ألموت" حتى قضى عليهم المغول. ويعتبر أهل السنة الإسماعيلية بجميع فروعها من فاطمية أو قرامطة أو نزارية "حشاشين"، وغيرها، من فرق الغلاة الباطنية؛ لأنهم تطرفوا في العقيدة، وانحرفوا عن صحيح الإسلام، وللرد على مزاعم الإسماعيلية الباطنية، ألف العلماء الكتب لدحض ادعاءاتهم مثل أبو حامد الغزالي وكتابه "الموسوم بفضائح الباطنية"، ثم إن السلطنة السلجوقية حاربت البدع الإسماعيلية، وتميز من السلاجقة وزيرهم نظام الملك الذي أدرك نشاط الدعوة الإسماعيلية في كسب أعداد كبيرة من عامة الناس، فبدأ بتأسيس عدد من دور الثقافة والتعليم عرفت بالمدارس النظامية؛ لنشر الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة لتحصين الفرد ضد دعوات الإسماعيلية، وقد أنشئت في بغداد والموصل وأصفهان ونيسابور ومرو وبلخ وهراة وغيرها من المدن[١] .

---

(١) انظر: د. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول، ص٧٤-٨٣

عهد التفكك والضعف وانهيار الدولة السلجوقية:

بعد وفاة السلطان ملكشاه تفككت الدولة السلجوقية، وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها بين أبنائه وإخوته وأحفاده، فضعفت بالتالي سيطرة الدولة على مختلف أقاليمها، ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف تنافس الأمراء على عرش السلطنة، الأمر الذي أحدث انقسامًا كبيرًا، دب الضعف في أوصال دولة السلاجقة على أثر الانقسامات بين أمراء السلاجقة، وفي عام٥٣٦هـ/١١٤١م انهزم السلطان سنجر، آخر السلاطين السلاجقة العظام الأقوياء أمام القراخطائيين، وبمقتل السلطان سنجر على أيدي الغز عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م، زالت دولة السلاجقة العظام في فارس، فقد أخذت الدولة السلجوقية في الضعف والانهيار بعد سنجر وذلك في عهد الخليفة الناصر لدين الله، الذي استقر رأيه على الاستعانة بعلاء الدين تكش خوارزم شاه ضد السلطان طغرل، فأرسل إلى خوارزمشاه شاكيًا من السلطان طغرل السلجوقي، ويطلب من خوارزم شاه أن يساعده عليه، وأرفق الرسالة بمنشور يقضي بإقطاع خوارزم شاه كل البلاد التي كانت آنذاك تحت نفوذ السلاجقة، فلبى خوارزم شاه رغبة الخليفة العباسي، وسار على رأس جيشه لقتال السلطان طغرل، والتقى به قرب الري منتصف عام٥٩٠هـ، فانهزم الجيش السلجوقي، وقتل طغرل، وزالت الدولة السلجوقية. تضافرت عوامل عديدة لسقوط السلطنة السلجوقية وزوالها، ومهدت بدورها لسقوط الخلافة العباسية ومنها: سوء سياسة السلاجقة الداخلية، وعدم إيجاد قانون لوراثة العرش يحترمه الجميع، فتصارع الإخوة والأعمام والأبناء والأحفاد، كما تدخلت النساء في شئون الحكم، واندلعت نار الفتنة بين الحكام السلاجقة من قبل بعض الأمراء والوزراء والأتابك، كذلك ضعف

الخلفاء العباسيون أمام القوة العسكرية السلجوقية، فاعترفوا بشرعية كل من جلس على عرش السلاجقة، والخطبة لكل منتصر قوي، أيضًا عجزت الدولة السلجوقية عن توحيد بلاد الشام ومصر والعراق تحت راية الخلافة العباسية، إضافة للانقسام الداخلي بين السلاجقة والذي وصل إلى المواجهة العسكرية المستمرة، وهو ما أنهك قوة السلاجقة حتى انهارت سلطنتهم بالعراق، وكذلك المكر الباطني الخبيث بالدولة السلجوقية، وتمثل في حملة التصفيات والمحاولات المستمرة لاغتيال سلاطين السلاجقة وزعمائهم وقادتهم، والغزو الصليبي، وصراع الدولة السلجوقية مع جحافل الغزو الوحشية القادمة من أوربا. وبذلك وجد الخوارزميون الدولة السلجوقية لقمة سهلة، فورثوا ما كان للسلاجقة من سلطان، ونلاحظ أن النزاع الذي قام بين الخلفاء العباسيين وبين البويهيين والسلاجقة، استمر أيضًا بينهم وبين الخوارزميين، واستفحل بين الطرفين، ولم ينته إلا بانتهاء الخوارزميين والخلافة العباسية بعد أن قضى المغول على القوتين الواحدة تلو الأخرى .

القرا خانيون(٣٤٩هـ -٥٣٦هـ) :

اعتنقت الإسلام قبائل كثيرة من الأتراك في عام ٣٤٩هـ، وكان من نتائج ذلك أن ظهرت أول دولة تركية مسلمة مقابلة لأتراك الشرق، هي الدولة القراخانية نسبة لأحد ملوكها وهو "ساتوق بغراخان عبد الكريم"، الذي كان يسمى أيضًا "قراخان"، فقد اتخذ هذا الملك مدينة كاشغر عاصمة له، لكنه نقل العاصمة بعد ذلك إلى "بلاساتمون"، حيث حاول القراخانيون من هناك فتح بلاد ما وراء النهر، وما إن قامت هذه الدولة حتى شرعت في محاربة أعداء الإسلام، ولاسيما المجاورين لها من الأتراك الوثنيين، وقد قاد

ظهور القراخطائيين في هذه المنطقة إلى اصطدامهم بالسامانيين، وكان ذلك في عام ٣٧٩هـ. وقد تمكن القراخانيون من إلحاق الهزيمة بجيش السامانيين، وأسر جماعة من القادة، واستطاعوا احتلال بخارى عام ٣٨٨هـ دون مقاومة، وبذلك أنهوا حكم السامانين بها، وبقي القراخانيون يتنازعون فيما بينهم؛ للسيطرة على مناطق ما وراء النهر، وكان بعضهم يستنجد بملوك الصين، والبعض الآخر بالسلاجقة، حين أصبحوا تابعين لهم بعد إقامة الدولة السلجوقية، وقد دارت معركة "قطوان" في عام ٥٣٦هـ بين الأتراك الوثنيين -الخطا- الذين كان يساعدهم ملك الصين، وبين الأتراك المسلمين الذين كان يساعدهم سنجر السلجوقي(٥١١هـ-٥٤٨هـ)، وكانت نتيجة هذه المعركة أن انتصر الأتراك الوثنيون سنة ٥٣٦هـ[١].

(١) انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة ، ص٢٤-٢٥ ، ١٣٠- ١٣٣

الفصل الثاني
الخوارزميون والمغول

أولًا: الخوارزميون

نشأة الدولة الخوارزمية :

نشأت الدولة الخوارزمية بين أحضان دولة السلاجقة التي حكمت مناطق شاسعة في الشرق الإسلامي، فقد ظهر في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان مملوك نابه في بلاطه، يسمى "أنوشتگين" نجح في أن يحظى بتقدير السلطان ونيل ثقته، فعينه واليًا على إقليم خوارزم، وظل على ولايته حتى وفاته في عام ٤٩٠هـ /١٠٩٧م .

قطب الدين محمد خوارزم:

بعد وفاة أنوشتگين، خلفه ابنه قطب الدين محمد، وكان رجلًا طموحًا ذا همَّة عالية، وعلى مقدرة وكفاية مثل أبيه، فحظي بمكانة لدى السلطان سنجر -آخر سلاطين الدولة السلجوقية القويَّة- فجعله واليًا على منطقة سجستان، وظل يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عامًا(٤٩٠هـ/٥٢١هـ)، نجح في أثنائها في تثبيت سلطانه، ومدّ نفوذه، وتأسيس دولته، وعُرف باسم خوارزم شاه، أي ملك خوارزم- تقع خوارزم الآن في جمهورية أوزبكستان الإسلامية-، وقضى وقته في نشر العدل والكرم بين الناس حتى أحبوه، ومات سنة ٥٢١هـ.

أتسز بن قطب الدين محمد خوارزم :

حينما توفي قطب الدين محمد خوارزم، خلفه ابنه "أتسز" بموافقة السلطان السلجوقي سنجر، وكان أتسز واليًا طموحًا، مدّ بصره فرأى دولة السلاجقة توشك على الانهيار، فتطلع إلى بسط نفوذه على حسابها، واقتطاع أراضيها وإخضاعها لحكمه، ودخل في حروب طويلة مع السلطان سنجر السلجوقي، واستعان "أتسز" بقبائل القراخطاي المغولية التركية والمعروفين

في كتب التاريخ باسم "الخطا"، وهم بوذيون وثنيون، وبالفعل انتصروا على سنجر، وأسروه خمس سنوات، وغلبوا "أتسز" نفسه الذي دخل في طاعتهم خوفًا منهم، وشعر بفداحة فعلته، وندم أشد الندم على الاستعانة بالكفار على المسلمين. وقد مات أتسز سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٦م .

علاء الدين تكش:

بعد موت أتسز، خلفه ابنه أرسلان الذي انقرضت في عهده دولة السلاجقة تمامًا، ووسع هو مملكته، ومات عام ٥٦٨هـ، وملك من بعده ولده محمود سلطان شاه، ولكن أخاه "علاء الدين تكش" نازعه الملك، واستولى عليه منه عام٥٦٨هـ، ودخل تكش في حروب طويلة مع جيرانه من الغوريين –دولة مسلمة قويَّة لها أعظم الفضل في نشر الإسلام في الهند وباكستان وأفغانستان–، وكرَّر نفس خطأ أبيه واستعان بالقراخطاي على الغوريين، ولكنه هُزم هزيمة قاسية أمام شهاب الدين الغوري–من أعظم أبطال المسلمين–. وكان السلطان "تكش" بطل هذه المرحلة، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن(٥٦٨-٥٩٦هـ/١١٧٣-١٢٠٠م) العصر الذهبي للدولة الخوارزمية، ومات تكش سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م، وخلفه ابنه علاء الدين محمَّد .

علاء الدين محمد خوارزم شاه واتساع رقعة الدولة الخوارزمية

حينما توفي علاء الدين تكش، خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه على العرش في٢٠ شوال٥٩٦هـ/٢٣ نوفمبر١٢٠٠م، وعُرف بلقب قطب الدين قبل وصوله إلى الحكم، وقد عينه والده تكش على خراسان(٥٩٣هـ /١١٩٧م)، وقاد في العام التالي حملة ضد القبائل الرحل في ضواحي جَند، وعاد إلى خوارزم بزعمائهم في الأغلال، وشارك والده بالإغارة على معاقل

الإسماعيلية في قُهستان(٥٩٦هـ/١١٩٩م)، وعاد إلى الجرجانية- مدينة تقع بولاية خوارزم-بجثمان والده الذي مات في الطريق، وجلس لتقبل العزاء فيه.

بدأ علاء الدين محمد عهده بسلسلة حروب، كان دافعها اجتياح الغوريين -حكام المناطق الجبلية فيما يعرف اليوم بأفغانستان- أملاك الخوارزميين في خراسان، مستصغرين شأنه لدى علمهم بوفاة والده وجلوسه على العرش، واضطر للتوجه على رأس قواته إلى خراسان خمس مرات بين٥٩٦ و٦٠٣هـ /١٢٠٠ و١٢٠٦م من أجل استرجاع هذه الأملاك، وانتهت حروبه في خراسان إلى استرجاع أملاكه حتى هراة، بعد وفاة السلطان شهاب الدين الغوري(٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وهو الحاكم الوحيد في العالم الإسلامي في ذلك الوقت المؤهل لمنافسة علاء الدين، واضطرار خليفته للاعتراف بالتبعيَّة له بالخطبة والسكة، وآلت إلى حكمه أملاك الغوريين التي تمتدُّ إلى السند، واستولى على مازندران في العام التالي، كما سيطر على كرمان(٦٠٥هـ /١٢٠٨م)، وحقَّق لنفسه بذلك مركز الصدارة في مشرق العالم الإسلامي[1] .

التفت السلطان بعد ذلك نحو الشرق، وكانت قد أثقلته الجزية السنوية التي كان يدفعها ملوك خوارزم للخطا البوذيين، وكانت تتوارد عليه في عاصمته الجرجانية رسائل سكان بلاد ما وراء النهر الخاضعين لنفوذ الخطا تناشده كي يخلصهم من حكمهم، كما وعده عثمان سلطان سمرقند -سليل أحد فروع الإيلك خانية- منذ ٦٠٤هـ/١٢٠٧م أن يدفع له ما كان يُؤدِّيه للخطا من أموال، بالإضافة إلى الخطبة والسكة باسمه، وصادفت هذه الدعوات هوى في نفس السلطان؛ للظهور بمظهر الزعيم الإسلامي المحرر للمسلمين من نير حكامهم الوثنيين، وزاد من رغبته ما وصله من كوچلك

---

(١) انظر: د. عفاف سيد صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة ١٩٨٧م، ص٣٥-٦٧

خان زعيم قبيلة النايمان المغولية يفصح له عن رغبته في خيانة الخطا الذين لجأ إليهم(٦٠٥هـ/١٢٠٨م) عند رفضه الخضوع لچنگيز خان، وعلى اقتسام أملاكهم مع السلطان، ولذلك حين حضر سفير الخطا إلى الجرجانية (٦٠٧هـ/١٢١٠م) وأغلظ في طلب الجزية، ألقى به في نهر جيحون .

كان للنصر الذي أحرزه السلطان على الخطا رنة فرح في ممالكه، فأضاف لألقابه لقب "الإسكندر الثاني"، وحمل نقش خاتمه عبارة "ظل الله في الأرض "، ولما عاد إلى خوارزم، زوَّج ابنته من عثمان سلطان سمرقند، وزالت دولة الخطا من الوجود، وأصاب السلطان من أملاكها "ما وراء النهر".

لم تُجْدِ حملة السلطان إلى بلاد القبچاق عبر سيحون شمالًا(٦٠٦هـ /١٢٠٩م) في حين نجحت حملته الثانية(٦١٣هـ/١٢١٦م) في الاستيلاء على مدينة "سقناق"، على مجرى سيحون الأوسط، وأمنت له السيطرة على جزء من شواطئه الشمالية، والمناطق المتاخمة لها، كما أتم قادته بين٦٠٧ و٦١٤هـ/١٢١٠ و١٢١٧م، إخضاع سائر أجزاء إيران. وهكذا استطاع علاء الدين محمد خوارزم شاه الاستيلاء على معظم إقليم خراسان، والقضاء على دولة الخطا سنة(٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، واستولى على بلاد ما وراء النهر، وأخضع لسلطانه مكران وكرمان والأقاليم الواقعة غربي نهر السند، وسيطر على ممتلكات الدولة الغورية في أفغانستان، فوصلت الدولة الخوارزمية بذلك إلى أقصى اتساعٍ لها، وامتدَّت سلطة علاء الدين من شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالًا إلى المحيط الهندي جنوبًا، ومن السند شرقًا إلى حدود العراق غربًا[1].

---

(1)https://islamstory.com/ar/artical/3407862/

السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي:

أدى اتساع أملاك دولة الخوارزميين وسلطانهم علاء الدين محمد إلى طمعه؛ حيث وجد أنَّ الوقت قد أضحى مناسبًا ليطلب من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٢-١٢٢٥م) أن تجري الخطبة في بغداد باسمه، وكان في طلبه أشد إلحافًا من أبيه، وكان الناصر على شاكلة علاء الدين في الطموح والهمَّة، وأيضًا في التآمر والخداع والقسوة، فرفض الناصر ذلك المطلب، وكان لا يضيره لو وافق، ثم تمادى الناصر في ذلك فهجم بجيوشه على إقليم الجبال وهو من ضمن أملاك علاء الدين واحتله، وبدأ صراع طويل بين الرجلين، ولما لم يفضِ تبادل السفارات بين الطرفين سنة ٦١٤هـ/١٢٠٧م إلى نتيجة، ادعى خوارزم شاه أن الخليفة قد سقط حقه في إمامة المسلمين، لعجزه عن حفظ الثغور، وشغبه على السلطان المدافع عن الإسلام والمسلمين، وأعلن اعتناقه للمذهب الشيعي، واستصدر فتوى من بعض رجال الدين تقول: إنَّ الخلافة من حقِّ أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب، وإنَّ آل العباس مغتصبون لها، وأسقط اسم الخليفة الناصر من الخطبة، ونادى بأحد أبناء علي بن أبي طالب خليفة .

استطاع علاء الدين استعادة ما فقده في إقليم الجبال، وبدلًا من أن يتصالح مع الخليفة، ويتفقا فيما بينهما خاصَّة بعد أن لاح في الأفق خطر المغول، التفت للخليفة الناصر، وأعدَّ جيشًا جرَّارًا هدفه إزالة دولة بني العباس، واختار رجلًا علويًّا من تبريز اسمه علاء الملك ونصبه خليفة، وسار علاء الدين بنفسه إلى بغداد في شتاء٦١٧هـ/١٢١٩-١٢٢٠م، ولكنَّ جيشه تعرض طوال أربعين ليلة للرياح الشديدة والثلوج، والتي مزقته، وأهلكت الرجال والدواب، وتعرَّض من سلم من قوَّاته لهجمات سكان المناطق الجبليَّة،

فعاد خاسرًا إلى بلاده، وتغيَّر عزمه عن فتح بغداد، وكانت تلك أول صدمة قاتلة قابلته منذ أن ولي الحكم عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م .

الاحتكاك بين الدولتين الخوارزمية والمغولية :

تزامن مع اتساع الدولة الخوارزمية، وازدياد نفوذها ظهور المغول، وبروز دولتهم على يد "تيموچين" المعروف بـ"چنگيز خان"، الذي استولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين، وتوج جهوده بالسيطرة على العاصمة بكين عام ٦١٢هـ/١٢١٥م، وعقب زوال الدولة القراخطائية، وانتصارات خوارزم شاه في صحراء القرغيز، تجاورت الدولتان الخوارزمية والمغولية، ولم يكن هناك مفر من الصدام بينهما، وحدث ما لم يكن منه مفر، حيث التقى السلطان علاء الدين وهو في طريقه قاصدًا صحراء قرغيز موطن عشائر القبچاق بفرقة من الجيش المغولي بقيادة "جوجي– توشي– بن چنگيز خان"؛ تطارد المتمردين التتار، فأرسل المغول رسالة إلى السلطان بأنهم قدموا فقط لمحاربة الثوار والمتمردين، ولكن علاء الدين أغترّ بقواته، وأصدر أمره بمهاجمتهم، ورغم ضخامة الجيش الخوارزمي، لكنه لم يفلح في تحقيق نصر حاسم على تلك الفرقة؛ لمهارتها في القتال، والتي اندهش لها الجيش الخورازمي. وكان لهذا اللقاء أثره في نفس السلطان الخوارزمي، فاستشعر خطر هؤلاء الجيران الجدد، ولم يأمن غدرهم، وبدأ يتابع أخبارهم، وقد عدّ الفريقان هذه الحادثة خطأ، كما أن چنگيز خان لم يشأ أن يجاهر السلطان بالعداء بل حرص أول الأمر على مسالمته وسعى لعقد معاهدة تجارية وتبادل الرسل والسفراء معه .

حينما رجع السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه إلى عاصمته خوارزم بالقليل ممَّن نجا من رجاله، بعد فشل محاولته في السيطرة على

بغداد، كانت علاقاته مع جيرانه الجدد في الشرق –المغول– قد بلغت مرحلةً متقدمة، ورغب في التحقُّق من الشائعة التي انتشرت عن استيلاء چنگيز خان على الصين (٦١٢هـ/١٢١٥م)، والاطلاع على قوَّة الفاتح المغولي، فأوفد إليه سفارة برئاسة "بهاء الدين الرازي"، استقبلها چنگيز خان بحفاوة بالغة، وحمّلهم رسالة إلى السلطان الخوارزمي فحواها أن چنگيز خان كما يعدّ نفسه ملك الشرق، فإن خوارزم شاه يُعدّ أيضًا ملك الغرب، وأنَّه يتطلع إلى السلام والوفاق معه، وإلى حريَّة التجارة والسفر بين الدولتين، فالتجارة مهمة لهذه القبائل لتنقل الحبوب خاصة بعد دمار الصين. أوفد چنگيز خان من جانبه ثلاثة من التجار المسلمين للسلطان، وحملهم هدايا ثمينة، كما حمّلهم رسالة له، ووصل الرسل إلى بخارى؛ وعندما قرأ علاء الدين الرسالة غضب؛ لأنه أحس أن فيها معاني التهديد والوعيد والإهانة؛ فقد جاء في الرسالة قول چنگيز خان للسلطان "أنت عندي مثل أعز أولادي" "ولدنا الحبيب إلى قلوبنا"، فقد اعتبره بمنزلة الابن، ومعناه التبعية له، لا المساواة، فأنف علاء الدين من ذلك، وأخذته حميَّة الإسلام أن يكون تابعًا لهذا الكافر المشرك، ورغم غضبه من هذه العبارة فقد نزل على نصيحة أحد أعضاء الوفد –وهو خوارزمي الأصل– وقَبِلَ بعقد معاهدة سلام، وأرسل مع التجار هدايا عظيمة استبشر بها چنگيز خان، وظنَّ أنَّ علاء الدين صار من أتباعه، واستمر التجار يتردَّدون بين البلدين آمنين.

واقعة قتل تجار المغول:

قدمت قافلة من التجار من رعايا چنگيز خان(٤٥٠ تاجرًا) إلى مدينة "أترار" التابعة للدولة الخوارزمية، ثم وصلت القافلة إلى مدينة أترار على الساحل الغربي لنهر سيحون، وهي أول بلدة تقع في منطقة نفوذ السلطان،

ولها أهمية تجارية، فهي ملتقى التجارة بين الشرق آسيا وغربها، بالإضافة إلى أنها تعد مفتاح إقليم ما وراء النهر، وقد ارتاب حاكم المدينة "ينال خان"-ابن أخ والدة السلطان-في أولئك التجار، واتهمهم بأنهم جواسيس يرتدون زيَّ التجار، وبعث إلى السلطان يخبره بالأمر، فطلب السلطان منه التحفظ عليهم، حتى يرى رأيه بصددهم، لكن "ينال" قتلهم، وصادر تجارتهم، واستولى على ما بحوزتهم، وذكر بعض المؤرخين أن "علاء الدين" هو الذي أمر بهذا، ولم يقدم واليه على هذا التصرف الأحمق من تلقاء نفسه. وكان من الطبيعي أن تسوء العلاقة بين الدولتين بعد الحادث الطائش الذي أقدم عليه السلطان، دون أن يدري أن كل قطرة من دماء هؤلاء التجار كلفت المسلمين سيلاً من الدماء لم ينقطع لفترة طويلة، وأرسل جنكيز خان إلى السلطان مطالبًا بتعويضه عن الخسائر، وتسليم حاكم "أترار"؛ ليقتص منه طالما تصرف من تلقاء نفسه، لكن السلطان رفض احتجاجه، ولم يلجأ للّين، وتملكته العزة بالإثم، فقتل الوفد الذي يحمل الرسالة دون بصر بعواقب الأمور، قاطعًا كل خيط لإحلال السلام محل الحرب .

الحرب بين الخوارزميين والمغول :

كان قتل الرسل يعني إعلان الحرب بين الدولتين، وقطع كل أمل لحسن الجوار وحدوث السلام، كما كانت مذبحة أترار وموقف السلطان من أعضاء السفارة كافية لإثارة غضب جنكيز خان وإصراره على الانتقام؛ حيث قرَّر مهاجمة علاء الدين، الذي أدرك هذا، فأمر سكان مدن بخارى وسمرقند وغيرهما بالجلاء عنها، أو تحصينها خوفًا من المغول .

أخذ كل فريق يستعد للآخر، وشرع السلطان الخوارزمي يستطلع أخبار المغول، ويجيش الجيوش، ويبني الأسوار حول المدن، ويفكر في رسم

الخطط الحربية، ولا حديث له إلا في موضوع الحرب الذي شغل قلبه، وفي الوقت ذاته كان چنگيز خان يستعد للصدام المرتقب بينهما، فجهز جيوشه، وأعد أسلحته، وحشد كل ما يمكن حشده. وبعد أن أكمل استعداداته انطلق بجيشه نحو بلاد ما وراء النهر في خريف عام٦١٦هـ/١٢١٩م، معتقدًا أنه سيواجه خصمًا قويًا، يحسب له ألف حساب، وبدلاً من خروج الجيش الخوارزمي لملاقاة المغول، استقر رأي قادته على ترك المغول يعبرون نهر سيحون، واصطيادهم بعد ذلك في بلاد ما وراء النهر التي لا يعرفون مسالكها، بحيث تنقطع عنهم الإمدادات.

بلغ چنگيز خان وجيشه نهر سيحون على مقربة من مدينة "أترار" في رجب(٦١٦هـ/١٢١٩م)، ولم يشأ أن يهاجم الخوارزميين من جهة واحدة، بل من جهات متعددة تربك استعداداتهم، وتشتت وحدتهم، فقسم جيشه الذي يبلغ ما بين مائة وخمسين ألفًا إلى مائتي ألف جندي- وقد ذكر بعض المؤرخين أنه بلغ ستمائة ألف جندي- إلى أربعة جيوش :

- الجيش الأول: بقيادة ابنيه "جغتاي" و"أوكتاي"، ومهمته فتح مدينة أترار.
- الثاني: بقيادة ابنه جوجي وهو الابن الأكبر لـ"چنگيز خان"، ووجهته البلاد الواقعة على ساحل نهر جيجون .
-الثالث: مهمته الاستيلاء على مدينتي "بنكات" و"خجند" على نهر سيحون.
-الجيش الرابع: كان تحت قيادة "چنگيز خان" نفسه، وتألف من معظم الجيش المغولي، وضم القوى الضاربة، وكانت وجهته مدينة بخارى الواقعة في قلب إقليم ما وراء النهر، وكانت مهمة ذلك الجيش التصدي لقوات الخوارزميين، والحيلولة دون وصولهم للمدن المحاصرة على نهر سيحون من ناحية الشرق .

وقد نجحت الجيوش الثلاثة في مهامها المكلفة بها، فتم الاستيلاء على "أترار" بعد أن صمدت فترة تحت الحصار، وأبلى حاكمها "ينال خان" بلاءً حسنًا في الدفاع حتى نفدت المؤن، وفقد معظم رجاله، ووقع أسيرًا وقُتل، كما قتل المغول أكثر سكانها، ونهبوا الممتلكات وخرجوا منها للحاق بالجيش الذي يواصل استيلاءه على المناطق الوسطى في إقليم ما وراء النهر، ولم تكن المدن الأخرى بأسعد حالًا من أترار، فسقطت بدورها أمام الجيشين الثاني والثالث[١].

سقوط بخارى وسمرقند ونهاية السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه :

تحرك الجيش الرابع الذي ضم معظم قوات المغول إلى بخارى، تلك الحاضرة العظيمة، وهاجم المدينة بضراوة شديدة، ودارت معارك عنيفة بين الجيش الموكل بالدفاع عن المدينة، وقوات المغول لمدة ثلاثة أيام، انهارت بعدها قوى الخوارزميين، ولم يكونوا قليلي العدد، بل كانوا عشرين ألف مقاتل، وشعروا باليأس، فقرروا الانسحاب ليلاً، وتمكنوا من اختراق الجيش المغولي الذي يحاصر المدينة، وأجبروه على الارتداد، ولو أنهم صبروا، وتابعوا عدوهم المتقهقر لكان خيرًا لهم، ولكنهم آثروا السلامة تاركين المدينة المنكوبة لقدرها المحتوم أمام المغول المتوحشين، فاجتاحوا المدينة الآمنة كالجراد المنتشر في ذي الحجة٦١٦هـ/فبراير١٢١٩م، وقاتلوا من اعتصم بقلعتها، وطردوا أهلها بعد أن سلبوا ما في المدينة من أموال، ثم أعملوا السيف فيمن ظل داخل المدينة، وأحرقوا المدينة، فأصبحت قاعًا صفصفًا بعد أن كانت درة متلألئة بين حواضر العالم الإسلامي .

---

(١) انظر: حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١٣٧-١٣٩

بعد أن أجهز چنگيزخان على بخارى اتجه إلى سمرقند حاضرة إقليم ما وراء النهر، وضرب حولها حصارًا شديدًا، ودار قتال عنيف هلك فيه أكثر جند الخوارزميين؛ مما أضعف مقاومة أهل سمرقند، فطلبوا الأمان نظير تسليم المدينة، فأجابهم المغول، وما إن دخلوا المدينة حتى أعملوا السيف في أهلها بعد أن جردوهم من أسلحتهم، وأحرقوا المدينة ومسجدها على من فيه من الناس .

كانت الهزائم التي نزلت بالسلطان الخوارزمي قاسية، ولم تكن من قلة في العدد والعتاد، ولكنها نتيجة لسوء القيادة، وفرقة في الصف، وحب الدنيا، وتقاعس عن الجهاد، فسقطت الدولة المترامية في سنوات قليلة، ولم يعد أمام السلطان سوى التوجه إلى مكان آمن يعيد فيه تنظيم جيشه، ويعاود الجهاد حتى يسترد ما فقده، لكنها كانت أحلام بددها إصرار چنگيز خان على تتبع السلطان الفارّ من بلد إلى آخر، فواصل الزحف بجيوشه متعقبًا السلطان الذي زلزل الخوف قلبه، وفقد القدرة على المقاومة والصمود، فظل ينتقل من بلد إلى آخر، وجند المغول تطارده، حتى انتهى به المطاف إلى همدان في نحو عشرين ألفًا من جنوده. وفي هذه الأثناء تمكن المغول من السيطرة على إقليم خوارزم، أهم ولايات الدولة، وأسروا "تركان خان" والدة السلطان، ومن معها من أبنائه وبناته، فلما قُدّموا إلى چنگيز خان أمر بقتل أبناء السلطان الخوارزمي، وكانوا صغار السن، وزوّج أبناءه وبعض قادته من بنات السلطان. وحينما علم السلطان بتلك الأنباء المفجعة ازداد غمًا على غم، وأصابه الحزن والهم، وكان قد انتهى به الفرار إلى جزيرة "آبسكون" في بحر قزوين، يحوطه اليأس والقنوط، فأسلم نفسه للأحزان، ولم يقو على دفعها، وسيطر عليه القلق، وحلت به الأمراض، ولم تكفّ عيناه عن البكاء

على المجد الضائع، وظل على هذا الحال حتى أسلم الروح في١٣من شوال ٦١٧هـ/٩ من ديسمبر١٢٢٠م، وقبل وفاته أوصى لابنه جلال الدين بالسلطة، فحمل راية الجهاد، وواصل رحلة الكفاح[1].

السلطان جلال الدين:

تولّى جلال الدين السلطنة في ظروف قاسية تحتاج إلى رجال أقوياء تزيدهم المحن صلابة، وكان جلال الدين من هؤلاء، لكن الظروف التاريخية كانت أقوى منه فتولى الحكم والمغول يسيطرون على بلاد ما وراء ا لنهر، وهي أهم أجزاء دولته المتداعية، وملكوا إقليم مازندران رغم مناعته، وسيطروا على الري وقزوين وتبريز عاصمة آذربايجان وبلاد الكرج. وبعد أن أجهز چنگيز خان على بلاد ما وراء النهر، وبلاد العراق العجمي وآذربايجان، شرع في السيطرة على خراسان، وسيطر المغول عام ٦١٨هـ/١٢٢٠م على مدينة بلخ، ومدينة مرو حاضرة الدولة الخوارزمية، وقتلوا فيها نحو ٧٠٠ ألف مسلم، ثم ساروا إلى نيسابور فاستولوا عليها، ثم طوس فأخذوها دون عناء، ثم بسطوا سيطرتهم على هراة .

بدأ جلال الدين عهده بأن اتخذ من غزنة قاعدة للجهاد الإسلامي ضد المغول، وحشد بها جيشًا كبيرًا بلغ سبعين ألف مقاتل من الفلول الهاربة من المغول، وممن أخذتهم الغيرة على الإسلام وحب الجهاد من المتطوعين، ثم بدأت طلائع جيش المغول تزحف نحو غزنة للاستيلاء عليها والقضاء على السلطان الجديد قبل أن تشتد شوكته، ففاجأها جلال الدين بهجوم خاطف في

---

(1) انظر: حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١٤٣-١٥٢

ربيع الأول(٦١٨هـ/١٢٢١م) لم تصمد له ولحقتها هزيمة كبيرة قُتل منهم ألف رجل؛ فكان لذلك أثر عظيم في نفسه استرد به ثقته .

هزيمة جلال الدين أمام المغول وفراره إلى الهند:

انسحب أحد قادة جيش جلال الدين بقسم كبير، حيث تنازعوا فيما بينهم على الغنائم التي حصلوا عليها، واتجه إلى سهل يقع غربي نهر السند حين علم بقدوم المغول بقيادة چنگيز خان إلى إقليم غزنة؛ للانتقام من جلال الدين؛ والثأر لهزيمة جيشه على يديه. وجمع جلال الدين السفن ليعبر بها إلى نهر السند هو وجنوده إلى الهند لعله يجد فيها مأمنه، ولكن بحّارة السفن لاذوا بالفرار حين علموا بقدوم چنگيز خان، تاركين السلطان وجنوده على الشاطئ، فاضطروا لخوض معركة غير متكافئة، ثبت فيها جلال الدين لكنها انتهت بهزيمته، وقذف جلال الدين بنفسه في النهر، وتبعه ما بقي من رجاله وعبروا النهر إلى الضفة الأخرى، ووقع في الأسر ابن للسلطان، وكان طفلًا في الثامنة، ولكن چنگيز خان لم يرحم طفولته فقتله بيده، ولما عبر السلطان إلى الجهة الأخرى رأى والدته وأم ولده وحريمه يصحن بأعلى صوتهن: "بالله عليك اقتلنا وخلّصنا من الأسر"، فأمر بإغراقهن، واستولى چنگيز خان على غزنة.

اتجه جلال الدين إلى الهند مع الناجين من رجاله وكانوا أربعة آلاف على هيئة مزرية، وقضى السلطان في الهند ثلاث سنوات(٦١٨-٦٢١هـ) جمع فيها قوة كبيرة من الجند الفارين من وجه المغول في الهند، وانضم إليه كثير من القادة الخوارزميين الذين قدموا إليه، وآلاف من المتطوعين الراغبين في الدفاع عن الإسلام، ونجح في مهاجمة بعض الأقاليم الهندية الواقعة في حوض نهر السند وغنم منها غنائم كثيرة وأخضعها لسلطانه .

عودة جلال الدين من بلاد الهند وجهاده ضد المغول :

بعد رجوع چنگيز خان إلى منغوليا عام٦٢١هـ/١٢٢٤م، انسحبت جيوشه من أقاليم الدولة الخوارزمية التي كانت تحتلها، فلما عزم السلطان جلال الدين على مغادرة الهند، زيّن له قادته انتزاع السلطة من يد أخيه "غياث الدين"؛ لأنه الخليفة الشرعي لأبيه، فاستجاب لرغبتهم، وعبر نهر السند عام٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وأسرع إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية الواقعة تحت سيطرة أخيه فاستولى على غزنة وكرمان، ثم نجح بالحيلة في هزيمة أخيه واسترداد ما كان تحت يديه من المدن والأقاليم، وتوافد عليه قادة الدولة الخوارزمية الذين كانوا تحت إمرة أخيه، وأعلنوا تبعيتهم له، ومبايعته سلطانًا على الدولة الخوارزمية، وصالح أخاه، وامتد سلطانه على أقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخراسان ومازندران .

انتهز جلال الدين فرصة انشغال المغول باختيار خليفة لـ" چنگيز خان" بعد وفاته عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، وأعلن الجهاد ضد الغول، ونجح في هزيمة قوتين مغوليتين قرب أصفهان في عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، لكنه لم ينجح في وقف الهجمة المغولية التي بعثها "أوكتاي" خاقان المغول الجديد، والذي كان قد أرسل جيشًا قوامه ٣٠ ألف مقاتل لشن حرب شاملة على جلال الدين، فعبر نهر جيحون، ووصل بسرعة إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية واستولى على الري وهمدان وما بينهما، ووصل آذربايجان عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م، ولم يستطع جلال الدين مواجهتهم، وفرّ من أمامهم، وكانوا في إثره يطاردونه حتى تبريز، وأرغموه على التقهقر إلى سهل "موقان" المجاور للساحل الغربي من بحر قزوين قبل أن يتمكن من جمع جيوشه، واستنجد بالخليفة العباسي وأمراء ديار بكر، ولكنهم تقاعسوا عن نصرته، وتركوه يلقى

نهايته وحيدًا، فلما وصل إلى "آمد" في أعالي نهر دجلة لحق به المغول وهزموه شر هزيمة، وقتلوا كثيرًا من جنده، واستولوا على ما بيده من سلاح .

لجأ جلال الدين إلى جبال كردستان بعد أن يئس المغول من تتبعه للقضاء عليه، وظل هناك هائمًا على وجهه حتى عثر عليه رجل كردي، فأخذه إلى منزله، وخرج ليدبر له بعض خيوله؛ ليستعين بها السلطان في رجوعه إلى بلاده، وبينما كان الكردي غائبًا عن منزله، أتى كردي آخر لزيارته، فلما دخل المنزل، رأى السلطان فعرفه، وكان قد قتل أخًا له في إحدى غزواته، فضربه بحربة بيده، فسقط السلطان قتيلًا، وكان ذلك في ١٥شوال ٦٢٨هـ/٩ أكتوبر ١٢٣٩م. وبمقتله سقطت الدولة الخوارزمية أمام المغول الذين سيطروا على أراضيها، وبدأت بعد ذلك مرحلة جديدة للغزو المغولي قادها هولاكو حفيد چنگيز خان، فسقطت على يديه بغداد وحلب ودمشق[١] .

---

(١) انظر: د.عبد السلام عبد العزيز فهمي: الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م، ص٧٥-٩١

ثانياً : المغول

الحالة العامة للعالم الإسلامي قبيل الغزو المغولي :

في الوقت الذي ظهرت فيه القوة المغولية مع بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وتحديدًا في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م، كانت هناك عدة عوامل كانت سببًا مباشرًا في ظهورها، أولى هذه العوامل وأهمها الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي، حيث كان يعيش في حالة كبيرة من التشتت والضياع والتناحر، فقد انقسم إلى مجموعة من الدول والممالك .

كانت علامات الضعف قد ظهرت على الخلافة العباسية في بغداد قبل ظهور خطر المغول، وهذا الضعف كانت له جذوره العميقة التي بدأت منذ سيطرة العناصر الفارسية على الخلافة العباسية، وظهور الخلاف بين العرب والفرس، ثم دخول العناصر التركية إلى السلطة في بغداد، وبذلك أصبح يتطلع إلى السلطة ثلاثة عناصر هي: العرب والفرس والأتراك. وقد نجح حكام البويهيون في السيطرة على الخليفة في بغداد، وطغى نفوذهم على نفوذ الخلفاء العباسيين، وبدا حكام الولايات في الاستقلال بولاياتهم، والاكتفاء بالولاء الاسمي للخلافة العباسية، فتمزقت الروابط القوية التي تربط الخلافة بتلك الولايات. كما تعرضت الخلافة العباسية أيضًا لسيطرة الأتراك السلاجقة، وقد سيطر هؤلاء على الخلافة واتخذ حكامهم لقب السلطان، وعرف حكامهم الأوائل باسم السلاطين العظام، وظل الخليفة في بغداد وفي قصره بلا قوة، وتصرف هؤلاء السلاطين في الأراضي والمدن ومنحوها إقطاعيات للأمراء وذوي الشأن، والذين حكموها تحت اسم الأتابكة، وعندما انهار سلطان السلاجقة العظام كانت بلاد أعالي الفرات وشمال الشام وجنوبه عبارة عن دويلات لا تتعدى المدينة وما حولها، فضلًا عن الصراع

الذي اندلع بين الدولة الفاطمية في مصر وهؤلاء الأتابكة في الشام. وعلى هذه الصورة انفصلت أقاليم الدولة عن الحكومة المركزية ببغداد، وصارت عاجزة عن مواجهة أي غزو عسكري. وباقتراب الخطر المغولي لم يكن وضع الخلافة العباسية بحال أفضل، فقد كانت القوى الإسلامية في تلك الفترة مفككة ويسود بينها التنافس والتشاحن من ناحية، ومن ناحية أخرى انتابها الذعر مما فعله المغول .

قبائل المغول :

كانت القبائل المغولية في مستهل القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي) تعيش في هضبة منغوليا الواقعة شمال صحراء جوبي بين بحيرة "بايكال" في الغرب وجبال "خِنجان" على حدود "منشوريا" في الشرق. وكانت هذه القبائل تعيش على الصيد والقنص، ويتغذون باللحم ولبن الخيل، ولم يكن لهم دور يذكر في التاريخ قبل ظهور چنگيز خان، بل كانوا ينقسمون إلى عدة قبائل، أهمها:

* قبيلة قيات: وتعرف باسم (بورجقين)، وهي طائفة صّغيرة جاء منها چنگيز خان، وقد كانوا يعيشون في جبال قرا قورم وشواطئ الشّعب العليا.

* قبيلة أويرات (أويراد): وهي من أصل مغولي إلا أن لغتها تختلف قليلًا عن لغة القبائل المغولية الأخرى، وهي قبيلة كثيرة العدد كانت تقيم في المنطقة الواقعة بين بحيرة بايكال ونهر أونن .

* قبيلة النّايمان: وهي من قبائل الأتراك الّذين غلب عليهم الطّابع المغولي، وكانوا يقيمون في أقاصي الغرب، حيث كانوا يقطنون الحوض الأعلى لنهر أرخن ومنحدرات جبال التاي وحول البحيرات الواقعة في تلك المنطقة، ويدينون بالمسيحية كقبيلة كرايت؛ ولكنهم كانوا في نزاع معهم، وقد أخذ

"النايمان" مبادئ ثقافتهم من الأويغور جيرانهم في الجنوب؛ وكان "النايمان" من البدو الرُّحل، يقيم بعضهم في مناطق الجبال الوعرة، ويقيم البعض في الصحاري .

* قبيلة كرايت: موطنهم الأصلي الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين العظيم، وهم من المغول، وهي أقوى القبائل المغولية في الفترة الممتدة من القرن الخامس وحتى السّادس الهجري.

* قوم مركيت: يطلق عليهم أيضًا اسم "مكريت"، وكانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا جنوب بحيرة بايكال، ولهم جيش قوي ذو بأس شديد في الحروب، ويعدون أصلًا من جنس المغول، ولكنهم قاموا بعدة حروب ضد چنگيز خان وأونك خان؛ وعرف عنهم ميلهم إلى الشغب وإثارة الفتن؛ ولذا شن عليهم چنگيز خان حربًا شعواء غاية في القسوة، ولم ينج منهم إلا الهاربين، أو الذين اختبأوا لدى أقربائهم[١] .

چنگيز خان وتأسيس الدولة المغولية :

لا شك أن "چنگيز خان" يعد أحد أقسى الغزاة الذين ابتليت بهم البشرية ، وأكثرهم سفكًا للدماء، وأجرؤهم على انتهاك الحرمات وقتل الأبرياء، وحرق المدن والبلاد، وإقامة المذابح لآلاف من النساء والولدان والشيوخ، لكن هذه الصورة السوداء تخفي جانبًا آخر من الصورة، حيث التمتع بصواب الرأي وقوة العزيمة، ونفاذ البصيرة. فكان يجلّ العلماء ويحترمهم ويلحقهم بحاشيته، وكان له مستشارون من الأمم التي اجتاحها من ذوي الخبرة، كان لهم أثر لا ينكر في تنظيم الدولة والنهوض بها والارتقاء بنواحيها الإدارية والحضارية.

(١) انظر: علي محمد الصَّلاَّبي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ٢٨-٣٣

شهدت منغوليا مولد "تيموچين بن يسوكاي بهادر" في عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م، وكان أبوه رئيسًا لقبيلة مغولية تُدعى "قيات"، وعُرف بالشدة والبأس؛ فكانت تخشاه القبائل الأخرى، وقد سمّى ابنه "تيموچين" بهذا الاسم تيمنًا بمولده في يوم انتصاره على إحدى القبائل التي كان يتنازع معها، وتمكنه من القضاء على زعيمهم الذي كان يحمل هذا الاسم. ولم تطُل الحياة بأبيه؛ فقد توفِّي عام٥٦١هـ/١١٦٧م، تاركًا حملًا ثقيلًا ومسئولية جسيمة على كاهل "تيموچين" الابن الأكبر الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وما كان ليقوى على حمل تبعات قبيلة كبيرة مثل "قيات"، فانفض عنه حلفاء أبيه، وانصرف عنه الأنصار والأتباع، واستغلت قبيلته صغر سنه فرفضت الدخول في طاعته، على الرغم من كونه الوريث الشرعي لرئاسة قبيلته، والتفَّت حول زعيم آخر، وفقدت أسرته الجاه والسلطان، وهامت في الأرض تعيش حياة قاسية، وتذوق مرارة الجوع والفقر والحرمان. نجحت أم "تيموچين" في أن تجمع الأسرة المستضعفة، وتلم شعثها، وتحث أبناءها الأربعة على الصبر والكفاح، وتفتح لهم باب الأمل، وتبث فيهم العزم والإصرار، حتى صاروا شبابًا أقوياء، وبخاصة تيموچين الذي ظهرت عليه إمارات القيادة، والنزوع إلى الرئاسة، مع التمتع ببنيان قوي جعله المصارع الأول بين أقرانه، وقد تمكن "تيموچين" بشجاعته من المحافظة على مراعي أسرته؛ فتحسنت أحوالها، وبدأ يتوافد عليه بعض القبائل التي توسمت فيه القيادة والزعامة، كما تمكن هو من إجبار المنشقين من الأتباع والأقارب على العودة إلى قبيلتهم، ودخل في صراع مع الرافضين للانضواء تحت قيادته، حسمه لصالحه في آخر الأمر، حتى نجح في أن تدين قبيلته "قيات" كلها بالولاء له، وهو دون العشرين من عمره. وواصل خطته في التوسع على

حساب جيرانه، فبسط سيطرته على منطقة شاسعة من إقليم منغوليا، تمتد حتى صحراء جوبي، حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتار، ثم دخل في صراع مع حليفه رئيس قبيلة "كرايت"، وكانت العلاقات قد ساءت بينهما بسبب الدسائس والوشايات، وتوجس "أونك خان" زعيم "كرايت" من تنامي قوة تيموچين وازدياد نفوذه؛ فانقلب حلفاء الأمس إلى أعداء وخصوم، واحتكما إلى السيف، وكان النصر حليف تيموچين عام٦٠٠هـ/١٢٠٣م، فاستولى على عاصمته " قرا قورم" وجعلها قاعدة لملكه، وأصبح تيموچين بعد انتصاره أقوى شخصية مغولية، فنودي به خاقانًا، وعُرف باسم "چنگيز خان"؛ أي إمبراطور العالم في عام ٦٠٣هـ وبعد ذلك قضى ثلاث سنوات عُني فيها بتوطيد سلطانه، والسيطرة على المناطق التي يسكنها المغول، حتى تمكن من توحيد منغوليا بأكملها تحت سلطانه، ودخل "الأويغور" في طاعته .

الياسا الجنكيزية :

بعد أن استتب له الأمر، اتجه "چنگيز خان" إلى إصلاح الشئون الداخلية ، فأنشأ مجلسًا للحكم يسمّى "قوريلتاي" سنة٦٠٣هـ/١٢٠٦م ودعاه للاجتماع، وفيه تحددت لأول مرة شارات ملكه، ونظم إمبراطوريته، ووضع لشعبه دستورًا محكمًا يسمى "قانون الياسا" لتنظيم الحياة، بعد أن رأى أن الآداب والأعراف والتقاليد المغولية لا تفي بمتطلبات الدولة الجديدة، ولم تكن مدونة، فأعاد النظر في بعضها، وقبل بعضها الآخر، ورد ما رآه غير ملائم، وتناول الدستور أمورًا متعددة لتنظيم الحياة بالدولة الناشئة، وألزم أجهزة الدولة بتطبيق بنودها والعمل بموجبها، وشدد على معاقبة المخطئين .

إخضاع الصين :

اصطدم چنگيز خان بإمبراطورية الصين التي كانت تحكمها أسرة "سونج"، وكانت لا تكف عن تحريض القبائل التركية والمغولية ضد بعضها؛ كي ينشغلوا بأنفسهم وتأمن هي شرهم، فأراد چنگيز خان أن يضع حدًا لتدخل الصينيين في شئون القبائل المغولية، وفي الوقت نفسه تطلع إلى ثروة الصين وكنوزها، فاشتبك معها لأول مرة في سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، واستطاع أن يحرز عددًا من الانتصارات على القوات الصينية، ويُخضع البلاد الواقعة في داخل سور الصين العظيم، ويعين عليها حكامًا من قِبله.

ثم كرر غزو الصين مرة ثانية بعد أن حشد لذلك جموعًا هائلة سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، لكنه لم يحقق نصرًا حاسمًا، ثم جرت محاولة للصلح بين الطرفين، لكنها لم تفلح، فعاود چنگيز خان القتال، واستدار بجيشه الذي كان عائدًا إلى بلاده، واشتبك مع جحافل الصين التي لم تكن قد استعدت للقتال، وانتصر عليها في معركة فاصلة، سقطت على إثرها العاصمة بكين في سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م، وكان لسقوطها دوي هائل، ونذير للممالك الإسلامية التي آوت الفارّين من أعدائه، وأظهرت ما كان يتمتع به الرجل من مواهب عسكرية في ميادين الحرب والقتال.

مطاردة أعدائه :

بعد أن فرغ چنگيز خان من حربه مع الصين اتجه ببصره إلى الغرب، وعزم على القضاء على أعدائه من قبائل النايمان والماركيت، وكان كوچلك خان بن تايانك زعيم النايمان قد تمكن بالتعاون مع السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية من اقتسام الدولة القراخطائية عام٦٠٧هـ/١٢١٠م، وأقام دولة امتدت من بلاد التبت حتى حدود الدولة

الخوارزمية، لكنه لم ينعم كثيرًا بما أقام، فقد أرسل إليه چنگيز خان جيشًا كبيرًا يقوده أحد رجاله الأكفاء، تمكن من القضاء على كوچلك وجيشه عام٦١٥هـ/١٢١٨م، كما أرسل ابنه "جوجي" لتعقب زعيم قبيلة الماركيت، فقضى عليه وعلى أتباعه .

الصدام مع الدولة الخوارزمية :

لم يكن چنگيز خان بعد أن اتسع سلطانه، وامتد نفوذه يسعى للصدام مع السلطان علاء الدين خوارزم شاه، بل كان يرغب في إقامة علاقة طيبة، وإبرام معاهدات تجارية معه، فأرسل إليه ثلاثة من التجار المسلمين لهذا الغرض، فوافق السلطان علاء الدين محمد مضطرًا، بعد أن شعر أن الرسالة تحمل في طياتها التهديد والوعيد، وكان في السلطان أنفة وكبرياء، فأسّرها في نفسه، وإن لم يبدها في الحال. ثم حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد قدم جماعة من التجار من رعايا چنگيز خان إلى مدينة "أترار" التابعة للدولة الخوارزمية، وكانوا جميعهم من المسلمين، وبلغ تعدادهم نحو ٤٥٠ تاجرًا، يحملون أصنافًا مختلفة من البضائع، وبدلًا من أن يمارسوا عملهم في البيع والشراء، اتهمهم حاكم المدينة "ينال خان" بأنهم جواسيس يرتدون زيَّ التجار، وبعث إلى السلطان يخبره بذلك، فطلب منه التحفظ عليهم، حتى يرى رأيه في شأنهم، لكن "ينال خان" قتلهم، واستولى على ما معهم، ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان علاء الدين هو الذي أمر بهذا، وأن واليه لم يقدم على هذا التصرف الأحمق من تلقاء نفسه. وقد غضب چنگيز خان، واحتج على هذا العمل الطائش، وأرسل إلى السلطان محمد يطلب منه تسليم "ينال خان" ليعاقبه على جريمته، لكن السلطان رفض احتجاج چنگيز خان، ولم يلجأ إلى اللين والتلطف، بل وأقدم على قتل الوفد الذي حمل الرسالة دون

بصر بعواقب الأمور، فقطع كل خيط للتفاهم والسلام مع المغول، وذلك في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م.

استعد چنگيز خان لحملة كبيرة على الدولة الخوارزمية، وتحرك بجيوشه الجرَّارة إلى بلاد ما وراء النهر، فلما بلغها قسَم جيوشه عليها، وتمكن بسهولة من السيطرة على المدن الكبرى مثل "أترار" وبخارى، وسمرقند، ولم يجد ما كان ينتظره من مقاومة ودفاع، وأقدم على ارتكاب ما تقشعر لهوله الأبدان من القتل والحرق والتدمير، قتلت جيوشه سكان مدينة "أترار" عن بكرة أبيهم، وأحرق چنگيز خان بخارى تمامًا، واستباح المغول حرمة مسجدها الجامع الكبير، وقتلوا الآلاف من سكانها الأبرياء. وواصل خان المغول الزحف بجيوشه متعقبًا السلطان الخوارزمي الذي زلزل الخوف قلبه، وفقد القدرة على المقاومة والصمود، فظل ينتقل من بلد لآخر، حتى لجأ إلى إحدى الجزر الصغيرة ببحر قزوين، حيث اشتد به المرض، وتوفي عام٦١٧هـ/١٢٢٠م .

چنگيز خان وجلال الدين الخوارزمي :

تحمل جلال الدين منكبرتي لواء المقاومة بعد أبيه، فنجح في المقاومة ، وجمع الأتباع، وحشد الأنصار، وألحق الهزيمة بالمغول في معركة "بروان" –بيروان– عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، فلما سمع الناس بهذا النصر فرحوا بشدة بعد أن استبد بهم اليأس، وثارت بعض المدن على حاميتها من المغول، وكان يمكن لهذا النصر أن تتلوه انتصارات أخرى لو خلصت النية وصدقت العزيمة، لكن سرعان ما نشب خلاف بين قادة جيوش جلال الدين، وانسحب أحدهم بمن معه غير مدرك عظم المسئولية، فانهار حلم الدفاع، وتهاوى جلال الدين أمام جحافل المغول، وتوالت الهزائم بعدما خارت العزائم، واضطر للانسحاب والفرار إلى الهند. وعندما اطمأن چنگيز خان إلى ما

حقق عاد إلى منغوليا لإخماد ثورة قامت ضده هناك، وتمكن من إخمادها. وعاد جلال الدين من بلاد الهند، واستمر في جهاده ضد المغول حتى اغتياله في شوال ٦٢٨هـ/ أكتوبر ١٢٣٩م.

وفاته :

نجح چنگيز خان في إقامة إمبراطورية مترامية الأطراف، مرهوبة الجانب، ضمت أقاليم الصين الشمالية، واستولت على العاصمة بكين، ثم اصطدم بالدول الخوارزمية التي كانت تجاوره بسبب سوء تصرف حاكمها "علاء الدين خوارزم شاه". وانتهى الأمر بسقوط الدولة وحواضرها المعروفة مثل: "بخارى"، "وسمرقند"، و"نيسابور" في يد المغول بعد أن قتلوا كل من فيها من الأحياء، ودمروا كل معالمها الحضارية، وسيطرت دولته على المنطقة الشرقية من العالم الإسلامي، وتوفي چنگيز خان بالقرب من مدينة "تس جو" في١١ رمضان ٦٢٤هـ/٢٥ أغسطس١٢٢٧م، ودُفن في منغوليا، وخلفه فى الحكم ابنه "أوگتاي قا آن"، ومن بعده "كيوك خان" ابن "أوگتاي" ثم "منگوقاآن" ابن "تولوي" .

القضاءعلى طائفة الإسماعيلية واجتياح عاصمة الخلافة العباسية :

بعد سلسلة من الصراعات على تولي السلطة بين أمراء البيت الحاكم تولى "منگوقاآن بن تولوي بن چنگيز خان) عرش المغول في ذي الحجة ٦٤٨هـ/أبريل١٢٥٠م. وبعد أن نجح في إقرار الأمن وإعادة الاستقرار في بلاده اتجه لغزو البلاد التي لم يتيسر فتحها من قبل، فأرسل أخاه الأوسط "قوبيلاي" على رأس حملة كبيرة للسيطرة على جنوب الصين ومنطقة جنوب شرق آسيا، وأرسل أخاه الأصغر هولاكو لغزو إيران وبقية بلاد العالم

الإسلامي، وعهد إليه بالقضاء على طائفة الإسماعيلية، وإخضاع الخلافة العباسية .

خرج هولاكو على رأس جيش كبير يبلغ ١٢٠ ألف جندي من خيرة جنود المغول المدربين تدريبًا عاليًا في فنون القتال والنزال، ومزودين بأسلحة الحرب وأدوات الحصار، وتحرك من "قرا قورم" عاصمة المغول عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م متجهًا نحو الغرب تسبقه سمعة جنوده في التوغل والاقتحام ، وبأسهم الشديد في القتال، وفظائعهم في الحرب التي تزرع الهلع والخوف في النفوس، ووحشيتهم في إنزال الخراب والدمار في أي مكان يحلون به .

القضاء على طائفة الإسماعيلية :

عندما وصل هولاكو إلى الأراضي الإيرانية، خرج أمراؤها لاستقباله بالهدايا الثمينة وأظهروا له الولاء والخضوع، وبعد أن اطلع هولاكو على أوضاع قلاع الإسماعيلية وزعيمهم ركن الدين خورشاه ، قرر أن يقوم هولاكو بنفسه بفتح بقية أوكار الفدائيين وأن يقضي على تلك الفئة بإخضاع خورشاه، فتحرك صوب خرقان وبسطام، ومن بسطام أوفد رسولين من قبله إلى خورشاه يدعوه للاستسلام، وبمشورة من خواجه نصير الدين الطوسي الذى كان آنذاك في حصن "ميمون دژ" أعلن استعداده للاستسلام، وأوفد أخاه وأحد نوابه إلى هولاكو. فأكرم هولاكو وفادة رسولي الإسماعيلية وبعث برسالة إلى خورشاه بأن يقوم بتخريب قلاعه لو كان مستعداً بالفعل للطاعة وأن يسرع بالمثول بين يديه، فأمر خورشاه بهدم بعض جدران قلاع لنبه سر وميمون دژ وألموت، وطلب مهلة سنة للمثول بين يدى هولاكو، فأدرك الأخير أن خورشاه لا ينوى الاستسلام، فزحف صوب القلاع الأصلية للملاحدة عن طريق بسطام، وأرسل كيتو بوقا من طريق سمنان ، وأرسل

جماعة أخرى من جيشه إلى مازندران، واستولوا على برلار ودماوند من ناحية ، ودخلوا ولاية رودبار الجبلية من ناحية أخرى واقتربوا من قلعة ميمون دژ. واستولى هولاكو في أواخر رمضان ٦٥٤هـ على المعابر الوعرة بين رودبار وطالقان وضرب حصاراً حول القلعة في مساحة يبلغ قطرها ستة فراسخ . ولكن سرعان ما أدرك أن فتح ذلك الحصن الحصين ليس بالأمر اليسير، خاصة أن الشتاء كان على الأبواب ولم يكن إعداد المؤن أمراً سهلاً، فجدد الدعوة لخورشاه بالاستسلام، ووجد خورشاه أنه لم تعد لديه القدرة على المقاومة وأن المحاصرين داخل حصن ميمون دژ لم يعد لديهم استعداد للمقاومة، فأوفد ابنه و"خواجه نصير الدين الطوسي" إلى هولاكو ، وغادر هو نفسه الحصن في أواخر ذى القعدة ٦٥٤هـ، ومثل بين يدي هولاكو، وبذلك انتهى عهد الإسماعيلية الذي دام لمدة ١٧٧عامًا. استقبل هولاكو خورشاه بكل احترام، وأمر رجاله بهدم حصن ميمون دژ ضمن ما يقرب من مئة قلعة أخرى من قلاع الإسماعيلية في تلك المنطقة وفي قهستان. أغار هولاكو على حصون الإسماعيلية التي كانت تحوى نفائسهم ومؤنهم وقسم محتوياتها على جيشه، وأجبر خورشاه على إصدار أمر لمحتشم قلعة ألموت الملقب بـ" سپهسالار" بالتسليم، وكذلك فعل خورشاه، إلا أن سپهسالار رفض، فأمر هولاكو جنوده بفتح القلعة، وبعد ثلاثة أيام من القتال الشرس، تم له فتح ألموت كغيرها من قلاع الإسماعيلية، وسقط بذلك آخر معاقل الفدائيين الكبرى في يد المغول، ودخل المغول الوكر الأصلي لحسن الصباح وأتباعه وحطموا مجانيقهم ونهبوا أموالهم وخزائنهم واستولوا على المكتبة النفيسة التي أسسها الإسماعيلية في ألموت على مدار سنوات طويلة وذاع صيتها في أرجاء الدنيا ، وأمر هولاكو بتدميرها . واستأذن عطا

ملك الجويني الذى رافق هولاكو في تلك الحملة للإطلاع على الكتب في تلك المكتبة وأن يحصل على النفيس منها على أن يتم حرق ما يتعلق منها بأفرع المذهب الإسماعيلي. فدخل مكتبة الإسماعيلية وانتقى منها المصاحف وأدوات التنجيم والرصد وغيرها من نفائس الكتب، وأتلف بقية الكتب. ومن بين النفائس التي أنقذها مؤلف بعنوان "سرَگذشت سيدنا"–سيرة سيدنا– عن الإسماعيلية وسيرة حسن الصباح وخلفائه. وبعد أن أقام ركن الدين خورشاه لعدة أيام في معسكر هولاكو، ذهب إلى منگو قاآن لمقابلته بناء على طلب منه هو نفسه، إلا أن الخان المغولي رفض مقابلته، فعاد خورشاه إلى إيران وانتهى أمره بالقتل على يد المغول، كما قام هولاكو بقتل ابني خورشاه وأخواته وإخوته وأقاربه بين أبهر وقزوين وأمر بقتل أي منهم في أى مكان. كما أحضر الحاكم المغولي لخراسان إسماعيلية قهستان بحجة إحصاء عددهم وقتل منهم أكثر من اثني عشر ألفًا مرة واحدة . ولكن على الرغم من كل ذلك ظل فدائيو الإسماعيلية موجودين لفترة من الزمن في مناطق مختلفة من إيران والشام، وشن المغول في عهد أباقا بن هولاكو وخلفائه الأَخرين حملات لقمع فلولهم عدة مرات . وفي النهاية استولى المغول على إحدى أشد حصونهم استحكامًا في الشام في سنة ٦٥٨هـ، وهدم حكام المماليك بمصر أوكارهم المهمة على أطراف الشام ولبنان في سنة ٦٧١هـ[١].

اجتياح بغداد عاصمة الخلافة العباسية :

نجح هولاكو في تحقيق هدفه الأول بالقضاء على الطائفة الإسماعيلية وتدمير قلاعها وإبادة أهلها، وبدأ في الاستعداد لتحقيق هدفه الآخر

---

(١) انظر: عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، ص١٩٤–١٩٦

بالاستيلاء على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية؛ فانتقل إلى مدينة "همدان"، واتخذها مقرا لقيادته، وكان أول عمل قام به أن أرسل إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله رسالة في رمضان سنة ٦٥٥هـ/ مارس١٢٥٧م، يدعوه فيها إلى أن يهدم حصون بغداد وأسوارها ويردم خنادقها، وأن يأتي إليه بشخصه ويسلم المدينة له، وأوصاه بأن يستجيب حتى يحفظ مركزه ومكانته ويضمن حريته وكرامته، وإن أبى واستكبر فسيحل بأهله وبلاده الدمار والخراب، ولن يدع أحدًا حيًا في دولته. جاء رد الخليفة العباسي على كتاب هولاكو شديدًا، ودعاه إلى الإقلاع عن غروره والعودة إلى بلاده، ثم أرسل هولاكو رسالة ثانية إلى الخليفة ذكر له فيها أنه سوف يبقيه في منصبه بعد أن يقر بالتبعية للدولة المغولية، ويقدم الجزية له؛ فاعتذر الخليفة العباسي بأن ذلك لا يجوز شرعًا، وأنه على استعداد لدفع الأموال التي يطلبها هولاكو مقابل أن يعود من حيث أتى.

كان رد هولاكو على رسالة الخليفة أشد إنذارًا وأكثر وعيدًا، وفي لهجة عنيفة وبيان غاضب وكلمات حاسمة؛ فحلّ الفزع في قلب الخليفة؛ فجمع حاشيته وأركان دولته واستشارهم فيما يفعل؛ فأشار عليه وزيره "ابن العلقمي" أن يبذل الأموال والنفائس في استرضاء هولاكو، وأن يعتذر له، وأن يذكر اسمه في الخطبة، وينقش اسمه على السكة، فمال الخليفة إلى قبول هذا الرأي في بداية الأمر، غير أن مجاهد الدين أيبك المعروف بـ"الداوتدار" رفض هذا الاقتراح، وحمل الخليفة العباسي على معارضته متهمًا ابن العلقمي بالخيانة والتواطؤ مع هولاكو؛ فعدل الخليفة عن رأيه السابق ومال إلى المقاومة .

يئس هولاكو من إقناع الخليفة العباسي بالتسليم؛ فشرع في الزحف نحو بغداد وضرب حولها حصارًا شديدًا، واشتبك الجيش العباسي الذي جهزه

الخليفة العباسي بقيادة مجاهد الدين أيبك بالقوات المغولية، فكانت الهزيمة من نصيبه، وقتل عدد كبير من جنوده لقلة خبرتهم بالحروب وعدم انضباطهم، وفر قائد الجيش مع من نجا بنفسه إلى بغداد .

كان الجيش المغولي هائلًا بلغ حوالي٢٠٠ ألف مقاتل، مزودين بآلات الحصار، ولم تكن عاصمة الخلافة العباسية تملك من القوات ما يمكنها من دفع الحصار وصد المغول، في الوقت الذي كان يظن فيه هولاكو أن ببغداد جيشًا كبيرًا، ثم تكشفت له الحقيقة حين اشتد الحصار، ونجحت قواته في اختراق سور بغداد من الجانب الشرقي، وصارت العاصمة تحت رحمتهم .

أحس الخليفة بالخطر، وأن الأمر قد خرج من يديه؛ فسعى في التوصل إلى حل سلمي مع هولاكو، لكن جهوده باءت بالفشل؛ فاضطر إلى الخروج من بغداد وتسليم نفسه وعاصمة الخلافة إلى هولاكو دون قيد أو شرط، وذلك في يوم الأحد ٤ من صفر ٦٥٦هـ/١٠ فبراير١٢٥٨م، ومعه أهله وولده بعد أن وعده هولاكو بالأمان. وكان برفقه الخليفة حين خرج ٣ آلاف شخص من أعيان بغداد وعلمائها وكبار رجالها، فلما وصلوا إلى معسكر المغول أمر هولاكو بوضعهم في مكان خاص، وأخذ يلاطف الخليفة العباسي، وطلب منه أن ينادي في الناس بإلقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لإحصائهم، فأرسل الخليفة رسولًا من قبله ينادي في الناس بأن يلقوا سلاحهم، ويخرجوا من الأسوار، وما إن فعلوا ذلك حتى انقض عليهم المغول وقتلوهم جميعًا. ودخل الغزاة المغول بغداد، وفتكوا بأهلها دون تفرقة بين رجال ونساء وأطفال، ولم يسلم من الموت إلا قليل، ثم قاموا بتخريب المساجد ليحصلوا على ذهب قبابها، وهدموا القصور بعد أن سلبوا ما فيها من تحف ومشغولات قيمة، وأتلفوا عددًا كبيرًا من الكتب القيمة، وأهلكوا كثيرا

من أهل العلم فيها، واستمر هذا الوضع نحو أربعين يومًا، وكلما مشطوا منطقة أشعلوا فيها النيران، فكانت تلتهم كل ما يصادفها، وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة، ومشهد الإمام موسى الكاظم، وغيرها من البنايات التي كانت آية من آيات الفن الإسلامي. وبالغ المؤرخون في عدد ضحايا الغزو المغولي حين دخلوا بغداد، فقدرهم بعض المؤرخين بمليون وثمانمائة ألف نسمة، على حين قدرهم آخرون بمليون نسمة، وفي اليوم التاسع من صفر دخل هولاكو بغداد مع حاشيته يصحبهم الخليفة العباسي، واستولى على ما في قصر الخلافة من أموال وكنوز، وكانت الجيوش المغولية قد أبقت على قصر الخلافة دون أن تمسه بسوء، ولم يكتف هولاكو بما فعله جنوده من جرائم وفظائع في العاصمة التليدة التي كانت قبلة الدنيا وزهرة المدائن ومدينه النور، وإنما ختم أعماله الهمجية بقتل الخليفة المستعصم بالله ومعه ولده الأكبر وخمسة من رجاله المخلصين الذين ظلوا معه ولم يتركوه في هذه المحنة. وبمقتل الخليفة العباسي في ١٤صفر٦٥٦هـ/٢٠فبراير ١٢٥٨م انتهت دولة الخلافة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي خمسة قرون من العاصمة بغداد[١]، لتبدأ بعدها بقليل في القاهرة عندما أحيا الظاهر بيبرس الخلافة العباسية من جديد.

اهتز العالم الإسلامي لسقوط الخلافة العباسية التي أظلّت العالم الإسلامي أكثر من خمسة قرون، وبلغ الحزن الذي ملأ قلوب المسلمين مداه حتى إنهم ظنوا أن العالم على وشك الانتهاء، وأن الساعة آتية عما قريب لهول المصيبة التي حلّت بهم، وإحساسهم بأنهم أصبحوا بدون خليفة، وهو أمر لم يعتادوه منذ وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).

---

(١) انظر: د. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول، ص٢٣٦-٢٦٧

اجتياح بلاد الشام :

شرع هولاكو بعد سقوط بغداد في الاستعداد للاستيلاء على بلاد الشام ومصر، وفق الخطة التي وضعها له أخوه "منكوقا آن" فخرج من آذربايجان في رمضان(٦٥٧هـ/١٢٥٩م) متجهًا إلى الشام، ونجح بالتعاون مع حلفائه المسيحيين في الاستيلاء على "ميافارقين" بديار حلب، وهي أول مدينة بدأت بها الحملة المغولية، وبعد سقوط "ميافارقين" واصل هولاكو زحفه نحو "ماردين" فسقطت بعد ثمانية أشهر، وفي أثناء حصار "ميافارقين" كانت قوات من جيش هولاكو تغزو المناطق المجاورة، فاستولت على "نصيبين" و"حران" و"الرها" و"البيرة". بعد ذلك تقدم هولاكو على رأس قواته لحصار حلب، ونصب المغول عشرين منجنيقًا حول المدنية وصاروا يمطرونها بوابل من القذائف حتى استسلمت في١٩صفر٦٥٨هـ/٣١يناير ١٢٦٠م، وبعد حلب سقطت قلعة "حارم" و"حمص" و"المعرة"، وأصبح طريق الحملة مفتوحًا إلى دمشق. ولما وصلت الأنباء باقتراب المغول من دمشق فرَّ الملك "الناصر يوسف الأيوبي" مع قواته، تاركًا مدينته لمصيرها المحتوم، ولم يكن أمام أهالي دمشق بعدما عرفوا ما حل بحلب بعد مقاومتها لهولاكو سوى تسليم مدينتهم، حتى لا تلقى مصير حلب، فسارع عدد من أعيانها إلى زعيم المغول يقدمون الهدايا ويطلبون منه الأمان، في مقابل تسليم مدينتهم فقبل هولاكو ذلك، ودخل المغول المدينة في١٧من صفر٦٥٨هـ/٢فبراير ١٢٦٠م.

رحيل هولاكو المفاجئ إلى إيران وهزيمة المغول في عين جالوت :

أدى تحقيق الانتصارات المتتالية للمغول إلى الاعتقاد بأنه لن تستطيع قوة في الأرض أن تتصدى لهم، وأن هؤلاء بلاء من الله سلطه على المسلمين الذين ركنوا إلى الراحة، وأهملوا قرآنهم وسُنّة نبيهم، وخارت

عزائمهم. وفي وسط هذه الحيرة جاءت الأنباء إلى هولاكو بوفاة أخيه "منگوقا آن خان" في شعبان ٦٥٧هـ/أغسطس ١٢٥٩م، وكان من الضروري تواجده أثناء اختيار خان المغول الجديد، لرغبته في مساندة ترشيح أخيه الأوسط "قوبيلاي" لهذا المنصب، فاضطر إلى العودة إلى إيران، وأبقى قوة من جنده تحت إمرة أمهر قواده كيتوبوقا (كتبغا) لإتمام عملية الغزو. وقبل أن يغادر هولاكو الشام(سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) أرسل إلى قطز رسالة كلها وعيد وتهديد، يدعوه فيها إلى الاستسلام وإلقاء السلاح، وأنه لا جدوى من المقاومة أمام قوة كُتب النصر لها دائمًا، غير أن السلطان قطز لم يهتز لكلمات هولاكو، أو يتملكه الخوف والفزع كغيره من قادة الشام، وكان قطز على قدر الحدث العظيم والخطب الجلل، فقتل رُسل هولاكو، وخرج للقتال ولم ينتظر قدوم المغول، والتقى الفريقان في ١٥رمضان ٦٥٨هـ /٢٤ أغسطس١٢٦٠م في موقعة "عين جالوت" بفلسطين، وحمل المسلمون على المغول الذين كانوا تحت قيادة كتبغا حملة صادقة، وقاتلوهم باستبسال وشجاعة، فكتب الله لهم النصر، وهُزِم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصر عليهم، وكان لهذا النصر أثره العظيم في تاريخ المنطقة العربية والعالم الإسلامي، بل في تاريخ العالم بأسره؛ حيث احتفظت مصر بما لها من حضارة ومدنية، وطردت المغول من دمشق، وأصبحت بلاد الشام حتى نهر الفرات تحت حكم المماليك، وخلّصت أوربا من شر عظيم لم يكن لأحد من ملوكها قدرة على دفعه. حاول هولاكو أن يثأر لهزيمة جيشه في عين جالوت، ويعيد للمغول هيبتهم في النفوس؛ فأرسل جيشًا إلى حلب فأغار عليها ونهبها، ولكنه تعرّض للهزيمة بالقرب من حمص في المحرم٦٥٩هـ/ديسمبر ١٢٦٠م، فارتد

إلى ما وراء نهر الفرات. ولم تساعد الأحوال السياسية المغولية في أن يعيد هولاكو غزواته على الشام ويستكمل ما بدأه، فبعد موت "منكوقا آن" تنازع أمراء البيت الحاكم السلطة، وانقسمت الإمبراطورية المغولية إلى ثلاث خانات مستقلة، استقل هولاكو بواحدة منها هي خانية فارس، ثم دخل هولاكو في صراع مع "بركة خان" صاحب القبيلة الذهبية، "مغول القبجاق" (جنوب روسيا)، واشتعلت الحرب بينهما. وأدى هذا الصراع إلى تعطل النشاط الحربي لهولاكو في الشام، ثم ما لبث أن أدى نشوب الحروب الداخلية بين أمراء المغول إلى توقف عمليات الغزو والتوسع تمامًا. ورغم ما اشتهر به هولاكو من قوة وغلظة وإسراف في القتل وسفك الدماء، لم يغفل تشجيع رجال الأدب والعلم، فحظي "الجويني" المؤرخ الفارسي المعروف بتقدير هولاكو، ونجح في إقناع هولاكو بألا يحرق مكتبة الإسماعيلية، ويؤثر عنه أنه كلف العالم الرياضي "نصير الدين الطوسي" ببناء مرصد في مدينة "مراغة" زوده بأدق الأجهزة المعروفة في زمانه، ويقال بأن المكتبة التي أنشأها الطوسي وألحقها بالمرصد كانت تحوي ما يزيد على ٤٠٠ ألف مجلد.

توفي هولاكو في ١٩ من ربيع الأول ٦٦٣هـ/٩ من يناير ١٢٦٥م بالقرب من مراغة وهو في الثامنة والأربعين من عمره، تاركًا لأبنائه وأحفاده مملكة فسيحة عرفت بإيلخانية فارس، ولم تلبث زوجته "دوقوز خاتون" أن لحقت به، وحزن لوفاتهما المسيحيون بالشرق، وعدّوهما من القديسين .

(شجرة نسب أسرة چنگيز خان)

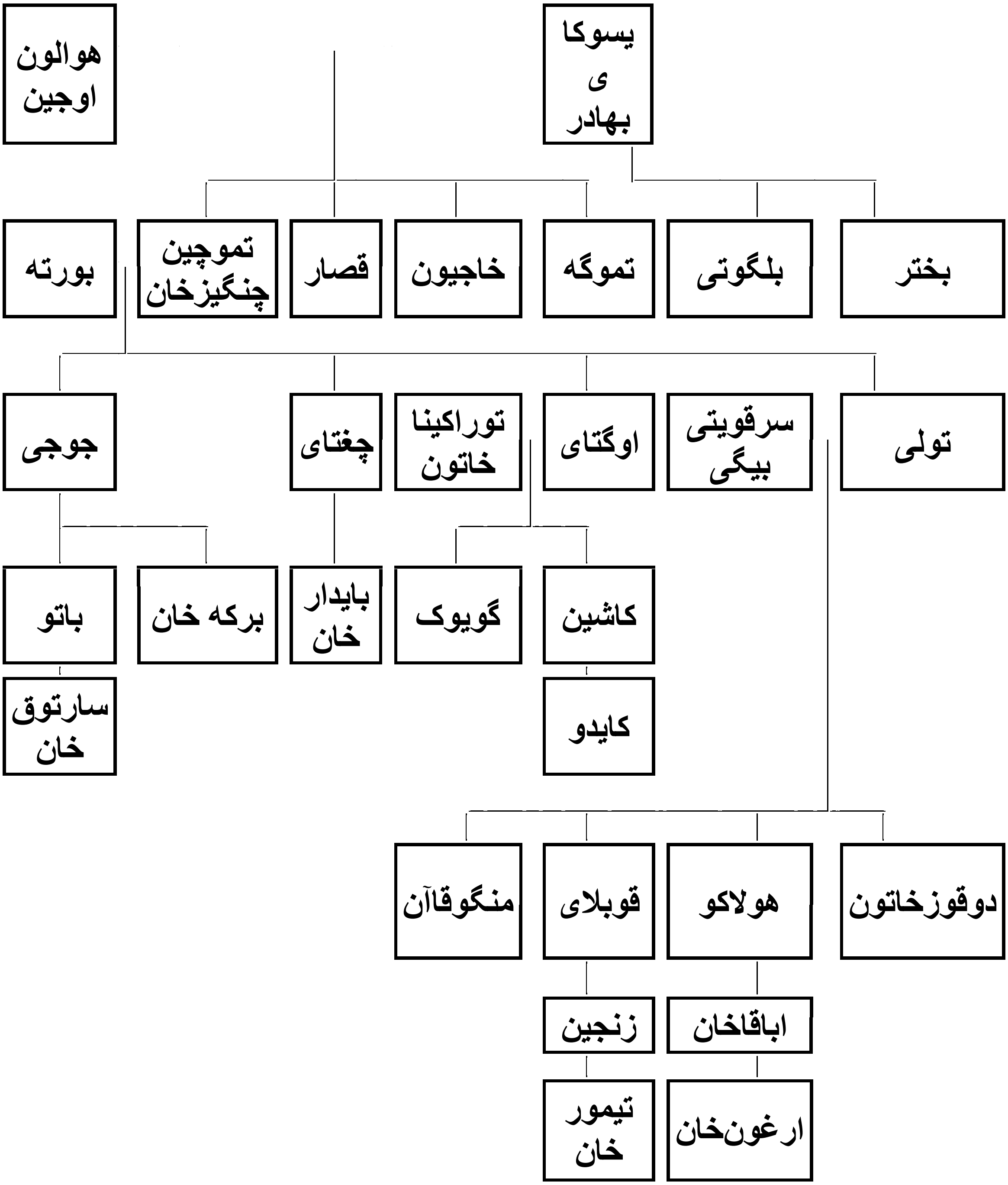

الفصل الثالث

الإيلخانيون والجلائريون والتيموريون

أولاً: الإيلخانيون

استقر المغول في إيران وأسسوا دويلتهم تحت اسم "دولة الايلخانيين"، وقد اكتسب المغول في إيران عادات جديدة وغيروا طريقة لباسهم ومعتقداتهم وأسلوب حياتهم وتأثروا كثيراً بالحضارة الإيرانية فعينوا الإيرانيين في المناصب الإدارية واستبقوا النظام الإقطاعي في الحكم. ومن أبرز حكامهم :

أباقا خان :

ولد أباقا بن هولاكو في جمادى الأول٦٣١هـ/ فبراير١٢٣٤م، وهو ثاني حكام الإيلخانيين، وخليفة هولاكو خان مؤسس مملكة الإيلخانات. وأمه "سونجين خاتون" قدمت مع هولاكو من منغوليا، أما زوجة أبيه هي أميرة من قبيلة الكرايت" واسمها "دوقوز خاتون" وهي مسيحية متدينة، وانتهج نهج والده في التقرُّب من القوى المسيحيَّة بفعل تعرُّض الدولة الإيلخانيَّة لخطر المسلمين الممثلين بالمماليك في الجنوب، ومغول القبيلة الذهبيَّة في الشمال، بِالإضافة للمغول الجغطائيين في آسيا الوسطى، الذين انتهز كلٌ منهم وفاة هولاكو وسعى إلى التوسع على حساب مغول فارس. وقد نُصّب أباقا بن هولاكو إيلخانًا بصفة رسمية في عام ٦٦٣م بعد مرور أربعة أشهر على وفاة والده، ولم يُعد توزيع الإقطاعات وحكومات الولايات إلَّا بعد مرور أربعة أشهر أخرى، ولمَّا كان انتقام المغول لهزيمتهم في عين جالوت متوقعًا، وكان هؤلاء يتعاونون مع النصارى الشرقيين وصليبيي أنطاكية للقضاء على الدولة المملوكيَّة، فقد عزم السلطان المملوكي آنذاك ركن الدين بيبرس، أن يقضي على الصليبيين ويطردهم من الشَّام، ويحارب الأرمن وصليبيي أنطاكية لمحالفتهم مغول إيران، ثم التوسع على حساب هؤلاء في شماليّ

الشام وآسيا الصغرى، والاتصال بمغول القبيلة الذهبيَّة للتنسيق معهم ضد الإيلخانيين.

بدأ بيبرس بتنفيذ مخططه بمهاجمة الصليبيين في الشام، ففي عام ١٢٦٥م، استرجع لِلمُسلمين قيسارية ويافا، وهاجم قلاعًا أخرى، كما استرجع في السنتين التاليتين صفد والرملة وغيرهما تمهيدًا لِاسترجاع طرابُلس الشَّام وشنَّ بيبرس غارات واسعة على مملكة قيليقية الأرمنيَّة وإمارتيّ أنطاكية وطرابُلس في سبيل توطيد مركزه في شماليّ الشَّام للانطلاق إلى الأناضول واستقطاب سلاجقة الروم، لِيتخذ من المنطقة حاجزًا في وجه الإيلخانيين من جهة، ويتصل بمغول القبيلة الذهبيَّة من جهة أخرى. وفي شهر ذي القعدة عام ٦٦٤هـ/أغسطس١٢٦٦م، هاجم الجيش المملوكي الأرمن وتغلب عليهم، ثم اجتاح قيليقية فنهب أياس وأضنة وطرسوس، وبلغ العاصمة "سيس"، فنهبها وأشعل النار فيها، ثم انسحب من المنطقة بنهاية شهر ذي الحجَّة (سبتمبر) عائدًا إلى حلب، ومعه الأسرى والغنائم، واضطرَّ الملك الأرمني أن يفاوض بيبرس ويعقد معه اتفاقيَّة هدنة، خاصة وأنَّ أباقا كان منهمكًا في حرب مغول القبيلة الذهبيَّة، والمغول الجغطائيين في تركستان، ولم يكن بوسعه تقديم المساعدة للملك الأرمني.

في الوقت الذي كان فيه المماليك يضربون حلفاء المغول الإيلخانيين في الشَّام، كان أباقا يخوض حربًا على جبهتين: في ما وراء النهر والقفقاس، فقد طمع "براق بن بيسون" خان المغول الجغطائيين بضم خراسان وآذربايجان إلى أملاكه، وعقد حلفًا مع مغول القبيلة الذهبيَّة مُوجهًا ضد الإيلخانيين، ولكن أي هجوم مشترك لم يتحقق، فأغار بركة خان بدايةً على ولايتيّ أرَّان آذربايجان وتوغَّل فيهما، وذلك في شهر صفر٦٦٤هـ/ نوفمبر١٢٦٥م،

فنهض أباقا لصد هذا الهجوم، وأرسل جيشًا بقيادة أخيه يشموت؛ لصد هجوم جيش القبيلة الذهبيَّة، فتغلب عليهم وأرغمهم على التقهقر. ولم يلبث أن توفي بركة خان، ولم ينتقم لهزيمته، مما منح أباقا الفرصة للتفرُّغ للجغطائيين والمماليك . ظهر أثر الترابط المغولي–الصليبي واضحًا عندما انتهز أباقا فرصة انهماك المماليك بمحاربة الصليبيين، فأغار على مناطق الحدود، ففي سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، هاجم مدينة الرحبة على الحدود الفُراتيَّة في الوقت الذي كان فيه المماليك يُهاجمون صفد، وأرسل بعثةً إلى الغرب الأوروبي حملت رسالةً مُؤرَّخةً من آذربايجان في٢٢ ذي القعدة ٦٦٦هـ/٣ أغسطس ١٢٦٨م، أعلم فيها أباقا "البابا كليمنت" الرابع بسوء موقف حلفاء مغول إيران في الشرق الأدنى بعدما سقطت أنطاكية بيد المسلمين في السنة ذاتها، وضعفت مملكة قيليقية الأرمينيَّة وأُنهكت قواها. وعندما وصلت السفارة المغوليَّة إلى روما في عام٦٦٧هـ/١٢٦٩م، كان "كليمنت الرابع" قد تُوفي، ومن ثَمَّ أبحرت إلى أرغون وبقيَّة ممالك أوروبا الغربيَّة، عارضة على ملوكها التعاون ضدَّ المسلمين، وفي الحقيقة فإنَّ بعض الملوك الأوروبيين اعتقدوا بأنَّ المغول سوف يهاجمون أوروبا بعد القضاء على المماليك، فتراجعت فكرة تكوين اتحاد عسكري معهم، أمام هذا الواقع، أرسل أباقا إلى بيبرس يحاول التفاهم معه، لكنَّ رسالته تضمَّنت تهديدًا إلى جانب الترغيب بالصلح، فرفض بيبرس مبدأ الصلح .

تعرَّضت الدولة الإيلخانيَّة، في غضون ذلك، إلى هجوم المغول الجغطائيين من الشرق، إذ عبر "براق خان بن ييسون" نهر جيحون على رأس جيشٍ كثيف، واصطدم بالجيش الإيلخاني عند هراة وباذغيس، وتغلَّب عليه، وطارد فُلوله حتَّى أخرجه من خراسان، واستولى عليها، وأرسل "بُراق"

إلى الملك "شمس الدين محمد كرت" صاحب هراة، يدعوه إلى الدخول في طاعته، ويخبره باستيلائه على خراسان، وعزمه الزحف نحو آذربايجان والعراق، ووعده بمنحه إقليم خراسان إذا سانده بقواته، فوافق شمس الدين كرت على مضض، ثمَّ تراجع عن ذلك عندما علم باستعداد أباقا للزحف على خراسان وشعر بِدنوِّ أجل الدولة الجغطائيَّة بعدما طغى "براق خان" في البلاد، وتطاول وبغى وأرهق الناس بشتَّى المطالب والمُصادرات، فاعتصم بِقلعة خيسار في هراة، وراح يترقَّب نتيجة الصراع. وجهَّز أباقا جيشًا جرَّارًا، وسار على رأسه في شهر رمضان سنة ٦٦٨هـ/ أبريل١٢٧٠م، قاصدًا خراسان، واصطدم بخصمه في شهر ذي الحجَّة/ يوليو، وتغلَّب عليه وكبَّده كثيرًا من القتلى، وفرَّ براق عبر نهر جيحون بمشقَّة بالغة إلى بلاد ما وراء النهر، حيثُ تُوفي بعد فترة قصيرة متأثرًا بإصابته الجسديَّة والمعنويَّة. تفرَّغ أباقا بعد ذلك للمماليك، وشرع بالإغارة على الشَّام، وحمل عليها عدَّة مرَّات بداية من سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، لكنَّه هُزم في كل مرَّة على يد المسلمين، وظلَّ بيبرس يملك زمام المُبادرة، ويُؤرق عين مغول فارس، واستمرَّ الأمر على هذا المنوال إلى أن توفي بيبرس يوم الخميس٢٧ محرَّم ٦٧٦هـ/ يونيه ١٢٧٧م، فاستغلَّ أباقا الاضطرابات الداخليَّة التي سادت الشَّام ومصر على أثر وفاة بيبرس، وتنازُع الأُمراء على السلطة، فأرسل قوَّة استطلاعيَّة في شهر جُمادى الأولى ٦٧٩هـ/ سبتمبر ١٢٨٠م، إلى شماليّ الشَّام لسَبر أغوار المماليك وجس نبضهم، فوصلت تلك القوة إلى حلب وأعمالها، وعاثت في البلاد وبذلت السيف في الناس، وأحرقت منبر المسجد الجامع وغيره من المصالح وفي غضون ذلك كان المماليك قد ولُّوا عليهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، الذي وحَّد كلمة المسلمين في مصر، وتكتَّل خلفه أمراء

المماليك، فخرج من القاهرة متوجهًا إلى دمشق حيث دعا إلى التعبئة العامَّة، وسار بجيش قوامه ٣٠٠٠٠ مقاتل باتجاه حِمص وعسكر في ظاهرها، ودارت رحى معركة طاحنة بين المسلمين والمغول في يوم الخميس ١٤ رجب ٦٨٠هـ/٢٩ أكتوبر ١٢٨١م، أسفرت عن انتصار إسلاميٍّ واضح، وقتل الكثير من الجنود المغول، وانسحب الباقون ناجين بحياتهم. ولم يَعش أباقا خان طويلًا بعد ذلك، إذ تُوفي ٢ ذي الحجَّة ٦٨٠هـ/١ أبريل ١٢٨٢م، فأُسدل الستار على الصراع المغولي الإسلامي حتَّى حين .

أحمد تكودار:

أحمد تكودار بن هولاكو خان(٢٦محرم ٦٨١هـ/٢٦جمادى الأولى٦٨٣هـ) ثالث حكام الدولة الإيلخانية، وأول من أسلم من الإيلخانيين، كان على علاقة طيبة بالماليك بمصر والشام، إلى أن تآمر عليه المغول فقتلوه، فكان أول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمنًا لاعتناقه الإسلام. ثمانية عشر عامًا تفصل بين وفاة هولاكو وإسلام ابنه تكودار؛ فقد تُوفِّي "هولاكو" في سنة ٦٦٣هـ/١٢٧٥م عن ٤٨عامًا، بعد أن أسَّس دولةً كبيرة، قامت بالقهر والبغي، والغدر والوحشية، وبثِّ الفزع والهلع في النفوس، وارتفعت على أنقاض دولٍ إسلاميَّةٍ ذات مجدٍ وحضارةٍ ورقيٍّ ومدنيَّة، وشملت إيران والعراق وآسيا الصغرى وسوريا. أمَّا تكودار فقد أسلم بعد أن تولى عرش سلطنة المغول الإيلخانيين، في٢٦ محرم ٦٨١هـ/٦ مايو ١٢٨٢م خلفًا لأخيه "أباقا خان". وتكودار هو الابن السابع لهولاكو، وكان في الصين أثناء حملة أبيه على إيران والعراق والشام، ثم قَدِمَ إلى إيران في عهد سلطنة أخيه "أباقا خان" لمساعدته في إدارة شئون الدولة، وكان قد تنصَّر في طفولته، وتعمَّد في صباه، غير أنَّ هواه كان مع المسلمين. وما إن ولي تكودار عرش

الدولة حتى أعلن إسلامه على مذهب أهل السنة والجماعة، وتسمَّى باسم أحمد تكودار، فكان أول إيلخاني يعتنق الإسلام، وبذل جهدًا محمودًا في إسلام المغول، فأسلم على يديه كثير منهم، وتهذَّبت طباعهم وحسنت أخلاقهم، وهم الذين أفزعوا الدنيا بهمجيَّتهم وسلوكهم الوحشي. وقد استقبل العالم الإسلامي نبأ إسلام تكودار بارتياحٍ شديد، خاصَّة منطقة إيران، وعزز من ارتياحهم وشعورهم بالرضى أنَّ سلوك تكودار كان يُظهر إخلاصًا وتمسُّكًا بالدين الإسلامي؛ إذ أرسل كتبًا إلى فقهاء بغداد يُخبرهم فيها بإسلامه، ورغبته الصادقة في حماية الإسلام والدفاع عنه، وقد استقبل علماء بغداد إسلام الإيلخان بفرحٍ شديد، ظهر ذلك في ردِّهم عليه؛ حيث عدُّوه حامي الإسلام والمسلمين، ونعتوه بناشر دين الله المبين. كان من أثر إسلام إيلخان المغول أن مالت نفسه إلى السلم مع جيرانه المسلمين، ورغب في إحلال الوفاق معهم محل الخصام والخلاف، فأرسل وفدًا إلى السلطان المنصور قلاوون في مصر في جمادى الآخرة٦٨١هـ/سبتمبر ١٢٨٢م)، وضمَّ هذا الوفد شيخ الإسلام كمال الدين عبد الرحمن الرافعي، والعلامة قطب الدين الشيرازي قاضي مدينة سيواس، وبهاء الدين أتابك مسعود سلطان سلاجقة الروم. وحمل الوفد رسالة للسلطان قلاوون تُخبره بإسلام تكودار، ورغبته في إحياء الشريعة الإسلامية في المجتمع المغولي، وبما قام به من إصلاحات وبناء للمساجد والمدارس، وتيسير سبل الحج، ورعاية شئون الحجاج، وحملت الرسالة رغبة تكودار في أن تتَّسم العلاقات بين الدولتين بالهدوء والسلام وحسن الجوار، ورفضه لقرار مجلس شورى المغول (القوريلتاي) في إيفاد حملة عسكريَّة على بلاد الشام. وقد ردَّ السلطان قلاوون على تكودار برسالة في شهر رمضان ٦٨١هـ/ ديسمبر ١٢٨٢م هنَّأه

فيه بدخول الإسلام، وأثنى على جهوده في تطبيق أحكام الإسلام، وطلب منه التحالف بين المماليك والمغول ضدَّ الصليبيين. لم يلقَ اتجاه السلطان أحمد تكودار نحو السلم والمصالحة مع المماليك ترحيبًا من قادة المغول، فشكوه إلى الخان الأعظم "قوبيلاي"، وعدوا مراسلة تكودار لسلطان المماليك، وجهوده في إقامة علاقات ودية معهم خروجًا على قرار مجلس شورى المغول(القوريلتاي) بإرسال حملة جديدة إلى سوريا ومصر، بعد تكرار هزائم المغول أمام المماليك. تجمَّعت كل هذه العوامل بالإضافة إلى إسلام تكودار لتُسهم في تكوين جبهةٍ مضادَّةٍ لتلك السياسة الجديدة، وتزعَّم تلك الجبهة ابن أخيه "أرغون بن أباقا خان"، واتَّخذ من خراسان ثغرًا لقيادته ومعسكرًا لتعبئة جنوده واستقبال أنصاره، وكان ذلك بتأييدٍ من الخاقان "قوبيلاي" وأمراء البيت المغولي، وما إن استكمل عدَّته وعتاده حتى تقدَّم لقتال عمِّه، واشتبك الطرفان في معركةٍ طاحنة في٣ من صفر٦٨٣هـ/٢١ من أبريل١٢٨٤م، وتمكَّن تكودار من تحقيق نصر كبير على ابن أخيه، وأوقعه أسيرًا في يده. ولما كان هذا النصر على غير هوى أمراء البيت الحاكم وقادة المغول فقد اجتمعوا وقرَّروا خلع تكودار من الحكم، وتخليص أرغون من الأسر، وتنصيب "هولاكو" بن هولاكو إيلخانًا على إيران، وتمَّت الخطة، وتخلَّص أرغون من الأسر بعد معركة سريعة بين قوَّات تكودار والمتآمرين عليه، قُتل فيها كثير من الأمراء الموالين لتكودار الذي فرَّ من خراسان إلى آذربايجان لعلَّه يتمكَّن من جمع قوَّاته ومعاودة القتال مع خصمه. وعلى خلاف ما قرَّره البيت المغولي الحاكم من تعيين هولاكو إيلخانًا على إيران فقد نُصِّب أرغون بدلًا منه، وبعد تنصيبه توجَّه لقتال عمِّه، وقبل أن يصل إلى آذربايجان قام جماعةٌ من أتباع تكودار نفسه بتسليمه إلى أرغون بعد أن رأوا ارتفاع كفَّته

وازدياد قوَّته، فلم يتوانَ في إعدامه في٢٦ من جمادى الأولى٦٨٣هـ/١٠ أغسطس١٢٨٤م، وباستشهاده يكون أحمد تكودار أول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمنًا لاعتناقه الإسلام .

أرغون خان :

أرغون خان بن أباقا بن هولاكو، وهو الخان المغولي الرابع، ويعد واحدًا من أكثر سلاطين الإلخانيين عداء للإسلام وحقدًا على المسلمين، ومن أشدهم جبروتًا وظلمًا وسفكًا لدماء المسلمين، فسعى منذ اليوم الأول إلى إقصائهم عن جميع الوظائف والمناصب المهمة في الدولة، وعندما شعر "شمس الدين الجويني" صاحب الديوان ببوادر الغدر من أرغون بعد توليه الحكم فر من خراسان إلى أصفهان؛ خوفًا من بطشه، ولكنه خشي على أسرته من جبروت أرغون وتنكيله بهم؛ فقرر العودة إلى أصفهان، والتوسل إلى أرغون للعفو عنه وعن أقاربه، مستشفعًا بطول خدمته هو وأقاربه للإيلخانيين لنحو ثلاثين سنة، ولكن خصومه اتهموه بخيانة السلطان السابق ودس السم له، فعقدوا له محاكمة صورية، وتقرر أن يفتدي شمس الدين نفسه بالمال، فطلب مهلة لتدبير المال، فباع أملاكه، واقترض من أصدقائه وقومه، حتى تمكن من جمع ما يقرب من أربعين توماناً (أربعمائة ألف من الذهب)، وبالرغم من ذلك فقد صدر الحكم بإعدامه هو وأبنائه الأربعة وحفيده، وعدد من أفراد أسرته، وتم تنفيذ الحكم في٤ شعبان ٦٨٣هـ/١٧ أكتوبر١٢٤٨م، كما تم إعدام أبنائه الأربعة، وصودرت جميع أمواله وممتلكاته. وسار أرغون على نهج أبيه وجده من التحالف مع المسيحيين، والسعي الدائب للقضاء على المماليك، والاستيلاء على أملاكهم، ومن ثم فقد

حرص على إرسال السفراء والبعوث والرسائل إلى ملوك أوروبا وباباواتها، كما سعى إلى التحالف مع حكام دول أوروبا المسيحية، وإثارتهم لحرب المماليك، وفي سبيل ذلك أرسل السفارات والوفود والرسل إليهم يحملون رسائله لتشجيعهم على التعاون، وحثهم على حرب المماليك. فأرسل رسالة إلى البابا" هونوريوس الرابع" عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، ثم أرسل "رابان صوما" (الحبر الصائم)، وكان أحد كبار رجال الكنيسة في آسيا سفيرًا إلى فيليب لوبل ملك فرنسا، وإداوارد الأول ملك إنجلترا سنة ٦٨٦، ٦٨٧هـ/ ١٢٨٧، ١٢٨٨م، فعرض عليهما التحالف معه، وتكوين حلف أوروبي مغولي للقضاء على نفوذ المماليك في آسيا الصغرى والعراق والشام. وقد لقيت تلك الأفكار والمقترحات استجابة كبيرة لدى كل من الملكين، لكنها لم تنفذ .

اهتم أرغون كثيرًا بالعمران وإقامة الأبنية؛ فأنشأ قصرين كبيرين في الجانب الغربي من "تبريز"، وشيّد مدينة "بين القصرين"، واهتم ببناء العمائر ذات النقوش الجميلة والسقوف المقرنسة والشرفات المقوسة، وسميت المدينة بـ"الأرغونية"، وعُني بترميم الكنائس التي هُدمت في عهد أحمد تكودار.

مرض أرغون واشتد عليه المرض، ولم تمض أيام قلائل حتى تُوفي(٦ ربيع الأول٦٩٠هـ/٩ مارس ١٢٩١م)، وخلفه أخوه "كيخاتو" لمدة أربع سنوات، ثم خلفه "بايدو" الذي شغل العرش أقل من سنة، وكان كُلٌ منهما ضعيف الشخصيَّة، عاجزًا عن القيام بِشُؤون الحُكم، فقُتلا تباعًا، وآل الأمر إلى غازان بن أرغون، ثم أولجايتو، وأخيرًا أبو سعيد. **و**أُصيبت الدولة الإيلخانيَّة بعد وفاة أبي سعيد، بِالتصدُّع، وتمزَّقت إلى أقاليم لكل منها وضعٌ خاص. وانقسمت إيران، في هذا العهد، إلى قسمين كبيرين بين عائلتين، عائلة چوبان وورثته، وعائلة حسن الجلائري "حسن بزرگ" .

ثانياً: الدولة الجلائرية

الجلائريون – نسبة إلى قبيلة جلائر المغولية، كبرى قبائل المغول، وهم فرع من قبيلة إلقا، تنتمي إلى تجمع قبائل مختلف عن الذي ينحدر منه چنگيز خان، كانت مواطنهم في بلاد ما وراء النهر، وقد اتخذت قبيلة جلائر من محيط مدينة "خُجند"، الواقعة على ساحل سيحون مستقرًا لها. وكانت قبيلة جلائر تشكل الدعامة الرئيسة التي قامت عليها الإمبراطورية المغولية الإيلخانية، كما كانت معروفة بقوتها وصلابتها؛ إذ إنَّها عارضت چنگيز خان في بادئ الأمر ثم أصبحت عضدًا مهمًّا له وناصرًا قويًّا.

جاء الجلائريون إلى إيران حوالي عام٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وقد علا شأنهم في ظل الإيلخانيين، ثم بسطوا سلطتهم على العراق وآذربايجان وخوزستان وأجزاء من إيران، منذ منتصف القرن الثامن الهجري(منتصف القرن الرابع عشر الميلادي). عندما بدأت الدولة الإيلخانية في التداعي والسقوط.

كان "إيلكا– نويان" أو "أيلكان" الذي يُشار إليه على أنه الجد الأعلى للسلالة الجلائرية، في عداد حملة هولاكو على بغداد ولذلك كان الجلائريون فيما بعد ينسبون إليه أحيانًا (الإيلخانيون)، وقد تزوج آق بوغا بن إيلكا – نويان من ابنة السلطان أرغون حفيد هولاكو ورابع الإيلخانات، ولذلك حمل اللقب المغولي "كَوركَان" الذي يعني صهر الملك. ورزق آق بوغا من هذا الزواج بولده حسين الذي أنجب فيما بعد حسن مؤسس الدولة الجلائرية التي تعد أهم دولة نشأت من انحلال الدولة الإيلخانية .

الشيخ حسن بزرگ الجلائري مؤسس الدولة :

بدأ حسن حياته السياسية واحدًا من رجال الإدارة في عهد أبي سعيد بهادر(٧١٦–٧٣٦هـ) آخر الإيلخانات الأقوياء، ولما توفي أبو سعيد سنة

٧٣٦هـ/١٣٣٥م دون وريث يخلفه على العرش، تنافس على الظفر بالسلطة الطامعون من أمراء البيت الحاكم مع من يحيط بهم من أنصار، وكان حسن الجلائري واحدًا من هؤلاء المغامرين، واضطر في سبيل ذلك إلى أن يخوض غمار أربع حروب بين أعوام ٧٣٦-٧٤٠هـ/١٣٣٦-١٣٣٩م. وكان الشيخ حسن الجلائرى سياسيًا حكيمًا، وأراد أن يضمن لدولته قوتها ووحدتها، فلم يعلن نفسه خانًا أو سلطانًا؛ بل أعلن ولاءه للسلطان المملوكى فى "مصر" ليكون سنده الذى يحتمى به إذا ما فكر المغول فى غزوه، خاصة وأن دولته قريبة ومتاخمة للإمارات والممالك المغولية فساعده هذا التصرف على استقرار بلاده، وشجعه على الاستيلاء على "لورستان"، و"الموصل"، و"تستر"، وبسط نفوذه على غيرها، فاتسعت رقعة بلاده، وامتد نفوذ حكمه. وفي ذي الحجة سنة ٧٤٠هـ نادى بنفسه حاكمًا مستقلًا في بغداد متخذًا لقب "السلطان تاج الدين"، لكنه اشتهر باسم الشيخ حسن الكبير (حسن بزرگ) تمييزًا له من أكثر منافسيه على السلطة شهرة حسن الصغير(كوچك)، وكان حسن الصغير ابنًا لأبرز القادة العسكريين في أيام أبي سعيد .

شملت سلطة حسن بزرگ العراق كلها بعد أن قضى على حكم أحد أشراف الحجاز في الحلة، كما بلغ سلطانه خوزستان، وقام بإعمار ما حلَّ في عاصمته بغداد من خراب منذ حملة هولاكو عليها، وأنفق أموالًا طائلة على إقامة عمارات نفيسة في العاصمة وفي النجف حيث دفن عام٧٥٧هـ /١٣٥٦م.

الشيخ أويس معز الدين الجلائري :

خلف حسن ابنه أويس معز الدين (٧٥٧-٧٧٦هـ/١٣٥٦-١٣٧٤م)، ويعد أويس من ألمع حكام الأسرة الجلائرية بعد والده، وقد عمل على توسيع

رقعة الدولة، فاستولى على آذربايجان من المظفريين حكام فارس سنة ٧٦٠هـ /١٣٥٩م، ثم دَفع بحدود دولته شمالًا إلى موغان وأرّان وشمالًا بشرق إلى شروان وسواحل بحر قزوين، واستغل المنازعات بين أفراد البيت المظفري، فمدَّ نفوذه جنوبًا إلى حدود كرمان وسواحل الخليج سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م، وكانت آخر أعماله التوسعية ضم الرَّي سنة٧٧٢هـ /١٣٧١م التابعة لحكومة أستراباد إحدى الدويلات التي قامت بعد سقوط الإيلخانيين في جنوب شرقي بحر قزوين. ونقل أويس عاصمته إلى تبريز، وأقام في ضاحيتها الشهيرة "الربع الرشيدي" وتحوّل العراق إلى ولاية عاصمتها بغداد. وبذلك انتقل نشاط الدولة السياسى ومركزها من العراق إلى آذربايجان، فأدى ذلك إلى قيام حركات التمرد فى بغداد على الجلائريين، وكانت حركة الأمير أمين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن حاكم بغداد للشيخ أويس من أشهر هذه الحركات. لقد أخطأ الشيخ أويس فى حساباته عندما ابتعد عن العراق واتخذ له عاصمة فى إيران، فضلا عن تقريبه الفرس دون العرب، فكانت النتيجة انضمام العرب بمختلف طوائفهم إلى "مرجان" وحركته، وحُذف اسم الشيخ أويس من الخطبة؛ رمز السيادة فى الدولة، وخُطب للسلطان المملوكى فى مصر.

خرج الشيخ أويس من تبريز إلى بغداد فى عام٧٦٥هـ/١٣٦٣م، واستطاع وزيره أن يستميل أعوان "خواجه مرجان" إلى صفه، فانفضوا من حوله، وفشلت حركته، ودخل الشيخ أويس بغداد ثم عيّن "شاه خازن" نائبًا له عليها، ولكن مرجان لم ييأس من المحاولة، وعاد مرة ثانية إلى حكم بغداد عقب وفاة شاه خازن، مما يؤكد حب أهل العراق لمرجان ومكانته عندهم،

فاضطر الشيخ أويس إلى الصفح عنه، ثم أرسل ابنه "الشيخ علي" ليحكم العراق. وتُوفى الشيخ أويس عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .

جلال الدين حسين بن أويس :

اعتلى العرش بعد وفاة أويس ابنه حسين جلال الدين(٧٧٦-٧٨٤هـ /١٣٧٤-١٣٨٢م) فبادر الأمراء الملتفون حوله إلى قتل أخيه الأكبر حسن حاكم بغداد، خوفًا من اعتراضه على انتقال العرش إلى أخيه الأصغر. وكان السلطان حسين "كريم الشمائل، جسيم الفضائل، وافر الشهامة، ظاهر الكرامة، أراد أن يمشي على سنن والده، ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده، فخذلته الأقدار، وخالطت صفو مساعيه الأكدار"، فقد أسخط سكان تبريز عليه لانصرافه إلى اللهو وإعراضه عن الاهتمام بأمور الرعية، وأغرت هذه الحال جاره شاه شجاع المظفري بانتزاع العاصمة تبريز منه مدة أربعة أشهر اضطر بعدها إلى الانسحاب لثورة قامت عليه في بلده. وتعددت بعد ذلك حوادث شغب الأمراء في تبريز وبغداد وانتهت بمقتل حسين واستيلاء أخيه أحمد على السلطة، وقيل إن أحمد هو من دبر وقتل أخاه جلال الدين حسين .

غياث الدين أحمد بن أويس:

استولى السلطان أحمد على السلطة بعد مقتل أخيه(٧٨٤-٨١٣هـ /١٣٨٢- ١٤١٠هـ) وتلقب بـ "غياث الدين" أو "مغيث الدين". كان غياث الدين أحمد كلفا بالموسيقى والتنجيم، ويجمع معاصروه على وصفه بالغدر والإسراف في سفك الدماء، حتى قيل إنه أقدم سنة ٨٠٢هـ على قتل ألفين من أمرائه وقواد جيشه في أسبوع واحد بتهمة الميل إلى تيمورلنگ .

وفي سنة ٧٨٥هـ نكبت بغداد بهجوم تيمورلنگ الذي استباحها، وهزم السلطان أحمد الجلائري، الذي لجأ إلى مصر مستجيرًا بملك مصر السلطان الظاهر برقوق، فأجاره، وجهز له جيشًا زحف به علي العراق، فلما اقترب من بغداد انضمت إليه الكثير من القبائل العراقية، فألقى الحصار على بغداد وهرب نائب تيمور لنك الأمير مسعود من بغداد، فدخلها السلطان أحمد وقبض على أنصار الأمير مسعود وقتلهم وكان ذلك سنة ٧٩٧هـ. وبعد أن استقر له الملك عقد معاهدة مع قره يوسف التركماني صاحب أذربيجان، واتفقا على مقاومة تيمورلنگ، ولما علم تيمورلنگ بالخبر رجع إلى العراق بعدما فتح الشام ومثَّل بأهلها واكتسح العراق مرة ثانية وارتكب فظائع، فهرب غياث الدين أحمد مع قره يوسف إلى جوار السلطان العثماني بايزيد الأول واستجارا به لينقذهما من تيمورلنگ، فسار تيمورلنگ في أثرهما إلى آسيا الصغرى، وحدثت بينه وبين بايزيد حروب هائلة، كانت نهايتها انتصار تيمورلنگ ووقوع بايزيد في الأسر ومات في أسره، فلجأ كل من السلطان أحمد وقره يوسف إلى مصر. وبعد وفاة تيمورلنگ عاد السلطان أحمد أدراجه إلى بغداد، فجرت معارك حامية بينه وبين ميرزا عمر قائد الجيوش التيمورية وهو حفيد تيمورلنگ. وفي سنة ٨١٣هـ حصل بعض النفور بين قره يوسف والسلطان أحمد الجلائري أدت إلى نشوب الحرب بينهما، فوقع السلطان أحمد أسيرا في معركة قرب تبريز، فاضطر للتنازل عن مملكته إلى الشاه محمد بن قرة يوسف، وكتب بذلك عهدًا على أن يطلق من الأسر، فقتله قره يوسف بعد كتابة العهد(١٠رجب٨١٣هـ/١٤١٠م)، وبمقتله انتهى دور الحكام الجلائريين الرئيسيين، ليبدأ دور الحكام الضعفاء.

دوندي سلطان :

هي مغولية من بنات السلطان حسين الجلايري، ذهبت إلى مصر مع عمها السلطان أحمد، فتزوجها الملك الظاهر برقوق ثم طلقها، فتزوجت ابن عمها شاه ولد ابن الشيخ علي بن أويس، فلما قتل السلطان أحمد سنة ٨١٣هـ أقيم شاه ولد مكانه، إلا أن زوجته ابنة عمه دوندي بنت السلطان حسين قامت بقتله، وحلّت محله على العرش. ولكنها أُجبرت على ترك بغداد حينما حاصرها محمد شاه بن قره يوسف زعيم تركمان الخراف السوداء (القره قوينلو) عامًا كاملًا واستولى على المدينة، فخرجت إلى واسط ومنها إلى تُستر. وحكمت هناك حتى وفاتها عام ٨١٩هـ/١٤١٦م وصية على ولديها، الأول محمود حتى وفاته سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م والثاني أويس الثاني الذي خلف أخاه، ولكنه لم يوفق باسترجاع بغداد، وتوفي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م.

سقوط الدولة الجلائرية :

تولى الشقيق الثالث محمد بن شاه ولد الحكم بعد وفاة أخيه سنة ٨٢٤هـ /١٤٢١م، فنقل حكمه إلى الحلة جنوب بغداد. وباستيلاء تركمان الشاة السوداء على الحلة سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م انتهت الدولة الجلائرية .

العلاقات الجلائرية الخارجية :

كان للجلائريين علاقات مع أكثر الدويلات التي نشأت في إيران بعد سقوط الدولة الإيلخانية، وكانت هذه العلاقات في الغالب علاقات عدائية تحكمت فيها رغبة كل دويلة منها في القضاء على الأخريات أو توسيع أملاكها على حساب هذه الدويلات. إضافة لهذه العلاقات العدائية، كانت للجلائريين علاقات مع تركمان الشاة السوداء الذين كانت منازلهم حول بحيرة وان (تقع اليوم في أقصى الحدود الشرقية لتركيا)، وقد حاول هؤلاء بعد

سقوط الدولة الإيلخانية أن يوسعوا مساحة المناطق الخاضعة لنفوذهم باتجاه الجنوب نحو أملاك الجلائريين في آذربايجان والعراق، فاستولوا على الموصل عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م ، ولكن السلطان أويس استرجع المدينة منهم سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، وفي سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م وصل حسين بن أويس إلى غرب البحيرة، مما اضطر هؤلاء إلى إرضائه بضريبة سنوية قدرها عشرون ألف رأس غنم، واتخذت العلاقات بين الطرفين منحى آخر في عهد السلطان أحمد عند ظهور مطامع تيمورلنگ ورغبته في القضاء عليهما، ولكن حين ابتعد خطر تيمورلنگ عام٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م تمكن" قره يوسف" أمير القرا قوينلو من انتزاع بغداد من أحمد وإجباره على الفرار إلى حلب فدمشق، وعلى الرغم من عودة أحمد إلى حكم بغداد سنة ٨٠٨هـ فإن مطامع قره يوسف بالمدينة دفعته عام ٨١٣هـ/١٤١٠م إلى الإغارة عليها ثانية، وتمكن في هذه المرة من اعتقال أحمد وقتله، وإجبار من تبقى من الأسرة الجلائرية على الخروج منها، وكان قد نجح قبلها بالاستيلاء على تبريز.

أما عن علاقة الجلائريين بالدولة المملوكية، فإن حسن بزرگ سعى للاستفادة من موقف العداء التقليدي الذي وقفته الدولة المملوكية من الإيلخانيين الذين كانوا قد استولوا على بغداد، وقضوا على الخلافة العباسية، لذلك فقد بدأ اتصالاته بالسلطان ناصر الدين محمد(٧٠٩-٧٤١هـ) منذ أن دخل حلبة الصراع على السلطة مع الطامعين الآخرين، ودأب على تزويد القاهرة بأخبار انتصاراته وبرغبته في تسليم السلطة في بغداد لأحد أبناء الناصر، إذا قبل الناصر إرساله إليه، ولكن الناصر اعتذر بصغر أعمار أبنائه عن تلبية طلب حسن الكبير. ووقف أويس موقف الحذر من الدولة المملوكية حين أقرّ المظفريون بالتبعية للسلطان المملوكي، ومع ذلك

استمرت المبادلات التجارية بين الطرفين كما عادت العلاقات مع القاهرة إلى النشاط في عهد السلطان حسين الذي أرسل إلى القاهرة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وفدًا لتهنئة السلطان برقوق عند ارتقائه العرش، واتخذ السلطان المملوكي موقفًا صريحًا بتأييده أحمد الجلائري ضد تيمور عندما استمر يهدد أملاك الجلائريين. ولما كان تيمور يتطلع إلى فتح العالم ويرى نفسه الأحق في وراثة أملاك الدولة الإيلخانية، فإنه بعد أن احتل خراسان أضحت أملاكه على تماس مباشر مع أملاك الجلائريين ، وكانت السلطانية أول مدينة استلبها تيمور من أحمد سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، ثم دخل تبريز سنة ٧٨٨هـ وأجبر أحمد على الفرار إلى بغداد، وفي سنة ٧٩٥هـ /١٣٩٣م حاصر تيمور بغداد، وأجبر أحمد على الفرار إلى دمشق بعد مقاومة ضئيلة، وولّى تيمور حاكمًا من قبله على بغداد بعد دخولها، ولكن أحمد نجح باسترجاع عرشه في بغداد بدعم من السلطان المملوكي برقوق الذي أمدّه بالمال والعتاد، ولكنه أخفق في استرجاع تبريز سنة ٨٠٠هـ .

ظلَّ تيمور يتوق إلى الانتقام من أحمد، فسيّر حملة جديدة على بغداد بقيادة أحد أحفاده سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، فأسرع أحمد بالفرار إلى حلب، ثم تابع الفرار إلى السلطان العثماني بايزيد الأول في الأناضول. فلما انسحبت الحملة التيمورية بعد حصار شهرين عاد أحمد إلى بغداد، ولكنه أجبر على مبارحتها للمرة الثالثة سنة ٨٠٦هـ فرارًا من حليفه السابق قره يوسف الذي احتل المدينة، وكان مصير أحمد لما بلغ دمشق أن يستقر سجينًا في قلعتها، فلما أغارت حملة تيمورية جديدة على بغداد بعد شهر، فرَّ قره يوسف إلى دمشق، ليلقى مصير خصمه أحمد، ولكن السلطات بدمشق أطلقت سراح الأسيرين عند وصول أخبار وفاة تيمور سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م.

مظاهر الحضارة :

رغم قصر فترة الحكم الجلائري للعراق تميزت بالاستقرار النسبي الذي ساعد في قيام نهضة عمرانية وعلمية وفنية. فقد نشط الحكام الجلائريون وأمراؤهم في العمارة، فبنوا الجوامع والمدارس، ولا تزال بعضها قائمة إلى اليوم، وازدهرت في عهدهم فنون الرسم والنقش والخط والموسيقى وتجليد الكتب وتذهيبها، وقد أسهم "الربع الرشيدي" الذي كان يقيم فيه عدد كبير من رجال الفن وأرباب الصناعات الدقيقة في هذا النشاط الفني، ويلاحظ بعض مؤرخي الفنون في الوقت الحاضر بروز المؤثرات الصينية في الفنون الإيرانية، وأن أسلوبًا متميزًا في الرسم قد تطور في تبريز برعاية الأسرة الحاكمة الجلائرية. وشيد في عهدهم الكثير من العمائر المهمة في العراق خصوصًا في بغداد في عهد الوالي "أمين الدين مرجان" حاكم بغداد في فترة السلطانين الشيخ حسن وابنه أويس، والذي يعد واحدًا من أشد الولاة حبًا للعمارة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، إذ قام بتشييد المدرسة المرجانية وخان مرجان ودار الشفاء في بغداد، على يد واليه على بغداد الأمير مرجان.

ولم يقتصر العمران خلال هذه الفترة على بغداد فقط بل تعداها إلى كل من الكوفة وكربلاء والنجف، وينسب إلى الجلائريين بناء بعض المراقد الشيعية، كجامع ومرقد الإمام الحسين في كربلاء، وبناء مئذنة ومدخل مسجد الكوفة القديم الذي هدم سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م وأعيد بناؤه أخيرًا مع مئذنة جديدة. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الكثير من المباني الإسلامية التي شيدت في هذا العهد خصوصًا في بغداد لم يبق أثر منها، ومنها المدرسة المسعودية التي أمر بتشييدها خواجه مسعود بن منصور بن أبي هارون في زمن السلطان أحمد بن أويس سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م للمذاهب الفقهية الأربعة.

عاش في العصر الايلخاني عدد كبير من العلماء في حقول الطب والنبات والفلك والعلوم الطبيعية، وقد أتم "عطا ملك الجويني" كتابه الكبير "تاريخ جهان گشاي"(٦٥٩هـ/١٢٦٠م)، في تاريخ چنگيز خان وحكام خوارزم والإسماعيلية، وكان "عطا ملك" حاكماً على بغداد لسنوات، كما أكمل "الوصّاف" كتابه القيم المعروف باسم "تاريخ وصاف"، كما ضم هذا العصر شعراء كبار كجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي، والعالم نصير الدين الطوسي الذي شيد مرصداً في مراغة في عهد هولاكو، وقد وضع فيه أدوات مصنوعة بطريقة خاصة كالإسطرلاب وأدوات رصد تحركات الأجسام السماوية وصورة الأرض.

ثالثاً: التيموريون

تيمورلنگ:

قائد مغولي من القرن الرابع عشر، ومؤسس الإمبراطورية التيمورية (١٣٧٠- فبراير١٤٠٥م) في وسط آسيا، وأول الحكام في العائلة التيمورية الحاكمة والتي استمرت حتى عام ١٥٠٦م. كان تيمورلنگ قائدًا عسكريًا فذًا قام بحملات توسعية شرسة أدّت لمقتل العديد من المدنيين وإلى اغتنام مجتمعات بأكملها. وكان يدعي الإسلام، ويبدي كثيرًا من التقديس لآل النبي صلى الله عليه وسلم، واهتم بجمع العلماء الصناع المهرة من البلاد التي يغزوها إلى عاصمته سمرقند.

ولد تيمور في ٢٥شعبان٧٣٦هـ/٨ أبريل ١٣٣٦م في إحدى قرى مدينة "كش"، وهي اليوم مدينة" شهر سبز"،-المدينة الخضراء-، وتقع جنوبي سمرقند في أوزبكستان. وعاش تيمور أيام صباه بين أفراد قبيلة" البرلاس" الأوزبكية أقرباء أجداده، وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية من الصيد والفروسية ورمي السهام، حتى غدا فارسًا ماهرًا، متقنًا لرمي السهام. سرق تيمور ذات ليلة غنمة وحملها ليهرب بها، فانتبه الراعي وضربه بسهم فأصاب كتفه، ثم ردفه بآخر فلم يصبه، ثم بآخر فأصاب فخذه حتى عرج منه؛ ولهذا سمي تيمورلنگ، وقيل نتيجة لإصابته بجرح خلال إحدى معاركه، و"لنگ" بالفارسية "أعرج"، أما كلمة تيمور فتعني بالتركية والمنغولية "الحديد".عندما تُوفِّي "كازغان" آخر إيلخانات تركستان سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م قام "تغلق تيمور" صاحب "كاشغر" بغزو بلاد ما وراء النهر، وجعل ابنه" إلياس خواجه" قائدًا للحملة، وأرسل معه تيمور وزيرًا، ثم

حدث أن ساءت العلاقة بين الرجلين؛ ففرَّ تيمور، وانضم إلى الأمير حسين حفيد كازغان آخر إيلخانات تركستان، وتقرب إليه. ولا زال يترقى بعد ذلك من وظيفة إلى أخرى حتى عظم وصار من جملة الأمراء. وتزوج بأخت السلطان حسين، ونجح الاثنان في جمع جيش لمحاربة إلياس خواجه، لكنهما لم ينجحا في تحقيق النصر، وفرَّا إلى خراسان، وانضما إلى خدمة الملك "معز الدين حسين كرت"، ولمَّا علم الأمير تغلق تيمور بوجودهما بعث إلى معز الدين بتسليمهما له، غير أن تيمور وصاحبه هربا إلى قندهار ومنها إلى سيستان، فاحتال واليها وهاجمهما. ثم عاود الاثنان جمع الأتباع والأنصار، ونجحا في مهاجمة إلياس خواجه، وتمكنا من السيطرة على بلاد ما وراء النهر عام٧٦٦هـ/١٣٦٤م، ولم يلبث أن وقع الخلاف بين تيمور وصهره، فقتل تيمور زوجته(أخت السلطان)، وانتصر على السلطان بالحيلة، ودخل سمرقند(١٢رمضان ٧٧١هـ/١٤أبريل ١٣٧٠م)، وأعلن نفسه حاكمًا عليها، وزعم أنه من نسل جغتاي بن چنگيزخان، وأنه يريد إعادة مجد دولة المغول، وكوَّن مجلس شورى من كبار الأمراء والعلماء.

قام تيمور بتنظيم جيش ضخم معظمه من الأتراك، وبدأ يتطلع إلى بسط نفوذه، فاتجه إلى خوارزم، وغزاها أربع مرات (٧٧٣-٧٨١هـ/١٣٧٢-١٣٧٩م) ، نجح في المرة الأخيرة في الاستيلاء عليها وضمها إلى بلاده، بعد أن أصابها الخراب والتدمير من جراء الهجوم المتواصل عليها، وفي أثناء هذه المدة نجح في السيطرة على صحراء القفجاق، والتي تمتد بين سيحون وبحيرة خوارزم وبحرالخزر(بحرقزوين).ولَمَّا اضطربت أوضاع خراسان عام٧٨٢هـ/١٣٨٠م بعث ابنه ميرانشاه، وكان في الرابعة عشرة من

عمره، فنجح في السيطرة على إقليم خراسان كله، وأفغانستان، ثم اتجه عام٧٨٧هـ/١٣٨٥م إلى مازندران، فاستسلمت دون قتال، ثم انطلقت جيوش تيمورلنگ تفتح آذربايجان، وتستولي على إقليم فارس، وتُغِير على أصفهان التي كانت قد ثارت على نوابه، وبلغ عدد القتلى فيها سبعين ألفًا، أقام تيمور عدة مآذن من جماجمهم. وفي عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م هاجم "توقتمش" ملك بلاد القفجاق(بلاد ما وراء النهر)، وثار أهالي آذربايجان ضد تيمورلنگ ، وأعلنوا ولاءهم لتوقتمش، ونتيجة لتفاقم هذه الأحداث توقف تيمورلنگ عن التوسع، واتجه إلى آذربايجان لقمع الثورة، وما كاد يصلها حتى فرَّ توقتمش، ودخل تيمورلنگ خوارزم، وأحلَّ بها الخراب والتدمير إلى الحد الذي لم يعد فيها حائطٌ يُستراح تحت ظله، وظلت خرابًا خالية من السكان حتى أمر تيمورلنگ بإعادة تعميرها سنة٧٩٣هـ/١٣٩١م. ولَمَّا كرَّر توقتمش هجومه مرة أخرى على بلاد ما وراء النهر عام ٧٩١هـ /١٣٨٩م تعقَّبه تيمورلنگ حتى أرض المغول وصحراء القفجاق وهزمه هزيمة منكرة. ولَمَّا رجع تيمورلنگ ظافرًا من صحراء القبجاق سنة ٧٩٤هـ /١٣٩٢م، وقد تخلص من توقتمش، أناب ابنه" ميرنشاه "في حكم خراسان، وحفيده" بير محمد "في حكم غزنة وكابل، وقصد إيران في رمضان٧٩٤هـ/أغسطس١٣٩٢م؛ لإخماد الثورات التي شبَّت بها، وظل هناك خمس سنوات مشغولاً بقمع تلك الثورات. وتُسمَّى حروبه هذه بـ"هجوم السنين الخمس"، وبدأ حروبه بإخضاع" جرجان " و"مازندان"، ثم اتجه إلى العراق فخرب" واسط "والبصرة وبغداد والكوفة، وغيرهم، وواصل سيره فخرب ديار بكر وبلاد أرمينيا والكرج (جورجيا)، وأراد مهاجمة الشام عام٧٩٨هـ، فعلم أن سلطان المماليك الظاهر برقوق قد خرج بجيش كبير من مصر فرجع لبلاده، ولمَّا سمع بهجوم توقتمش على

بلاده، أسرع إليه، وهاجم بلاده وأنزل به هزيمة كبيرة، وبعد ذلك زحف في نحو مائة ألف جندي واحتل موسكو لمدة عام واحد . كان تيمورلنگ قد بلغ الستين عاماً، لكن هذا لم يوهن من عزيمته في مواصلة الغزو. ولم يركن إلى الراحة والخلود إلى ما حققه من قوة ونفوذ، والتمتع بمباهج الجاه والسلطة. فلما سمع بموت فيروز شاه ملك الهند عزم على غزو الهند متذرِّعًا بأن التغلقيين يتساهلون مع الهندوس في أمر الإسلام وانقضَّ بجيشه الجرار على قوات محمود تغلق (٧ من ربيع الآخر ٨٠١هـ/١٧من ديسمبر١٣٩٧م)، وأنزل به هزيمة ساحقة، واحتل" دلهي "عاصمة دولة "آل تغلق"، وقام بتدميرها وتخريبها. وبلغ من بشاعة التدمير أنها لم تنهض مما حلَّ بها إلا بعد قرن ونصف القرن من الزمان. وعاد تيمورلنگ إلى سمرقند محمَّلاً بغنائم وفيرة، ومعه سبعون فيلاً تحمل الأحجار والرخام التي أحضرها من دلهي، ليبني بها مسجدًا في سمرقند. وفي تلك الأثناء سمع تيمور بموت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، وموت القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس من بلاد الروم، فرأى تيمور أنه بعد موتهما ظفر بمملكتيهما ، وكاد يطير بموتهما فرحاً، وعاد إلى بلاده فوراً تاركاً فوضى عظيمة.

لم يمكث تيمورلنگ طويلاً بسمرقند بعد عودته الظافرة من الهند، واستعد للخروج ومواصلة الغزو، فانطلق في حملة كبيرة عرفت بحملة السنوات السبع(٨٠٢-٨٠٧هـ/١٣٩٩-١٤٠٤م)؛ لمعاقبة المماليك لمساعدتهم أحمد الجلائري خان بغداد في حربه ضد تيمورلنگ، وتأديب السلطان العثماني "بايزيد الأول" الذي كان يحكم شرق آسيا الصغرى .

بدأ تيمور غزواته باكتساح قراباغ بين أرمينيا وآذربايجان فقتل وسبى ثم توجه إلى تفليس عاصمة الكرج بالقوقاز ونهبها في جمادى الآخرة سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، ثم توجه إلى سيواس في ٥ محرم سنة٨٠٣هـ، وقبض على مقاتليها وهم ثلاثة آلاف نفر، فحفر لهم سردابًا، وألقاهم فيه وطمهم بالتراب، ثم وضع السيف في أهل البلد وأخربها حتى محا رسومها. ثم سار تيمور إلى "عينتاب" ففتحها، واتجه إلى حلب، فسقطت بسبب رفض مماليك مصر مساعدة أهل الشام نتيجة صراعهم على الحكم. وبلغ عدد القتلى فيها عشرين ألفاً والأسرى أكثر من ثلاثمائة ألف. وبعد عمليات النهب والحرق والسبي والتخريب التي قام بها تيمورلنگ وجيشه اتجه إلى حماة والسلمية، ولم يكن حظهما بأحسن حال من حلب، وواصل زحفه إلى دمشق التي بذل أهلها جهودًا مستميتة في الدفاع عن مدينتهم، لكن ذلك لم يكن كافياً لمواجهة جيش جرار يقوده قائد محنك، فاضطروا إلى تسليم دمشق، ولمَّا دخل تيمورلنگ المدينة أشعل فيها النار ثلاثة أيام حتى أتت على ما فيها، وأصبحت أطلالاً، وبعد أن أقام بها ثمانين يوماً، رحل عنها مصطحبًا أفضل علمائها وأمهر صُناعها، واتجه إلى طرابلس وبعلبك فدمرهما. وعند مروره على حلب أحرقها مرة ثانية وهدم أبراجها وقلعتها، ثم دمر ماردين، واتجه بعد ذلك إلى بغداد، وكانت تحت حكم الدولة الجلائرية؛ فهاجمها بشدة، ودمر أسوارها، وأحرق بيوتها، وأوقع القتل بعشرات الآلاف من أهلها، ولم تستطع المدينة المنكوبة المقاومة فسقطت تحت وطأة الهجوم الكاسح في أيدي تيمورلنگ. وألزم كل من معه أن يأتيه كل واحد منهم برأسين من رؤوس أهل بغداد. فبلغ تعداد من قتل في هذا اليوم من أهل بغداد قرابة مائة ألف إنسان، عدا من قتل في أيام الحصار، ومن قتل في يوم دخول تيمور

إلى بغداد، ومن ألقى نفسه في نهر دجلة فغرق، وهو أكثر من ذلك. حاصر تيمورلنگ قلعة دمشق التي رفضت حاميتها الاستسلام بعد سقوط المدينة، واستمر الحصار لأكثر من شهر تعرضت القلعة خلاله لقصف المنجنيقات إلى أن انهار برجها الشمالي الغربي، تم إعدام كل حامية القلعة ، وفرض تيمورلنگ على أهالي دمشق غرامات كبيرة لم يتمكنوا من دفعها، فبدأ جيشه بتدمير المدينة وإحراقها، بشكل لم تشهده المدينة من قبل.جمع تيمورلنگ الأهالي في الجامع الأموي ثم أقفله وأمر بإحراقه. يعتقد أن عشرات الآلاف من أهالي دمشق ذبحوا خلال الأيام التي تلت سقوط القلعة، ودمرت المدارس والمكتبات من العهدين الزنكي والأيوبي، وسيق أمهر الحرفيين والمعماريين أسرى إلى عاصمته سمرقند، فكانت كارثة لم تتعافَ منها المدينة قط. ولم تُشبِع هذه الانتصارات طموح تيمورلنگ الجامح وإسرافه في الغزو وشغفه بفتح البلاد والمدن، فانطلق في سنة٨٠٤هـ/١٤٠٢م نحو آسيا الصغرى فاقتحم "سيواس" والأناضول، واصطدم بالدولة العثمانية الفتيَّة. واستعد بايزيد لملاقاة الغازي الجامح الذي تقدم بجيش جرار قوامه ٣٠٠ ألف جندي، وبعد أن استولى على "سيواس" التقى بالجيش العثماني بقيادة بايزيد الأول في معركة هائلة عُرفت باسم "معركة أنقرة" في١٩ذي الحجة٨٠٤هـ /٢٠ يوليو١٤٠٢م، وانهزم بايزيد هزيمة ساحقة، ووقع في الأسر هو وأحد أبنائه، ولم يتحمل السلطان العثماني ذل الأسر فمات كمدًا في١٥شعبان ٨٠٥هـ/١٠مارس١٤٠٣م، بمدينة "أمد شهر"، حيث كان تيمور عائدًا بأسراه إلى عاصمته سمرقند. ولم يكد يستقر بسمرقند حتى أعد العدة لغزو الصين في خريف٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وكان الجو شديد البرودة حين خرج لغزوته الأخيرة، وعانى جيشه قسوة البرد والثلج، ولم تتحمل صحته هذا الجو

القارص، فأصيب بالحمى التي أودت بحياته (١٧شعبان٨٠٧هـ/١٨فبراير ١٤٠٥م)، بعد أن دانت له البلاد من دلهي إلى دمشق، ومن بحيرة آرال إلى الخليج العربي، وبعد وفاته نقل جثمانه إلى سمرقند حيث دفن هناك في قبره المعروف بـ"كور أمير"، -مقبرة الأمير-. وعندما توفي تيمور خلفه على العرش حفيده وابن أخته، وكان ابنه الرابع "شاهرخ" في هراة، فنجح في السيطرة على هراة وخراسان وما وراء النهر بعد منازعات وحروب عائلية استمرت سنة تقريباً، وسيطر ابنه الثالث ميرانشاه على الجزء الغربي من إيران بما في ذلك تبريز وبغداد. في عام ٨١١هـ/١٤٠٨م استفادت قبائل قرة قويونلو(ذات الخراف السوداء) من خلافات الأسرة التيمورية، فاستولت على آذربايجان، وفي عام٨١٣هـ/١٤١٠م استولى شيخها "قره يوسف" على بغداد، وتمكن ابنه بعد ذلك بسنوات من السيطرة على إقليم أصفهان، وظل حكام قره قويونلو يحكمون حتى عام٨٧٤هـ/١٤٦٩م إلى أن هزمتهم قبائل"آق قويونلو". حكم شاهرخ في الشرق من عاصمته "هراة" جميع أجزاء القسم الشرقي من إيران حتى عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م، وهزم قبائل "قره قويونلو" في تبريز، وطردهم إلى أرمينيا، ولكنه اضطر إلى تركهم يحكمون الإقليم الغربي من إيران. كان شاهرخ من أكثر الملوك الذين حكموا إيران ثقافة، وقد جعل "هراة" المركز الثقافي لوسط آسيا، وازداد الرخاء في ظل حكمه، وارتفعت مكانة المهندسين المعماريين والرسامين والشعراء والعلماء والموسيقيين، فانتشرت الحركات الفنية والأدبية التي ظهرت في هذا العصر، وامتدت غرباً وبلغت ذروتها أصفهان. خلف شاهرخ ابنه الأكبر "الغ بيك" وكان حكمه قصيراً(٨٥١هـ/١٤٤٧م-٨٥٣هـ /١٤٤٩م) وقد اهتم بالأدب وعلم الفلك فبنى مرصداً في سمرقند لا يزال قائماً. انتهى أمر "الغ بيك" بالعزل ثم القتل

بتحريض من ابنه، فعمت الفوضى البلاد بضع سنوات، حتى سيطر "حسين ميرزا بايقرا" على خرسان عام٨٧٤هـ/١٤٦٩م، فاستقرت الأوضاع، وامتلأت هراة وخرسان برجال العلم والفن والأدب، وبعد وفاة "حسين ميرزا بايقرا" (٩١٢هـ/١٥٠٦م) سقط الجزء الشرقي من الدولة التيمورية في أيدي قوم رحّل من التتار أصلهم من الجنس المغولي، واستمرت دولتهم ترعى الفنون ببخارى وسمرقند، ولكنها سرعان ما انتهت تحت قوة الصفويين .

الباب الثاني

تاريخ إيران من الصفويين إلى الجمهورية الإسلامية

(إيران على المذهب الشيعي)

الفصل الأول

الدولة الصفوية

ينسب الصفويون إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي، المولود عام٦٥٠هـ /(١٣٣٤م)، والمتوفى سنة ٧٣٥هـ(١٢٥٢م)، والذي كان في بداية عهده من مريدي الشيخ تاج الدين الزاهد الجيلاني، وهو الجد الخامس للشاة إسماعيل، وقد نشأ نشأة صوفية، وكان صاحب طريقة، مما ساعد على التفاف الكثير من المريدين حوله، وانتشار دعوته وأنصاره. وبعد وفاته خلفه في رئاسة أتباعه ابنه صدر الدين موسى(٧٠٤-٧٩٤هـ)، وبوفاته انتقل الأمر إلى ابنه "خواجه علي سياهپوش"، وهو أول من اعتنق المذهب الشيعي من أولاد الشيخ صفي الدين، ودعا إليه الأتباع صراحة، الأمر الذي يعد نقطة تحول في مسيرة هذه الأسرة التي ادعت انتسابها إلى آل بيت النبي (ص) والحسين بن علي رضي الله عنهما، وقد كانت له لقاءات مع تيمورلنگ، وتولى مشيخة الطريقة مدة ٣٦ سنة، ومات أثناء عودته من مكة سنة ٨٣٠هـ(١٣٢٧م)، ودفن في فلسطين، وقبره معروف في "يافا" باسم "ضريح الشيخ علي العجمي"، وبعد وفاة خواجه علي سياهپوش، خلفه في رئاسة الطريقة ابنه إبراهيم الذي لقب بـ "شيخ شاه"- أي الشيخ الملك؛ لأن مظاهر الملك ظهرت عليه-وسار على خطاه، وتوفي عام٨٥١هـ(١٤٤٧م) ، وكان تشيعه للإمامية واضحًا، وأدخل أتباعه في صراعات مع أهل السنة في داغستان، وبعد وفاته، خلفه ابنه الأصغر السلطان "جنيد" الذي جمع المريدين حوله في أردبيل، وكثر أتباعه، وكان شيعيًا جلدًا متعصبًا محاربًا لأهل السنة، وبدأ يكشف عن رغبته في الملك تدريجيًا، وهذا ثاني أخطر تحول في مسار الأسرة الصفوية بعد التشيع، ويعد "جنيد" المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية، فهو الذي حول الدعوة الصفوية إلى حركة سياسية، وذلك بأن كشف عن رغبته في "الملك"، حيث أصبح يتصرف كالملوك، وتلقب

بلقب "سلطان". تزوج "جنيد" من "خديجة بيگم"" أخت "حسن أوزن"، حاكم "ديار بكر"، وذلك للمصلحة المشتركة بينهما، حيث أنه يوفر لـ "جنيد" غطاءً وحماية لمشروعه السياسي، وحيث أنه يوفر لـ "أوزن حسن" كسب الشيعة إلى جانبه في صراعه مع "جهان شاه" زعيم التركمان وبدأ السلطان جنيد بإقامة حكم مستقل في أردبيل، وأخذ يتقوى ويعد الجيوش لغزو شيروان، ودخل في معركة مع حاكمها، لكنه هزم وقتل عام٨٦٠هـ، وتعد هذه المعركة تحولاً خطيراً في مسيرة الصفويين كونها أول معركة يخوضونها. وبمقتل جنيد، انتقلت الرئاسة إلى ابنه حيدر، الذي حظي أيضًا بمكانة والده لدى "أوزن حسن"، فزوجه ابنته "حليمه بيگم" الملقبة بـ "علم شاه بيگم" ، وكانت أمها "كاترينا" ابنة "كارلو يوحنا" ملك مملكة طرابزون اليونانية النصرانية، وأمر حيدر أتباعه الدراويش، بأن يضعوا على رؤوسهم قلنسوة مخروطية الشكل مصنوعة من الجوخ الأحمر، وتحتوي على اثنتي عشرة طية رمزًا للأئمة الإثنى عشر عند الشيعة الإمامية، وسموا بـ"قزلباش"، وهي كلمة تركية تعني "حُمر الرؤوس"، وجهز جيشًا يرتدي أفراده القبعات الحمر، ويعرفون باسم "القزلباش" للانتقام لمقتل والده من ملك شروان، إلا أن حاكم "شروان" استعان بأسرة "آق قويونلو"، واستطاعا هزيمة حيدر وقتله(٨٩٣هـ/١٤٨٨م).

كان لحيدر ثلاث أولاد: علي، إبراهيم، وإسماعيل، وقد خاف الأمير يعقوب أمير"آق قويونلو" منهم فسجنهم، ثم أطلق سراحهم بعد وفاة يعقوب، وبعد مقتل علي وإبراهيم، ذهب إسماعيل إلى "گيلان" على بحر قزوين جنوب أردبيل، وقد رعاه السادات الصوفية، وحاول منذ صغره حشد الصوفية والقزلباشية حوله، من أجل الانتقام من قتلة أبيه وجده، وتم ذلك وتوجه إلى

أمير دولة التركمان "آق قويونلو" سنة٩٠٧هـ، وقتله وجلس على ملكه بعد أن بايعته قبائل التركمان كلها، وأعلن دولته الصفوية. والتي كان أبرز حكامها:

الشاه إسماعيل الأول (٩٠٧هـ/١٥٠٢م) :

ولد الشاه إسماعيل بن حيدر في يوم الثلاثاء ٢٥رجب٨٩٢هـ/١٧يوليه ١٤٨٧م، وعاش في تبريز فترة، ثم التحق بأردبيل معقل الأسرة الصفوية، وبعد مقتل والده وأخيه سلطان علي، اضطر للفرار إلى جيلان حيث وجد الأمان، ثم انتقل من جيلان إلى لاهيجان بدعوة من حاكمها، واستطاع تجييش أتباعه الذين يترددون عليه، فأضحى وهو لا يزال صبيًا قويًا، مهابًا ومحبوبًا، يتفانى المريدون في خدمته والذود عنه، فبدأت تظهر في الأفق ملامح تنظيم سياسي مذهبي عسكري قادر على تحقيق تطلعات الأسرة الصفوية، فأثار ذلك "ألوند ميرزا" رئيس الاق قويونلو، الذي أرسل إلى حاكم لاهيجان يطالبه بتسليم إسماعيل، وهدده باجتياح لاهيجان إن امتنع عن ذلك، فأرسل ثلاثمائة جندي لإحضاره، وكان حاكم لاهيجان ذكيًا فوضع إسماعيل في قفص، وعلّقه في أعلى شجرة، وعندما أرغم على القسم الذي كان ينتظره، أقسم أنه ليس في أرضه، فنجا إساعيل، وما لبث أن خرج مع سبعة من أكبر مريدي الطريقة صوب أردبيل المعقل الروحي للصفويين، لكن حاكمها لم يسمح لهم بالاستقرار في المدينة، وسمح لهم فقط بزيارة قبور شيوخ الصوفية، على أن يغادروا بعد ذلك، وخرج إسماعيل مع مريديه إلى قراباغ، ثم إلى أرزنجان في آسيا الصغرى، ليستنفر أتباعه فيها، حيث انضم إليه منهم سبعة آلاف، ثم توجه إلى طاليش بدعوة من حاكمها محمد سلطان، واستقر بـ"أجوان"، وفيها أخذ ينظم صفوف جيشه المسمى "قزلباش"،

وكان عمره آنذاك في عام ٩٠٦هـ/١٥٠١م لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة، بعد ذلك قام إسماعيل في أول معاركه بالانتقام لوالده حيدر، حيث توجه إلى شيراون بجيشه المقدر بسبعة آلاف جندي، وهاجم عاصمتها "شماخي"، وقبض على حاكمها "فرّخ يسار" وقتله، وأحرق جثته، ثم قام بتخريب مقابر حكام شيراون، حيث نبش قبر "خليل" والد "فرخ يسار"، ثم تعقب ابن فرخ يسار" شاه سلطان إبراهيم"، لكنه استطاع الفرار إلى مدينة باكو، فكانت بذلك البداية الحقيقية لبروز كيان سياسي ومذهبي جديد في منطقة إيران، يتزايد نفوذه يومًا بعد يوم، فحقق الشاه إسماعيل باحتلال شيروان والقضاء على "فرخ يسار" دعمًا كبيرًا من الإيرانيين الذين التفوا حول شخصه، وضعت السيطرة على باكو وشيروان إسماعيل وأتباعه في مواجهة "ألوند" زعيم الآق قويونلو، ودارت معركة ضارية، انتهت بانتصار الصفويين، وهروب ألوند إلى أرزنجان، بعد ذلك زحف إسماعيل بجيشه إلى تبريز ودخلها، فاستقبله أهلها استقبال الفاتحين، وبعد استيلائه على تبريز، توّجه أتباعه ومريدوه ملكًا على إيران(٩٠٧هـ/١٥٠٢م)، فبدأ بوضع أسس نظام دولته، وأعلن قيام الدولة الصفوية وعاصمتها "تبريز"، وضرب النقود باسمه، وأمر بالخطبة له على المنابر، كدلالة على قيام الدولة، وفرض المذهب الشيعي الإثنى عشري مذهبًا رسميًا للدولة، مضطهدًا بذلك كل مخالف، فأجبر جميع السكان على ذلك، وكتب على النقود "لا إله إلا االله، محمد رسول االله، علي ولي االله "، وأمر المؤذنين بإضافة تشهد الشيعة على الآذان "أشهد أن عليًا ولي االله،" وعبارة "حي على خير العمل". كما قدس

الأئمة الإثني عشر، ولعن الخلفاء الثلاثة الأوائل: أبا بكر وعمر وعثمان(١).

قام إسماعيل بعد تثبيت دعائم حكمه ونظامه بتوسيع نفوذه باتجاه عمق الهضبة الإيرانية، فجهز حملة كبيرة لتعقب "مراد بن يعقوب بن أوزن حسن"، حاكم فارس والعراق، وآخر أمراء آق قويونلو، واصطدم به في معركة بالقرب من همدان، وانتصر عليه، وفرّ مراد بن يعقوب إلى بغداد، واستولى على شيراز، وفرض المذهب الشيعي على سكانها، وقضى عام ٩٠٩هـ على دولة التركمان السنية في إيران، وبذلك دان إقليم فارس لسيطرة الصفويين، وقد واصل الشاه إسماعيل توسعاته واتجه نحو عراق العجم، فكانت الانطلاقة من تبريز إلى قاجان، فدخلها واستولى عليها، ثم استولى على مدينة "قم" المقدسة لدى الشيعة، وقضى فيها شتاء عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، وبذلك سيطر على القسم الشمالي من إقليم العراق العجمي، واستولى على كرمان وخوزستان "عربستان" ومازندران واستراباد، بعد ذلك توجه إسماعيل إلى إلى خراسان في الشرق، واستولى عليها سنة٩١٦هـ، واستولى على مدينة مشهد. وفي نفس السنة توجه إلى مرو شمال شرق إيران، وذبح أكثر من عشرة آلاف من سكانها من أهل السنة. كان إسماعيل في سنة ٩١٤هـ قد أراد احتلال بغداد، فأرسل قائده حسين بك لاله، وانهزم والي بغداد "باريك"، وقد استبشر "نقيب النجف" بعد أن كان والي بغداد "باريك" قد حبسه لأنه كان ينتظر الشاه، ويؤمل أهل بغداد والعراق بأن الشاه إسماعيل سلطان عادل. دخل حسين لاله بغداد دون قتال، وأخرج "نقيب النجف" من السجن ورحب به وعظّمه، وذهبا هو والوالي إلى الشاه إسماعيل ليبشروه بفتح بغداد.

---

(١) انظر: أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول، ص ١٨-٢٣

دخل الشاه إسماعيل بغداد وكرّم "نقيب النجف"، ثم زار كربلاء والنجف وأكرم أهلها وعمّرها بالذهب والفرش والسجاد الثمين، ثم أدب بعض عشائر الجنوب، وبدأ يعذب أهل السُّنّة ثم يقتلهم، وهدم قبر أبي حنيفة ونبشه، وقتل كل من ينتسب لذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه ببغداد، وحاول أن يمتد إلى بلاد الأوزبك سنة ٩١٨هـ، فأرسل أحد قادته ولكن قائده انهزم وقتل، وضعفت جبهته في هذه المنطقة، وهاجمه الأوزبك، وكادوا يستردون خراسان لكن إسماعيل استردها .

معركة چالداران :

أذكى التحول إلى التشيع عداوة الأتراك العثمانيين ضد الصفويين، وكان سلاطينهم في القسطنطينية يعتبرون أنفسهم خلفاء على جميع المسلمين السنة، كما أصبح الشيعة في إيران يفصلون الكتلة السنية في وسط آسيا والهند وأفغانستان عن أهل السنة في تركيا والعراق ومصر والدول الإسلامية الأخرى الواقعة إلى الغرب من إيران . وقد وصلت أخبار المذبحة العظيمة لأهل السنة إلى بلاد الدولة العثمانية في تركيا، بالإضافة إلى الأخبار السابقة عن تشييع أهل السنة في إيران وقتل الآلاف المؤلفة، بل أرسل إسماعيل دعوته إلى داخل الدولة العثمانية، لذا اجتمع السلطان العثماني سليم الأول في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، برجال الدولة وقضاتها وعلماءها ورجال السياسة، ولم يجد السلطان العثماني صعوبة في إقناع الحاضرين بضرورة محاربة الصفويين؛ لأنهم صاروا خطرًا على العالم الإسلامي بالعموم وعلى الدولة العثمانية بالخصوص، لذا قرر السلطان إعلان الجهاد المقدس ضد هذه الدولة، وعزم على السير بالجيش بقيادته

مستعينًا ببقايا أسرة "آق قويونلو"، وخرج بعد ٣ أيام من هذا الاجتماع على رأس جيش كبير متجهًا إلى إيران، ولم ينس وهو في طريقه أن يكتب إلى "عبيد الله خان" قائد الأوزبك يذكره بقتل عمه شيباني، ويحثه على الانتقام من إسماعيل الصفوي، ومهاجمة خراسان بمجرد وصول الجيش العثماني إلى إيران، وكان هدف سليم من ذلك أن يجعل إيران بين شقي الرحى من الغرب بهجومه، ومن الشرق بهجوم عبيد الله خان على خراسان. حين علم إسماعيل الصفوي بقدوم القوات العثمانية –وكان مشغولًا بإخراج الأوزبك من خراسان– عمل على تعطيل وصولها، فأمر بتخريب الطرق والقرى الواقعة في طريق الجيش العثماني؛ الأمر الذي أخّر وصول العثمانيين وأنهك قواهم، لكن ذلك لم يمنعهم من مواصلة السير إلى إيران، والإقامة في "سيواس" انتظارًا للمعركة الحاسمة. وأراد الشاه إسماعيل تأخير الحرب لفصل الشتاء كي يهلك الجيش العثماني جوعًا وبردًا، وحينما أحس إسماعيل بالخطر طلب الهدنة، ولكن السلطان استمر في زحفه إلى صحراء چالداران شمال تبريز وشرق الأناضول حتى وصلها عام٩٢٠هـ/١٥١٤م، والتقى الفريقان في چالداران في في ٢رجب٩٢٠هـ/٢٤ أغسطس ١٥١٤م، وانتهت المعركة بهزيمة إسماعيل هزيمة نكراء، وفراره إلى آذربايجان تاركًا كل أمواله ، وأسرت زوجته، ووقع كثير من قادته في الأسر، وقتل "نقيب النجف". وفي ١٤شهر رجب٩٢٠هـ/٥ سبتمبر١٥١٤م دخل سليم الأول تبريز عاصمة الصفويين، واستولى على أموال إسماعيل الصفوي وبعث بها إلى إستانبول، ثم قفل راجعًا إلى بلاده، مكتفيًا بهذا النصر الكبير، ولم يقتفِ أثر إسماعيل الصفوي ويتوغل في بلاده، وخرج الصفويون من العراق بعد احتلال دام ست سنوات (٩١٤هـ– ٩٢٠هـ).

كان من نتائج معركة چالداران: التحكم بالطرق الرئيسية الاستراتيجية في الأناضول وسوريا وإيران- تنظيم خطوط الدفاع والهجوم في تلك المناطق - السيطرة على طرق التجارة العالمية وخاصة الحرير الفارسي من تبريز إلى حلب وبورصه- تحول التوسع العثماني من الغرب (أوروبا) إلى الشرق (الأكراد والعراق والشام ومصر)- اهتزاز صورة الشاه الصفوي في العراق مما أدى لانضمامها لاحقاً للعثمانيين-خنق العثمانيين للصفويين اقتصاديًا مما اضطرهم للتحالف مع حليف قوي اقتصادياً وهم البرتغاليين النشطين في البحر.

تركت الهزيمة آثارًا قاسية في نفس الشاه إسماعيل، ولم يكن قد لحقت به هزيمة قبل ذلك؛ فانصرف إلى العزلة، وغلب عليه اليأس، وارتدى لباسًا أسود اللون، ووضع على رأسه عمامة، وكتب على أعلامه السوداء كلمة "القصاص"، وانصرف لمعاقرة الخمر، حتى أدمنها، وشغل نفسه بالتفكير في طريقة الانتقام من غريمه سليم الأول، وشرع في البحث عن صديق يتعاون معه ضد العثمانيين، وكان للبرتغاليين الصولة العظمى في بلاد العرب، وخاصة طموحهم في بحر العرب والخليج العربي، واستيلاء قائدهم على مضيق هرمز. مم أغرى الشاه إسماعيل لإجراء اتفاقيات وأحلاف معهم البرتغاليين، وفعلًا تم التحالف مع النصارى البرتغاليين، وأقرهم الشاه إسماعيل باستيلائهم على هرمز مقابل مساعدته على احتلال البحرين والقطيف، كما اتفق على مشروع لتقسيم المشرق العربي بأن يحتل الصفويون مصر والبرتغاليون فلسطين. ولكن هذا الحلم لم يتحقق، لأن الدولة العثمانية سارعت باحتلال مصر، وقضت على المماليك رغم أن هذا الفتح لمصر هو

أحد أسباب تأخير السلطان سليم عن القضاء على الشاه إسماعيل ودولته، كما أن البرتغاليين سيطروا على البحر العربي والخليج العربي. توفي السلطان سليم الأول عام٩٢٦هـ/١٥٢٠م وهو في طريقه لغزو إيران مرة أخرى، وقد شجعت وفاته المفاجئة إسماعيل الصفوي على تعضيد رغبته في الانتقام من العثمانيين، غير أن الموت اغتال أمنياته؛ فمات متأثرًا بالسل وعمره سبعة وثلاثون عامًا في١٨من رجب سنة٩٣٠هـ /٣١من مايو ١٥٢٤م على مقربة من آذربايجان، ودفن في أردبيل إلى جوار أجداده، تاركًا وراءه أربعة أولاد هم: طهماسب والقاص وسام وبهرام، وخمس بنات[١].

الشاه طهماسب الأول :

خلف طهماسب والده إسماعيل وعمره لم يتجاوز عشر سنوات، ونظرًا لصغر سنه، فقد تولى زعماء القزلباش مهمة إدارة الدولة، وقد استغل الأوزبكيون "السنة" ذلك وهاجموا خراسان، واستولوا عليها سنة ٩٣٣هـ، وهزم جيش طهماسب، ولكنه أعادها عام٩٣٥هـ. وأقام الشاه طهماسب حلفًا إيرانيًا-أوروبيًا، ضد العثمانيين، فأرسل السفراء إلى ملك المجر، وإمبراطور النمسا "شارل السابع"، وهذا الحلف الدافع له هو ظهور السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٥م، ويومها ذعر البلاط الإيراني للدولة الصفوية وبدأ بتحريض الشيعة في بلاد تركيا ضد الدولة العثمانية. ولكن السلطان سليمان قضى على حركات التمرد التي ظهرت في الأراضي العثمانية. أما بشأن العراق، فعندما انهزم الشاه إسماعيل في موقعة "جالديران" ضعف نفوذه في العراق، وكان العراق يحكم من قبل الحكام الأتراك بقايا "آق قويونلو" وحاول

[١] انظر: أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول ص ١٨-٢٣

حكام الصفويون أن يستميلوا الحكام لهم، ولكنهم لم يفلحوا، وقد حكم العراق حاكم من منطقة إيرانية يدعى "ذي الفقار"، ولكنه لم يتبع طهماسب، وحاول أن يعلن ولائه للعثمانيين، فهاجم طهماسب بغداد ولم يفلح، ولكنه لجأ للغدر، فأغرى أخوة ذو الفقار بقتله فقتلوه وسلموا الشاه بغداد، وعين عليها ضابط لكل ولاية في العراق، ورجع طهماسب إلى عاصمته قزوين، لكن أهالي بغداد هرعوا يراسلون السلطان سليمان القانوني ليخلصهم مما حل بهم وما سيحل تحت الحكم الصفوي. استعد السلطان سليمان القانوني لاستعادة مدينة بغداد، وانهزم واليها التابع لطهماسب ودخل سليمان القانوني بغداد وفتح العراق وضمه للدولة العثمانية، وأعاد قبر أبي حنيفة ورفاته وبناه من جديد، وقيل إنهم وجدوا رفاة أبو حنيفة كاملاً في كفنه، وأعيد إلى قبره وبنى عليه قبة، وزار قبر موسى الكاظم، وزار كربلاء والنجف وأنقذ مدينة كربلاء من الفيضان وبنى سدودًا، ثم رجع وخلص جميع العراق له بل حتى البحرين والقطيف، وكان ذلك كله سنة٩٤١هـ/١٥٣٤م، وسيطر على تبريز سنة ٩٤٤هـ. أُرهق طهماسب عسكريًا لذا طلب الصلح من العثمانيين، ووقعت معاهدة "أماسيه" سنة٩٦١هـ/١٥٥٥م، بعدها حاول طهماسب إقامة علاقات مع إنجلترا، التي فكرت في دخول أرض الصفويين فأرسلت تاجراً يحمل رسائل من الملكة اليزابيث الأولى ولكنه كان في الحقيقة جاسوساً وذلك سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٨م. كان طهماسب محبًا للعبث والشراب والطرب، وكانت دول أوروبا تحرضه على العثمانيين كما فعل سفير فينسيا.

استطاع الشاه طهماسب الاحتفاظ بحدوده الشرقية بإلحاق الهزائم المتتالية لقبائل الأوزبك وطردهم بعيداً عن حدود دولته، إلا أنه قاسى هزائم

عديدة في الغرب على يدي السلطان العثماني سليمان القانوني الذي استولى على العراق وتوغل حتى وصل تبريز وأصفهان، مما اضطر طهماسب إلى نقل عاصمته من تبريز إلى قزوين؛ لينجو من التهديد التركي، واضطر لعقد معاهدة صلح مع السلطان سليمان، حقن بها دماء شعبه، ويبقى على دولته، بعد أن تاب عن جميع المعاصي، وأقلع عن شرب الخمر. وقد ساعدت الظروف طهماسب للتفرغ لبناء حضارة دولته، حيث شغل العثمانيون في منازعات داخلية، وقد ظل طهماسب يوطد أركان حكومته في أنحاء إيران، ويقضي على فتنة أخيه "القاص ميرزا". وقد حكم طهماسب مدة طويلة، حتى توفي عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م. وقيل إنه مات مسمومًا من إحدى زوجاته.

الشاه إسماعيل الثاني :

بعد وفاة طهماسب دب صراع حول العرش حتى وصل إلى ابنه إسماعيل، وكان أبوه قد سجنه مدة ٢٥عامًا، فأخرج، وأول ما قام به قتل أخوته واحدًا بعد الآخر، وقتل حاشية القصر، وسمل عيونهم، ولكنه لم يستمر طويلاً فبعد فترة دخل عليه جماعة وقتلوه عام ٩٨٥هـ، وقيل إنه أبعد العلماء ولم يعترف بـ "نيابة الفقهاء"، وأن العلماء كانوا يلعبون بأبيه، فاتهمه العلماء بأنه أصبح سنيًا وقتلوه، والبعض يؤكد أنه تحول إلى سني فقتل .

الشاه محمد خدابنده :

هو ابن طهماسب وجلس على العرش عام ٩٨٥هـ، وكان ضعيف البصر لدرجة العمى، ولكنه كان جبارًا، فقد قتل أخته(بريخان)؛ لما لها من نفوذ عالي في القصر، كما قتل أخواله، وحتى أطفال أخيه إسماعيل الثاني،

وحدث قتال بينه وبين العثمانيين زمن السلطان مراد الثالث، وحاول القزلباش التلاعب بالحكم، ووضع حاكم يناسبهم، ولكن ابنه عباس وكان عمره ١٧سنة فطن لذلك، فجمع جيشًا من القبائل، وخلع أباه(٩٩٦هـ/١٥٨٨م) .

الشاه عباس الأول (عباس الكبير):

ولد الشاه عباس عام ٩٧٨هـ/١٥٧١م في مدينة هراة التي كانت آنذاك مركز حكومة خراسان، ووالده محمد خدابنده بن طهماسب الأول . كان الشاه عباس على صغره رجلًا صاحب دهاء ومكر، وكل شيء يفعله غايته تبرر وسيلته، وكانت مدة حكمه ٤٢ سنة(٩٩٦هـ-١٠٣٨هـ/١٥٨٨-١٦٢٩م).

لم تكن الظروف العامة للدولة الصفوية، عندما توج الشاه عباس الأول ملكًا على إيران، على ما يرام من جميع النواحي الداخلية والخارجية، ففي الداخل، أصاب التفكك والتشرذم وحدة البلاد مع تسلط زعماء القزلباش، كما أعلنت عدة أقاليم تمردها وانفصالها على الحكومة المركزية، ولم تعد مقاليد الحكم في يد الشاه بل انتقلت إلى القادة وذوي النفوذ وأميرات البلاط. ومن الناحية الخارجية، فإن الأخطار المحيطة بحدود الدولة من الشرق والغرب صارت أكثر قوة وهم الأوزبك والعثمانيون مع عدم القدرة على صد الهجمات المتكررة. اضطر الشاه عباس إلى عقد صلح مع العثمانيين، رغم أنه مجحف للدولة الصفوية، تنازل بمقتضاه عن كثير من المدن الإيرانية، كما وافق غلى إيقاف لعن الخلفاء الراشدين الثلاثة، وترك ابن أخيه رهينة عند العثمانيين. فقد كان على يقين من عدم قدرة جيوشه على مجابهة الجيوش العثمانية مع المشاكل والأزمات الداخلية التي كانت تتخبط فيها الدولة

الصفوية، فآثر مهادنتهم إلى حين حتى لا يخسر المزيد من الأراضي، وحتى تتحسن الأحوال في الجبهة الداخلية، وإنهاء الخطر الأوزبكي الذي كان يهدد دولته آنذاك، وبعد ذلك قد تسنح ظروف البلاد ، ويسترد ما استولى عليه العثمانيون من أراض.

كان الأوزبكيون السنة قد استولوا على مدينة هراة عام ٩٩٥هـ ، وعلى خراسان عام ٩٩٧هـ ، وعلى مدينتي مشهد وسبزوار عام ١٠٠٢هـ، ولكن مات ملك الأوزبك عبد الله خان، وقتل أخوه عبد المؤمن، فهاجمهم الشاه عباس في مدينة هراة، وطردهم من المنطقة عام ١٠٠٦هـ، كما قضى على القلاقل والفتن والتمرد في الأقاليم الإيرانية، وأدرك أن الدولة القوية لابد لها من جيش قوي، ونظرًا لأن الدولة الصفوية قبل تولي الشاه عباس الأول سدة الحكم كانت ترزح تحت وطأة القزلباش، كان الشاه عباس ذكيًا في التعامل معهم، حيث أبعدهم تدريجيًا عن المناصب الهامة، وقلّص دورهم ومشاركتهم في الدفاع عن الدولة، وقام بإضعافهم والحد من سلطاتهم، وقلل من نفوذ جماعة الصوفية الذين كان دورهم قد بلغ حدًا لا يطيقه، وكان بالموازاة مع ذلك يبني جيشين جديدين وفق رؤيته الشخصية، تكون الجيش الأول من رعايا الدولة الصفوية من غير المسلمين، ويضم أبناء الكرجيين والأرمن والشركس، ويتقاضون رواتبهم من خزينة الشاه، وهو جيش خاضع لأوامر الشاه مباشرة لا يأتمر إلا بأوامره شخصيًا، وأوكلت لهذا الجيش مهمة الدفاع عن الشاه وحراسة قصوره، وتشكل الجيش الثاني من رعايا الشاه المخلصين، الذين ينتسبون إلى طوائف الشعب المختلفة، الشئ الوحيد الذي يربط بينهم هو الالتفاف حول الشاه عباس، والتفاني في خدمته وتنفيذ أوامره، والدفاع

عن أرض إيران ضد أعدائها، وأطلق على هذا الجيش اسم "شاهسون" (محبي الملك)، وبتكوين الشاه عباس لهذين الجيشين، اللذين يأتمران بأوامره المباشرة، استطاع أن يحكم قبضته على الجيش. أراد الشاه عباس الأول بعد تشكيله للجيشين الجديدين أن يطور في طرق التدريب والرفع من القدرات القتالية لجيشه، فتحقق له ذلك بمساعدة أوروبية، تمثلت في الأخوين "روبرت وأنتوني شيرلي" والبعثة المرافقة لهما، الذين استطاعوا بفضل خبراتهم العسكرية أن يطوروا من القدرات القتالية للجيش الصفوي، بفضل طرق التدريب الجديدة التي كانت متبعة في أوروبا. كما قام الشاه عباس بإنشاء مصنع لصناعة الأسلحة والذخيرة بمساعدة هذه البعثة الإنجليزية، وقام الشاه أيضًا بتسليح بعض الفرق بالبنادق، كما سلح فرقًا أخرى بالمدافع التي لم تكن مستعملة في الجيش الصفوي[١]، وساعد الإنجليز في إضعاف النفوذ الهولندي في الخليج العربي، وإبداله بالنفوذ الإنجليزي، واشتركا معًا بجيوش لتنفيذ هذه المهمة، واستمرت حروبهم حتى عام ١٠٣٤هـ. أما حروب الشاه عباس ضد العثمانيين فبدأت عندما شعر الشاه بقوته، شرع بإرجاع ما أعطاه لهم في معاهدته مثل مدينة "تبريز"، كما أنه حاول احتلال "شروان" و"ديار بكر"، ثم توجه أخيرًا إلى بغداد .

كان الشاه عباس طائفيًا بشكل جلي، وبلغ تعصبه لمذهبه حدًا جعله يحج من عاصمته أصفهان إلى مدينة مشهد(حيث يوجد مقام الإمام الرضا، ثامن الأئمة عند الشيعة)، سيرًا على الأقدام، ودعا الشيعة للاقتداء به،

---

[١] انظر: أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول ص٤٦،٧٠، ٨٤–٨٧

والحج إلى مشهد، وجعل علماء الشيعة ومراجعهم يعلنون أن الحج لمدينة مشهد يكفي ويغني عن الحج إلى الكعبة وزيارة بيت الله الحرام، كما أنه عامل الأكراد السنة معاملة سيئة، فقد طلب منهم الدخول في المذهب الشيعي فرفضوا؛ مما أدى به إلى قتلهم وتشريدهم إلى خراسان؛ ليكونوا حاجزًا بينه وبين الأوزبك. وكان يقتل أسرى العثمانيين والأوزبك فإن لم يقتلهم سمل عيونهم، إلا إذا تخلى عن مذهبه فله حكم آخر. وكما كان يحاصر مدنًا سنية من أجل تسليمه شخص مطلوب، وإلا قتل أهل المدينة كما فعل مع مدينة همدان. بينما كان يكرم النصارى سواء من كانوا من أهل إيران، أو رعايا الدول الأوروبية، بل كرّم حتى التبشير المسيحي في إيران، وبنى مدينة للأرمن قرب أصفهان تدعى "جلفا"، لذا أقبل تجار أوروبا من كل حدب وصوب إلى إيران، وأصدر قوانين بإعفائهم من الضرائب، ومنع رجال الدين الشيعة من إزعاجهم، وأمر جميع أعضاء البلاط باحتساء الخمر مشاركة للمسيحيين حتى ولو في شهر رمضان، وبنى لهم الكنائس، بل كان يشاركهم أعيادهم وسماع مواعظهم، مما شجع بعض القساوسة لدعوته للدخول في النصرانية، ولكنه اعتذر بلطف .

أما خلاصة ما فعله في مدينة بغداد، فقد ثار أحد قادة العثمانيين على والي بغداد، وسيطر على بغداد وخاف من بطش العثمانيين، فأرسل إلى الشاه عباس يطلب منه دعمه مقابل أن تكون بغداد تابعة له، فرحب الشاه عباس بذلك، حتى يستعيد بغداد، ويتمكن من زيارة النجف وكربلاء، واستطاع دخول بغداد والسيطرة على الموصل وكركوك وأغلب العراق وذهب إلى النجف، وهتك حرماتها وأستارها، ورمّل نساءها، ويُتمت الأطفال، وأتلفت

الثروات، وخربت الجوامع، وهدمت المراقد ونهبت ومنها مرقد أبي حنيفة وعبد القادر والجيلاني. ونكّل بالعشائر. وقد خدع أهل بغداد عندما وعدهم بالأمان كي يسلموا أسلحتهم، وأخذ يقتل ويعذب الآلاف، ورفض كثير من أهل بغداد تغيير عقيدتهم، وفضلوا الموت على التشيع ولو بالظاهر، وأخذ أطفالهم والنساء فباعهم كعبيد إلى إيران، وكان ينوي إبادة أهل السنة في بغداد، وحوّل المدارس الدينية لاصطبلات، ثم عين واليًا لها وغادرها إلى بلاده، وكان ذلك سنة ١٠٣٣هـ، وتوفي الشاه عباس سنة ١٠٣٨هـ.

نقل الشاه عباس عاصمته إلى أصفهان، واختصها بعناية كبيرة، فصارت مركزًا حضاريًا متميزًا في مختلف ميادين العلم والفن والعمارة والأدب، كما قام بتعبيد الطرق، وحفر القنوات، وبناء الأربطة في طريق القوافل، وأشاع الأمن والاستقرار، وعمل على ازدهار الصناعة والتجارة، وازدهرت في عهده علاقات إيران بأوروبا، وكثر السفراء ببلاطه، كما كثرت زيارات الرحالة الأوربيين لإيران، وأشادت به الكتب الإيرانية، وكتب المستشرقين والرحالة.

كانت علاقة الشاه عباس بأفراد أسرته من أبرز الجوانب السيئة في سيرته، فقد قتل بعض أبناءه، وأهمل تعليم الآخرين وتدريبهم على شئون الحكم؛ خوفًا من يثور أحدهم ضده ويحل محله، مما جعله يخلف من بعده سلسلة من الملوك غير اللائقين .

الدولة الصفوية بعد الشاه عباس :

أعقب الشاه عباس الأول حفيده الشاه صفي(١٠٣٩هـ/١٦٢٩م-١٠٥٢هـ/١٦٤٢م)، وبعده تولى الشاه عباس الثاني(١٠٥٢هـ/١٦٤٢م-

١٠٧٨هـ/١٦٦٧م)، ثم الشاه سليمان(١٠٧٨هـ/١٦٦٧م-١١٠٦هـ/١٦٩٤م) ، وقد خلت عهودهم إلى حد ما من الحروب مع الأتراك العثمانيين خاصة بعد أن سوت المعاهدة التي وقعت بين الطرفين عام ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م مشكلة الحدود الغربية لإيران حتى القرن التاسع عشر.

ضعفت الدولة الصفوية إلى حد كبير في عهد الشاه سلطانحسين (١١٠٦هـ/١٦٩٤م-١١٣٥هـ/١٧٢٢م)، وقد ثارت قبيلة الأفغان الغلجائيين في قندهار، واستقلت بنفسها، وحذت قبيلة الأفغان الأبداليين في هراة حذوها، وفي عام١١٣٥هـ/١٧٢٢م قاد "محمود بن ميرويس" القبائل الأفغانية لفتح كرمان، فلم يجد مقاومة تذكر فتقدم إلى أصفهان ودخلها فتنازل له الشاه "سلطانحسين" عن العرش وألبسه التاج بنفسه، فصار ملكًا على إيران. لكن سرعان ما انقسمت البلاد إلى مناطق منفصلة، فسيطر "محمود" وخليفته "أشرف علي أصفهان وفارس وكرمان خلال الفترة من ١١٣٨هـ/١٧٢٥م حتى١١٤٣هـ/١٧٣٠م، واحتلت روسيا القيصرية السواحل الغربية والجنوبية لبحر قزوين، وزحف الأتراك العثمانيون إلى غربي إيران، فاضطر "أشرف" لعقد اتفاق ودي معهم .

الفصل الثاني

الأفشاريون والزنديون

أولًا: الأفشاريون

بعد وفاة الشاه "عباس الكبير" تعاقب على عرش إيران عدد من الملوك الضعاف، إلى أن تولى الشاه "سلطان حسين"، وكان بدوره ملكًا ضعيفًا سيطر في عهده رجال البلاط والحاشية غير الأكفاء على مقاليد الحكم باسمه، وكانت إيران الصفوية في ذلك الوقت تمر بأحد أصعب فترات تاريخها، فقد صارت "هراة" عرضة لحملات الأفغان الأبداليين، وتعرض شمال البلاد لهجوم الأوزبكيين، وفي نفس الوقت تطاول الأكراد السنيون في الغرب، كما سلبت القبائل العربية المغيرة الأمان من سواحل الخليج، وأضحت أرواح أهل الجنوب وأموالهم عرضة للتهديد، وفي مقابل تلك المشكلات تلاشى دور البلاط، وصار حكام الصفويين يؤمنون بالخرافات، وامتلأ البلاط بالمنجّمين(١).

أمام هذا الوضع المتدهور سنحت الفرصة للأفغان للتحرك من الشرق، واحتلال الأراضي الإيرانية كافة بقيادة زعيمهم "ميرويس"، الذي قضى على "گورگين خان" حاكم هراة من قِبل الصفويين، وبمقتل "گورگين خان" كانت بداية العصيان العام لقبائل الأفغان، والبداية الحقيقية لسقوط الدولة الصفوية، وقد واصل "ميرويس" انتصاراته المتتالية ضد الجيوش الصفوية، ولكن موته المفاجيء لم يمنحه الفرصة لتنفيذ مخططاته الواسعة، وخلفه ابنه الأكبر "محمود"، الذي استولى على أصفهان، وخلع الشاه سلطان "حسين الثاني"، وجلس على عرش إيران عام١١٣٥هـ/١٧٢٢م، ولجأ "طهماسب ميرزا" لقزوين؛ لإعداد جيش لمؤازرة أبيه الشاه "سلطان حسين"،

---

(١) انظر: د.هادى هدايتى: تاريخ زنديه، جلد اول، تهران١٣٣٤هـ.ش، ص١٦-١٥

ولكن "محمودًا" قتل على يد ابن عمه "أشرف"، الذي خلفه على عرش إيران، وحينما سمع "طهماسب ميرزا" بمقتل "محمود بن ميرويس"، دخل قزوين، وأعلن نفسه ملكًا بها خلفًا لأبيه، ولقّب نفسه بـ"الشاه طهماسب الثاني"[١].

نادر شاه :

في ذروة تلك الأحداث كان نجم " نادر"[٢] الأفشاري[٣]، قد بدأ يسطع في سماء السياسة الإيرانية، وبرزت شخصيته حينما استولى الملك "محمود السيستانى" على خراسان، وأمره بطرد الأوزبك، ولكنه ما لبث أن تمرد على الملك محمود، وحاربه، وانتصر عليه في النهاية، وحينما سمع الشاه "طهماسب الثاني" بذلك أرسل إليه يستدعيه لخدمته، فقبل "نادر"[٤]، الذي لم

---

[١]عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٦٩٢-٦٩٣

[٢] ينسب "نادر شاه" إلى شعبة "قرقلو" الأفشارية التركمانية التي كانت تسكن في التركستان حينما استولى عليها المغول، وبعد ظهور إسماعيل الصفوي رحلوا واستوطنوا قرب خراسان، وقد ولد "نادر "في أسرة فقيرة عام١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م بجوار قلعة "درهٔ جز"، وكان لديه استعداد عسكري منذ صغره، فالتحق في شبابه بخدمة حاكم "ابيورد"، الذي زوجه بابنته الكبرى، ليضمن إلى جواره سندًا قويًا في التصدي لأعدائه، فأنجبت له زوجته ابنه "رضا قلى ميرزا", وبعد وفاتها تزوج بأختها الأخرى التي أنجبت له "نصر الله = = ميرزا" و"إمام قلى ميرزا"، وعقب وفاة حاكم "ابيورد" عام ١١٣٦هـ/١٧٢٣م أمسك "نادر" بزمام الأمور، ثم التحق بخدمة الملك محمود السيستانى ، وصار أحد قادته، فولّاه حاكمًا على خراسان. لمزيد من التفاصيل، انظر: حاتم محمد رشاد: درهٔ نادره، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢-٧ ،

History of Persia. Percy Sykes London 1951. P. 247-248

[٣] قبيلة أفشار هي إحدى قبائل مجموعة القزلباش التركمانية في العهد الصفوي،هاجر أفرادها من التركستان إلى آذربايجان أثناء الغزو المغولي، وصار أفرادها من أتباع "الشيخ صفي الدين الأردبيلى" ، وتنقسم إلى شعبتين:"قاسملو"و"قرقلو" أو"أرخلو"، وإلى الأخيرة ينسب نادر أفشار، وقد اشتق اسمها من"أوشاريا" أو "وشار" حفيد چنگيز خان.(الدولة الصفوية: د.أحمد الخولى، القاهرة١٩٨١، ص ٤٣)

[٤] عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٦٩٦

يلبث" أن صار قائدًا عامًا للجيش الصفوي، وأنعم عليه الشاه بمنصب "وزير التشريفات"، ومنحه لقب "طهماسب قلى" أي غلام أو تابع "طهماسب"[١]، وتمكن نادر من القضاء على تمرد خراسان الذي قاده الملك "محمود السيستانى"، ودخل "مشهد" منتصرًا، وانتهي الأمر بقتل الملك "محمود"[٢].

رغم جهود "نادر" في القضاء على الملك محمود، واسترجاع ما اغتصبه من ولايات، لم يسلم من الوشاة والحاقدين الذين أوعزوا إلى الشاه "طهماسب" أن "نادر" خائن ولابد من القضاء عليه، فطلب الشاه مساعدة حكام مازندران واستراباد ضد "نادر"، وحينما علم الأخير بهذا غضب بشدة، وحاصر "خبوشان "، فاعتذر له الشاه، وعادوا جميعًا إلى "مشهد"، وقام نادر بإخماد عدة ثورات نشبت في أماكن متفرقة، كما دخل في حروب مع الأفغان على أثرها استرد منهم "أصفهان"، ثم اتجه إلى"آذربايجان" وطرد العثمانيين منها عام ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، واستعاد "هراة"، ورغم انتصارات نادر المتتالية ضد العثمانيين، انتهز الشاه "طهماسب" فرصة توجه "نادر" إلى خراسان، وأراد أن يقلده، فانتصر على العثمانيين في "نخجوان"، لكنه هُزم في "إيروان"، واستولى العثمانيون على عدد كبير من المدن الإيرانية، ثم عقدت معاهدة صلح بين الشاه "طهماسب" والعثمانيين[٣]، وحينما سمع "نادر" بأنباء هزيمة الشاه "طهماسب الثاني"، ومعاهدته مع العثمانيين أسرع إليه وعنّفه، وأرسل إلى "استانبول" مطالبًا بإرجاع الولايات الإيرانية المغتصبة ، أو الاستعداد للحرب، كما أوضح لطبقات الشعب الإيراني مدى الضرر

---

(١) حاتم محمد رشاد: درة نادره، ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ص ٩

(٢) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٩٨

(٣) حاتم محمد رشاد: درة نادره، ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق، ص ٩-١٠

الذي لحق بإيران نتيجة لصنيع الشاه، ولم يكتفِ بذلك، بل خلع الشاه " طهماسب الثاني"، وعين بدلًا منه ابنه الرضيع "عباس ميرزا"، ولقّبه بـ"الشاه عباس الثالث"، كما تخلى هو عن لقب "طهماسب قلى"، وتلقب بـ "وكيل الدولة"، ونائب السلطنة (١).

أودع "نادر" الشاه "طهماسب" السجن في "مشهد"، وأرسل الشاه "عباس الثالث" إلى "قزوين"، واتجه هو لصد "البختياريين"، كنائب عام للسلطنة، وبعد أن فرغ من أمرهم رجع إلى "كرمانشاه" (٢). بعد ذلك بدأ نادر استعداداته لاسترجاع الأراضي الإيرانية التي اغتصبها العثمانيون، وتمكن من استرداد الولايات الإيرانية التي استولوا عليها طبقًا للمعاهدة المبرمة مع الشاه المخلوع، كما عقد معاهدة "رشت" مع روسيا القيصرية استعاد بمقتضاها الأراضي الإيرانية التي استولى عليها الروس إبان حكم قيصر روسيا(٣).

عقب تلك الأحداث أدرك " نادر" أن الوقت قد صار مناسبًا ليتوج نفسه ملكًا على إيران، فوجه الدعوة إلى حكام الولايات والقضاة والأعيان والعلماء لحضور مجلس في صحراء "مغان" عام ١١٤٧هـ/١٧٣٥م، حيث ألقى كلمة على الحاضرين(٤)، تحدث فيها عن أمر السلطنة، وكفاحه الذي خلّص إيران من قبضة الأفغان والروس والعثمانيين، وأوضح لهم أن الشاه "طهماسب" وابنه "عباس" موجودان، ولهم أن يختاروا من يريدون، وقد آن له أن يستريح

(١) انظر: رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، جلد اول، ، تهران ١٣٧٨هـ.ش، ص ٥٣-٥٥

(٢)عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٧٠٤

(٣) حاتم محمد رشاد: درۀ نادره، ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ص ١١

ولمزيد من التفصيل انظر: رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، ص ٥٥-٥٧

(٤) حاتم محمد رشاد: درۀ نادره، ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ص ١٣

في خراسان، ولكن جموع الحاضرين كانوا يعرفون هدفه مسبقًا، فأعلنوا أنه لا يليق بأمر السلطنة سواه ، فوافق في نهاية الأمر ولكن بشروطه[١].

بعد أن وافق الحاضرون على شروط "نادر"، لبس تاج السلطنة يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شوال عام ١١٤٨هـ/الثامن من مارس ١٧٣٦م، وأطلق على نفسه "نادر شاه"، وصكّ العملة باسمه[٢]، وبذلك انتهت بصفة رسمية الدولة الصفوية تمامًا بعزل الشاه "عباس الثالث"، والتي حكمت قرابة قرنين ونصفًا من الزمان، وإن كانت نهايتها الحقيقية قد بدأت عام١١٤٥هـ/١٧٣٢م بعزل الشاه "طهماسب الثاني" وتوليه ابنه الرضيع.

عقب جلوس "خان الأفشار" على عرش إيران، عين ابنه "رضا قلى ميرزا" حاكمًا على خراسان، كما نصّب أخاه "إبراهيم خان ظهير الدولة" حاكمًا على آذربايجان[٣]. لا شك أن "نادر شاه" حينما عين ابنه حاكمًا على خراسان، سار على نهج ملوك الصفوية، فمنذ عهد إسماعيل الأول كانت حكومة خراسان تسند إلى أكبر أبناء الملك الصفوي، وربما أراد أيضًا وضع الشاه المخلوع وابنه المحبوسين بخراسان تحت رقابة أحد أفراد البيت الأفشاري، كما سعى من تعيين أخيه على آذربايجان حماية المناطق الشمالية أمام هجمات الأتراك العثمانيين بواسطة أحد أقاربه، وربما خشى حال قيامه بتعيين حاكم عليها من خارج أسرته، أن يفكر في الاستقلال مستغلًا بُعده عن العاصمة .

---

[١]عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٧٠٩

[٢] حاتم محمد رشاد: درة نادره، ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق، ص ١٥

[٣]عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٧١٠

كانت أولى حملات "الخان الأفشاري" العسكرية بعد جلوسه على عرش إيران ضد البختياريين، حيث قام بتأديب القبيلة البختيارية المتمردة عام ١١٤٨هـ/ ١٧٣٦م، وبعد أن اطمأن من ناحية شمال إيران وغربها، اتجه شرقًا لفتح "قندهار" معقل الأفغان الغلجائيين، حيث تمكن من فتحها في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م[١].

بعد أن فرغ "نادر شاه" من فتح "قندهار" اتجه بجيشه لفتح الهند، وكانت ذريعته قيام حاكمها "محمد شاه الگورگانى" بإيواء الأفغان الغلجائيين أثناء حملته على أفغانستان لتأديبهم[٢]، ولكن كان هناك سبب آخر تمثل في خواء خزائن إيران؛ نتيجة للحملات العسكرية التي قام بها[٣].

سار "خان الأفشار" إلى الهند عن طريق كابل، وفي الخامس عشر من ذي القعدة عام ١١٥١هـ/١٧٣٨م دارت معركة "كرنال"[٤] بين الجيشين الهندي والأفشاري، وقد انتصر "نادر شاه" ورجع من الهند بغنائم وفيرة، كما استعاد الأراضي الإيرانية بناحية السند، وفي عام١١٥٣هـ/١٧٤٠م أقام احتفالًا كبيرًا في "هراة" بمناسبة فتوحاته، ثم قام بحملات ضد بخارى و"خيوة" كانت من أنجح الحملات في الهند، كما ضم مجموعة من الأوزبك إلى جيشه، وفي تلك الأثناء سنحت الفرصة لتمرد الأتراك المقيمين في آذربايجان

---

[١] رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٦٥- ٦٦

[٢] عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٧١١- ٧١٢

[٣] حاتم محمد رشاد: درهٔ نادره، ماجستير غير منشورة، مرجع سابق، ص ٢٥

[٤] لمزيد من التفاصيل انظر: رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، ص ٦٥- ٧٣

والعراق، ولكن قبل قتال الأتراك رأى "نادر شاه" ضرورة تأديب قبائل "اللزك" الذين قتلوا أخاه "إبراهيم خان ظهير الدولة" في القوقاز (آذربايجان)[١].

اتجه " نادر شاه" بجيشه في الثامن من المحرم ١١٥٤هـ/١٧٤١م من مشهد إلى داغستان، وبينما كان يمر عبر أدغال "سوادكوه"، تعرض لمحاولة قتل، فتشتت عقله، وترك ابنه "رضا قلى خان" الذي كان في معيته في طهران، واتجه إلى داغستان، ولكنه فشل في حملته إليها، ورجع دون تحقيق هدفه، فكانت هذه أول هزيمة عسكرية نالها، وتركت أثرًا عميقًا في نفسه، كما ولّدت لديه الشعور بالغضب الشديد، أيضًا بلغته أنباء الثورات التي اندلعت في الولايات الإيرانية، فانحرف عن جادة الاعتدال، ورغم أنهم جاءوا له بالغلام الذي حاول قتله، فسمل عينيه، لكنه كان يظن أن هذه الحادثة من تدبير ابنه "رضا قلى ميرزا"، فاستدعاه من طهران، وأمر بسمل عينيه[٢]، ورغم كل هذا حارب الأتراك الذين استولوا على بعض المدن الإيرانية في عهد الشاه "سلطان حسين"، وبعد انتصاراته على الجيش العثماني قرب "إيروان"، عقدت معاهدة صلح بمقتضاها أعاد الأتراك كافة ولايات آذربايجان والعراق لإيران، وكان هذا آخر نصر عسكري حققه الخان الأفشاري[٣].

اغتيال نادر شاه :

رغم كل ما قدمه نادر شاه للشعب الإيراني من خدمات جليلة، إلا أن الإيرانيين لم يكونوا على وفاق معه منذ البداية ؛ لتوجهه الرامي إلى القضاء على المذهب الشيعي، وإحلال المذهب السني بدلًا منه، وإلغاء الآداب

---

[١] پاول هرن: تاريخ مختصر إيران، ترجمة د. رضا زاده شفق، ص ١٠١

[٢] عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، ص ٧١٧

[٣] هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص ٢٥

الدينية الخاصة بالشيعة، ولهذا رفض الإيرانيون هذا الأمر باطنًا، وكانوا يضمرون عداءهم له، ولم يرغبوا في استمرار دولته(١).

كانت السنوات الخمس الأخيرة من حياة خان الأفشار سلسلة من المذابح سببها الرئيسي الشعور بالخوف على النفس الذي تمكن منه، كما أنه خلال الفترة الأخيرة من حكمه عيّن الضباط الأفغان الذين كانوا على المذهب السني، وموضع ثقته، في المناصب الرفيعة محل الضباط الإيرانيين، أيضًا تغيرت أخلاقه وحالته المعنوية؛ نتيجة لسمل عيني ابنه "رضا قلى ميرزا"، فقام بقتل كافة الأمراء والقادة الذين تصادف وجودهم حينما أصدر أمره بسمل عيني ابنه، ولم يشفعوا له(٢)، كما أقام أهرامات من رؤوس الضعفاء والأبرياء في فارس وكرمان، وجعل ملاذ معارضيه الكهوف، والأماكن المهجورة، وصارت أفعاله وسلوكه غاية في القسوة والوحشية(٣).

غادر الخان الأفشاري أصفهان في العاشر من المحرم١١٦٠هـ الثالث والعشرين من يناير١٧٤٧م متجهًا إلى "يزد"، حيث أشاع القتل هناك، كما احتفل مع أبنائه وأحفاده بعيد "النوروز" خارج مدينة كرمان، في نفس الوقت كان ابن أخيه على قلى خان المنوط به قمع ثورة سجستان يحشد جيشًا لقتال عمه نفسه، وانضم إليه أهل سجستان وبلوجستان، وعدد من عشائر هراة، وأكراد خبوشان، فقرر التوجه إلى خبوشان لإخماد فتنة ابن أخيه، فأرسل أبناءه وأحفاده إلى قلعة "كلات"، واتجه لهدفه، وعسكر في "فتح آباد" على

---

(١)عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، مرجع سابق، ص ٧٢٠-٧٢١

(٢)هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص ٢٦

(3)History of Persia: Percy Sykes. London 1951. P. 272.

مسافة فرسخين[١] من خبوشان[٢]. كان خان الأفشار في ذاك الوقت قد دبر مؤامرة في الخفاء مع قادته من الأوزبك والأفغان والتركمان أتباع المذهب السني، ومحل ثقته؛ للقضاء على قادة "القزلباش" الإيرانيين أتباع المذهب الشيعي، وتخليص جيشه منهم تمامًا، ولكن زعماء القزلباش علموا بمؤامرته، فأخذوا زمام المبادرة، وقتلوه في خيمته بـ" فتح آباد" في خبوشان ليلة الأحد الحادي عشر من جمادى الآخرة عام١١٦٠هـ/ ٢٠ يونيه ١٧٤٧م[٣].

خلفاء نادر شاه :

نشبت الاضطرابات والقلاقل في كافة المدن الإيرانية إثر موت "نادر شاه"، وتفرق شمل الجيش الأفشاري، فانطلق الجند في المدن سلبًا ونهبًا، وحينما علم قائد الأفغان "أحمد خان الأبدالى" باغتيال الخان الأفشاري، صمم على الانتقام له، لكنه انهزم أمام القزلباش، وبعد أن استولى على جزء من أموال وخزائن "نادر شاه"، هرب إلى قندهار على رأس عشرة آلاف[٤] من أتباعه؛ خوفًا من بطش القزلباش، واستولى على قندهار، ثم هراة، وأعلن استقلاله هناك، وسمى نفسه "أحمد شاه الدرانى"[١]. في هذا الوقت كان تاج

---

[١] الفرسخ: يساوى ٦٢٧٠ مترًا ، أي ستة كيلومترات تقريبا وحوالي أربعة أميال.
(دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمه د.عبد النعيم محمد حسين، مرجع سابق، ص ٢٥٨) .

[٢] درة نادره : حاتم محمد رشاد، ماجستير، مرجع سابق ، ص ٢٠

[٣]عبد الرضا هوشنگ مهدوى، تاريخ روابط خارجى إيران از ابتداى دوران صفويه تا پايان جنگ دوم جهانى(١٥٠٠– ١٩٤٥)، مؤسسه انتشارات امير كبير، چاپ ٦، تهران ١٣٧٧..ش، ص ١٧٦ ولمزيد من التفصيل انظر: ابو الحسن گلستانه، مجمل التواريخ پس از نادر، بسعى واهتمام مدرس رضوى، چابخانه شركت طبع كتاب، تهران١٣٢٠هـ.ش، ص ١٢–١٥

[٤] يرى بعض المؤرخين أن أحمد خان الأبدالى حينما رحل إلى قندهار كان تعداد جيشه من الأفغان والأوزبك ثلاثين ألف فارس.(ابو الحسن گلستانه: مجمل التواريخ پس از نادر، ص ١٥).

[١]عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى إيران، مرجع سابق، ص ١٧٠

وعرش إيران بلا صاحب، ولأن قتلة "نادر شاه" لم يحددوا في خطتهم مسبقًا خليفة له، فقد فكر عدد كبير من أدعياء السلطة في المناطق والأطراف البعيدة في الإمساك بزمام الأمور[١].

على قلى خان (على شاه):

بعد اغتيال "نادر شاه" ظهر الأدعياء والمطالبون بالعرش في شتى المناطق الإيرانية، حيث رفع "محمد حسن خان قاجار" راية التمرد في استرآباد ومازندران، وسيطر "آزاد خان أفغان"على آذربايجان، وتصرف "هدايت الله خان" في جيلان، كما رفع "هراكليوس" لواء الاستقلال في جورجيا[٢]. أما في خراسان، فبيل مقتل "نادر شاه" كان ابن أخيه "على قلى خان"– كما سبق القول–مكلفًا من قبله بقمع متمردي سيستان(سجستان) ،إلا أنه نتيجة لسوء أفعال عمه؛ خرج عن طاعته في يناير عام ١٧٤٧م /١١٦٠هـ، كما أعلن نفسه ملكًا على إيران[٣]، واتجه لقتال عمه "نادر شاه"، ولكنه حينما علم باغتياله، غيّر من خطته وأسرع إلى مشهد[٤].

قضى "على قلى خان" على كافة الأمراء والموالين لعمه، كما استولى على قلعة "كلات"، وقام بقتل أبناء وأحفاد "نادر شاه" عدا "شاهرخ ميرزا" ابن "رضا قلى ميرزا"، وحفيد "نادر شاه" ذي الأربعة عشر عامًا، فقد سجنه في قلعة مشهد، وأذاع خبر قتله، وكان يهدف إلى قتله إذا ما نجح في

---

(١)هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص ١٠٤

(٢) انظر: عبد الله رازى همدان: تاريخ إيران از ازمنه باستانى تا سال ١٣١٦هـ.ش، چاپخانه اقبال، تهران ١٣١٧ش، ص ٥٨٠-٥٨٦

(٣)عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى إيران، مرجع سابق، ص ١٧٥

(٤)محمد صادق موسوى نامى: تاريخ گيتى گشا، با تصحيح ومقدمه سعيد نفيسى، تهران١٣١٧ش، ص ٨

الاستقلال بالملك، واستتب له الأمر، أما إذا لم يقبل الإيرانيون بحكمه، ورغبوا في حكم أحد أبناء الشاه سلطان حسين الصفوي، يعلن "شاهرخ ميرزا" ملكًا، ويقبض باسمه على زمام الأمور[١].

بعد أن تخلّص "على قلى خان" من كافة الأمراء والمنافسين له، جلس على عرش السلطنة بمشهد في السابع والعشرين من جماد الثاني ١١٦٠هـ /١٧٤٧م، واتخذ لقب "على شاه" أو "عادل شاه"[٢]، كما ضرب السكة باسمه، وجرت الخطبة باسمه أيضًا، ونقل كافة كنوز "نادر شاه" من قلعة "كلات" إلى مشهد، ورغم ضخامة تلك الثروة، لكنه أنفقها بإسراف في فترة وجيزة[٣]. وبهذا استولى على الحكم في وجود ورثة "نادر شاه" الشرعيين.

لم يستمر حكم "على شاه" كثيرًا، فقد تمرد عليه أخوه إبراهيم خان، فخرج على شاه بجيشه لإخضاعه هو وسائر المتمردين، وتقابل الجيشان فيما بين سلطانية وزنجان فانهزم "على شاه"، وهرب إلى طهران مع قلة من أتباعه، ولكنه وقع أسيرًا، وسملوا عينيه بأمر أخيه إبراهيم خان[٤]. كان من أهم أحداث فترة حكم على شاه خروج قندهار عن سيطرة إيران، فقد قام القائد الأفغاني "أحمد خان الأبدالي" بتأسيس حكومة مستقلة بها، كما أن الشيعة

---

(١) انظر: ابو الحسن گلستانه: مجمل التواريخ پس از نادر، مصدر سابق، ص ١٧-١٩

(٢) رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ١٢١

أطلق على قلى خان على نفسه لقب "عادل شاه" حينما تنازل عن نصف الضرائب والعوائد المتأخرة (هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص ١٠٥).

(٣) ابو الحسن گلستانه: مجمل التواريخ پس از نادر، مصدر سابق، ص ٢٠

(٤) رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ١٢٤-١٢٥

ظهروا بقوة وتعقبوا أهل السنة، وضيّقوا عليهم[١]، وقد بلغت فترة حكم على شاه أربعة عشر شهرًا[٢].

إبراهيم شاه:

بعد أن فرغ إبراهيم خان من أمر أخيه "على خان"، كان يتطلع بدوره إلى السلطنة، فأعلن أخاه الأصغر "حسين خان" حاكمًا على خراسان، كما أعلن أن السلطنة حق "شاهرخ ميرزا"، ودعاه إلى العراق؛ ليتوّجه على العرش، وكان هدفه أن يخلص شاهرخ من قبضة رجال خراسان الأقوياء، وبعد القضاء عليه، يحكم البلاد بلا منافس[٣]، إلا أن أكابر مشهد فطنوا إلى حيلته، فأعلنوا سلطنة شاهرخ في مشهد[٤]، وحينما سمع إبراهيم خان بهذا الخبر، وعلم بتحركات أمراء وأشراف مشهد لقتاله بعد فترة وجيزة من إعلان سلطنة شاهرخ، عدل عن مقصده الأول، وفي هذه المرة ادّعى السلطنة لنفسه، فأعلن نفسه بدوره سلطانًا في تبريز في السابع عشر من ذي الحجة عام١١٦١هـ/١٧٤٨م، وسمى نفسه "إبراهيم شاه"، وضرب السكة باسمه[٥]، وتحرك من آذربايجان بحشود ضخمة صوب خراسان لصد جيش شاهرخ

---

[١] تاريخ مختصر إيران : پاول هرن، ترجمة د. رضا زاده شفق ، مرجع سابق، ص ١٠٥

[٢] هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص ١٠٨

[٣] رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران ، مرجع سابق، ص ١٢٩

[٤] حسن بيرنيا وعباس إقبال: دورهٔ إيران از آغاز تا انقراض قاجاريه، تهران ١٣٢٦هـ، ص٧٣٦-٧٣٧

[٥] لم يطمئن إبراهيم شاه لقوته فصمم أن يجلب لنفسه حماية الدولة العثمانية، ولهذا أرسل مصطفي خان شاملو- الذي كان قد ذهب في السابق سفارة إلى الباب العالي- إلى استانبول على رأس وفد بهدايا قيّمة. (عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى إيران، مرجع سابق، ص ١٧٧)

شاه[١]، وتقابل الجيشان قرب مدينة "سمنان" في حدود ولايتي خراسان والعراق، فانهزم إبراهيم شاه، ولاذ جنده بالفرار، حيث انضم بعضهم إلى جيش شاهرخ، واتجه البعض الآخر صوب ديارهم، واضطر هو للفرار إلى العراق، ولاذ بقلعة "قلاپور"[٢]، فقبض عليه أهل القلعة، وأخبروا "شاهرخ"، فأرسل بعض رجاله لإحضار "على شاه" الأعمى، و"إبراهيم شاه" [٣]، حيث قُتل الأخوان في جمادى الثاني عام ١١٦٢هـ/١٧٤٨م[٤] ، ولم تستمر سلطنة إبراهيم شاه أكثر من ستة أشهر[٥].

شاهرخ شاه:

يعد "شاهرخ" في الحقيقة الخليفة الثالث لـ "نادر شاه"، وهو ابن "رضا قلى ميرزا" أكبر أبناء نادر شاه، كما أنه حفيد الشاه "سلطان حسين الصفوي" من ناحية أمه، ولكنه طوال فترة حكمه لم يذق أبدًا طعم الهدوء والراحة[٦]. جلس "شاهرخ" على عرش الحكم في "مشهد"، في الثامن من شوال ١١٦١هـ

---

(١) انظر: ابو الحسن گلستانه: مجمل التواريخ پس از نادر، مصدر سابق، ص ٣٠-٣١

(٢) أورد بعض المؤرخين اسم هذه القلعة " قله بر".(محمد صادق موسوى: تاريخ گيتى گشا، ص ١١) بينما ذكر البعض الأخر أن اسمها "قلاپور" وتقع بين ساوة وقزوين.(ابو الحسن گلستانه، ص ٣٦)

(٣) رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران ، مرجع سابق، ص١٣١

(٤) هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص١١٠

بعد فرار "إبراهيم شاه" على أثر هزيمته، تمكن جند شاهرخ بقيادة "موسى خان افشار طارومى" من القبض عليه وسملوا عينيه، وأرسلوه إلى خراسان مع "على شاه" الأعمى، والمؤن والعتاد بصحبة "ميرزا سيد محمد رضوى"، وبأمر "شاهرخ" قتل "إبراهيم شاه" في الطريق "وعلى شاه" في مشهد.

(عبد الرزاق بيك دنبلى: تجربة الأحرار وتسلية الأبرار، بخش دوم، ص٣)

(٥)عبد الرضا هوشنگ مهدوى : تاريخ روابط خارجى إيران، مرجع سابق، ص١٧٧

(٦) رضا شعبانى (دكتر): مختصر تاريخ إيران، مرجع سابق، ص١٣١-١٣٢

/١٧٤٨م بمبايعة أمراء وزعماء مشهد[١]، ولكن حكمه لم يستمر طويلًا، ففي سبتمبر ١٧٤٩م/١١٦٢هـ. اندلعت ثورة في مشهد، وقبض الثوار عليه، وسملوا عينيه، بذريعة أنه سني المذهب، ويبغي القضاء على المذهب الشيعي مثل جده "نادر شاه"، واختاروا للسلطنة الأمير "سيد محمد" والي مشهد، وكان زوج أخت السلطان "حسين الصفوي"، ومن علماء الشيعة المعروفين، فجلس على عرش الحكم باسم "الشاه سليمان الثاني"، وأمر بإغلاق المقاهي والحانات، ولم يستمر حكم الملك الجديد أكثر من أربعين يومًا؛ لأن "يوسف خان جلاير" قائد جيش "شاهرخ" الذي كان قد أُرسل إلى هراة لمواجهة "أحمد شاه الدرانى"، سيطر بجيشه على مشهد، وأعدم الأمير "سيد محمد"، وتزعم الثورة، وأجلس شاهرخ الضرير على العرش مرة أخرى، وصار هو نائبًا عنه[٢]. وما لبث أن اتحد قائدان آخران من قاده "شاهرخ" كممثلين للعرب والأكراد، وهما الأميران: "علم خان" و"جعفر خان"، وهزما "يوسف على" وقتلاه، وألقيا "شاهرخ" المريض في السجن[٣]، لكن الحال تغيّر بين القائدين الصديقين، فنشبت بينهما حرب شديدة، انتصر فيها الأمير علم خان، وسمل عيني جعفر خان[٤]، وفي النهاية قتل الأمير"علم خان" بيد أحمد خان الأبدالي الأفغاني"[٥].

---

[١] ابو الحسن گلستانه: مجمل التواريخ پس از نادر، مصدر سابق، ص٣٠

[٢] عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى إيران، مرجع سابق، ص١٧٧-١٧٨

[٣]غلا معلى رجائى: إيران وكريم خان، چاپ اول. تهران ١٣٧٧هـ.، ص٤

[٤] رابرت گرانت واتسن: تاريخ إيران از ابتداى قرن نوزدهم تا سال ١٨٥٨م، ترجمةع. وحيد، ص٤٣

[٥]عبد الله رازى همدانى: تاريخ إيران از ازمنه باستانى، مرجع سابق، ص٥٨٦

اندلعت الاضطرابات والصراعات في الأقاليم الإيرانية المختلفة، وصار حكم شاهرخ الضرير موضع تهديد من أحد أدعياء الحكم وهو "أحمد خان الأبدالى" قائد الأفغان الأبداليين، الذي اتجه إلى قندهار بعد مقتل "نادر شاه"، وأعلن نفسه ملكًا على أفغانستان، وصمم على مهاجمة إيران واحتلالها ، وفي نفس اللحظة التي سمل فيها أعيان مشهد عيني الشاه "سليمان الثاني"، ورفعوا "شاهرخ" للحكم من جديد، هاجم أحمد خان خراسان، وعقب احتلال هراة بوابة خراسان، وصل قرب مشهد عاصمة خراسان، وحاصرها عام ١١٦٢ هـ/١٧٤٨م، وأمام قسوة الشتاء في تلك السنة، رفع حصاره عن المدينة، ورجع إلى أفغانستان، لكنه في العام التالي عاد إلى مشهد واستولى عليها، وقرر مواصلة فتوحاته في سائر مناطق إيران، واحتلال جميعها، ولكن وصلته أخبار جديدة، وعلم أن قوىً جديدة ظهرت داخل إيران، يقاتل بعضها البعض من أجل تاج وعرش السلطنة، وأمام ذاك الوضع قرر اتخاذ سياسة معتدلة ومتعقلة، ومن ثم عزم على الخروج من جلبة ذلك الصراع، والعودة إلى أفغانستان[١]، وأن تبقى خراسان تحت حكم شاهرخ احترامًا لـ "نادر شاه"، ولكنه اشترط أن يقرّ شاهرخ بتفوق الأفغان، فقبل الأخير، وضرب السكة باسم "أحمد شاه"، كما أمر بإجراء الخطبة باسمه في المساجد[٢]، وقبل أن يترك خراسان جمع أحمد شاه زعماء مشهد في بلاط شاهرخ شاه، وأوصاهم أن تظل ولاية خراسان إمارة مستقلة تحت حكم شاهرخ حفيد نادر، وأن يظلوا مخلصين له مرتبطين به، ثم رجع إلى أفغانستان[٣].

---

[١] هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، مرجع سابق، ص١١٠-١١١

[٢] عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى إيران ، مرجع سابق، ص١٧٨

[٣] هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه ، مرجع سابق، ص١١١

ثانياً : الزنديون

برزت أسرة الزند وتألقت في عهد زعيمها محمد كريم خان بن ايناق الزندي(١١٦٣-١١٩٣هـ) الذي استطاع بحنكته وشجاعته ونبوغه الشخصي الوصول إلى كرسي الحكم في ايران والتمسك بمقاليده طوال ٣٠ عامًا تقريبًا. وبعده استمر حكم اسرته سنوات أخرى لحين افول نجمها وانتهاء سلطتها عقب القضاء على اميرها النابغ (لطف علي خان) من قبل القاجاريين.

ولد كريم خان بقرية(پرى) عام١٧٠١م من توابع(ملاير) الواقعة في الشمال الغربي من إيران والتي كانت بمثابة المقر الدائم والرئيس للزند الرحل(من فروع قبيلة اللك الكوردية المعروفة). وقد ظهرت بوادر نبوغه ومؤهلاته القتالية الفذة سريعاً عقب انخراطه بجيش(نادر شاه) منذ العام ١٧٢٧م، الذي حرص على تعزيز قواته التي سيطرت على أراضي(اللور والبختيارية) بمقاتلي(لك) ومن بينهم(كريم خان) الذي واصل فيما بعد تألقه وتدرجه بالمناصب العسكرية في جيش عادل شاه(بعد مصرع نادر شاه) حتى أصبح قائده أخيراً. ولكن سرعان ما وقع الخلاف بينهما وطلب كريم من عادل شاه الاذن بالرجوع مع عشيرته إلى موطنهم في ملاير، إلا أن عادل رفض وقرر كريم ترك صفوف الجيش والتوجه مع أفراد عشيرته إلى ملاير. ثم استفاد(كريم خان) من ظروف الفوضى والأنهيار التي سادت ايران، فتمكن ببسالته ودهائه من السيطرة على تلك الأوضاع وإرساء دعائم حكم أسرته. كان لزاماً على(كريم خان) وقبل نجاحه في التمسك بمقاليد السلطة في ايران أن يخوض صراعاً صعباً ومتواصلاً مع خصومه الأقوياء على السلطة والنفوذ تخللته انتصارات باهرة ونكسات مريرة أحياناً، بيد أن صفاته القيادية

واستماتة جيشه وقادته المؤلفين من أبناء (اللك) غالباً (وعلى رأسهم اخواه صادق خان وزكي خان) مكنته في النهاية من تحقيق مجد أسرته الحاكمة التي حظيت بالأعجاب والاهتمام على صعيد إيران والمنطقة، فأصبحت عاصمته شيراز مركزاً حضارياً وعمرانياً واقتصادياً مزدهراً استتبت فيها مظاهر الأمن والعدل والرخاء كثيراً. لم يكتف كريم خان بالمكاسب الكبيرة التي حققها على صعيد بلاده إيران والمتمثلة باخضاعه لأقاليم ومناطق هامة وشاسعة تحت سلطانه ومنها، شيراز وأصفهان وكيلان ومازندران وأرجاء واسعة من آذربايجان وغيرها، بل سعى ايضاً بهدف ضم بعض مناطق نفوذ العثمانيين إلى حدود مملكته وتوسيعها على حسابهم ولاسيما في أعقاب انتهاج واليهم في بغداد(عمر باشا) سلوكاً معادياً لمصالح الإيرانيين، وتعمده فرض بعض الرسوم المالية على زوارهم القادمين إلى العتبات المقدسة في العراق. ونتيجة لذلك وبهدف كسر شوكة الحكم العثماني في العراق، أرسل كريم خان جيشاً كبيراً بقيادة شقيقه صادق خان لاحتلال البصرة، فتمكن هذا الجيش الجرار، عقب اجتيازه لشط العرب بجسر مؤلف من العبّارات، من تطويق المدينة واحتلالها عام ١٧٧٦م بعد حصار دام ١٣ شهراً، وظلت البصرة خاضعة لحكم الزند، ردحاً من الزمن وعومل أهلها بالرعاية والحسنى من قبل صادق خان الذي عاد إلى بلاده عقب وفاة شقيقه كريم خان، فأصبحت الفرصة سانحة للعثمانيين كي يعيدوا البصرة إلى حكمهم. كما شهد عهده تردي االعلاقات مع الإنجليز ووصلت أزمة العلاقات بين الطرفين إلى ذروتها عندما سحبت شركة الهند الشرقية ممثلها من بوشهر إلى البصرة، وكان ذلك أحد العوامل االتي دفعت كريم خان للاستيلاء على االبصرة، علاوة على رغبته بتامين الوضع الداخلي وذلك بإشغال الأهالي

بالحروب الخارجية ضد العثمانيين. وقد بقي الإيرانيون في البصرة قرابة خمس سنوات لم يبارحوها إلا نتيجة لتطورات الاحداث في إيران عقب وفاة كريم خان في١٣ صفر عام ١١٩٣م بمرض السل عن عمر ناهز٧٤عامًا.

إيران في عهد خلفاء كريم خان :

عاشت حكومة الزند وعاصمتها شيراز سنوات مجيدة في عهد زعيمها كريم خان الذي اتصف بشجاعته ومؤهلاته القيادية المعروفة ونبوغه ودهائه في تصريف شؤون بلاده، لكن ذلك العهد البهي من عمر حكومة الزند لم يستمر بعد وفاته جراء مرضه إذ سرعان مادبت الصراعات الدموية بين أفراد العائلة الحاكمة المتنافسين فيما بينهم على السلطة والنفوذ والذين لاقوا بسبب ذلك نهاياتهم المفجعة تباعاً، فنتج عن ذلك الوضع المرير هلاك كل من أبناء كريم خان (أبو الفتح خان ومحمد علي خان) على أيدي أقاربهم، وفرار ابنه الآخر(ابراهيم خان) صوب كردستان الجنوبية منشداً النجاة بعد تعرضه إلى تعذيب شديد من جانب(أكبر خان بن زكي خان) أكثر أفراد العائلة الحاكمة قسوة وبطشاً بحق أقاربه، والذي لاقى بدوره مصيراً مماثلاً للذين تمت تصفيتهم سابقاً. وقد حاول زكي خان، الاخ غير الشقيق لكريم خان، استغلال الوضع والتفرد بالحكم عقب وفاة أخيه، لكنه لم يهنأ بذلك سوى فترة وجيزة، بسبب المعارضة الشديدة التي واجهته من أبناء الأسرة الذين أيدوا تنصيب(أبي الفتح خان نجل كريم خان)، على العرش(١٧٧٩-١٧٨٢م) والذي أثبت بمرور الأيام عدم أهليته للمهمة الموكلة إليه، وذلك لضعف شخصيته وانهماكه في ملذاته وأهوائه الخاصة، فاحتدم الصراع على العرش كثيراً بين الزعماء الأقارب الطامحين بالسلطة والنفوذ، أمثال صادق خان

وزكي خان وابن اخته علي مراد خان الذي انفرد بالحكم خلال(١٧٨٢-١٧٨٥م) متخذًا من أصفهان مقرًا لحكمه، بيد أنه فشل بدوره، رغم نبوغه وشجاعته، في التمسك بزمام الأمور طويلاً، ورأب التمزق الحاصل في أركان دولته المضطربة، وقد وافته المنية إثر المرض، وهو يستعد خارج اصفهان لملاقاة جعفر خان بن صادق خان، فسنحت للأخير فرصة الحكم بدوره خلال(١٧٨٥-١٧٨٩م) لكنه هزم أمام(آقا محمد خان القاجاري)، الذي انتزع منه أصفهان، ففر(اي جعفر) إلى شيراز جامعاً فيها قواته مجدداً، حيث تمكن بعد معارك دامية من التمسك بزمام الأمور ومطاردة خصمه القاجاري(آغا محمد) صوب طهران، لكنه ما لبث أن قتل في شيراز إثر مكيدة مدبرة، فتولى الحكم صيد مراد خان، أحد المتآمرين على حياة سلفه(جعفر خان) فأجبر ذلك الوضع، الأمير لطف علي خان بن جعفر خان، على الهرب باتجاه بوشهر، مستنجداً بالزعيم القبلي العربي الشيخ ناصر(المقرب من أسرة كريم خان) فلبى الشيخ الشهم طلبه، لكن مرضه جعله يعين نجله الشيخ نصير لتنفيذ المهمة وتهيئة الجيش المعد لمساعدة لطف علي خان ومهاجمة شيراز، ولما تقدمت القوات التي أرسلها صيد مراد خان لاعتراض الجيش المذكور حدث تمرد في صفوفها، فانضم أغلب قادتها إلى جانب الأمير(لطف علي) بينما نجح حاجي إبراهيم وهو حاكم شيراز ومن الرؤساء المحليين الكبار، ومعه أنصار الأمير الشاب في حسم الأمر نهائياً داخل شيراز لصالحهم، فأطاحوا بصيد مراد خان وأعوانه. دخل لطف علي خان شيراز فاستقبل استقبالاً حاشداً، ثم اعتلى العرش وتقلد تاج الحكم وسط أفراح غامرة، فعاد لدولة الزند قدر كبير من بريقها السابق، وتحديداً خلال الشطر الأول من عهده الذي دام ست سنوات(١٧٨٩-

١٧٩٥م) فكان ذلك مبعث أمل خيبة عظيمة لآغا محمد القاجاري الذي أذاقه لطف علي خان هزيمة نكراء مطارداً إياه نحو طهران مجدداً، فلجأ هذا إلى التآمر والدسيسة ضد أمير الزند، حيث وجد ضالته المنشودة في حاجي إبراهيم المقرب من الأمير، فشرع الشخص المذكور بتنفيذ خيانته وإخبار الزعيم القاجاري سراً بمخططات لطف علي الهادفة للقضاء عليه، واحتلال طهران وأصفهان، وحينما اتجه الأمير الشاب بجيشه لاحتلال أصفهان، أفلح المتآمرون في تحريض الجيش المذكور ضد الأمير والتمرد عليه، فيما نجح حاجي إبراهيم في السيطرة على شيراز تمهيداً لتسليمها للقاجاريين، فحظي جزاء غدره وتآمره بمنصب الصدر الأعظم لديهم فيما بعد، وهكذا ارتكبت الفظائع والإهانات بحق أسرة الزند العريقة الحاكمة التي نقل القاجاريون أفرادها إلى شمالي ايران، حيث لم تسنح الفرصة لزعيمهم لطف علي كي ينقذهم من ذلك المصير المؤلم. وبعد جهود كبيرة نجح لطف علي خان في تجميع وتحشيد القوات حوله، فقاتل القاجاريين بلا هوادة ملحقاً بهم ضربات موجعة، ثم توج مساعيه الشجاعة تلك بمحاصرة شيراز تمهيداً لتحريرها، لكن الحظ خانه مجدداً، فقصد مجبراً المناطق الجنوبية الشرقية من إيران وسط ظروف صعبة للغاية، فناصره أشراف وعلماء كرمان الذين آزروه وبايعوه مخلصين، فدفعه ذلك إلى إرسال عمه المخلص (عبدالله خان) لإخضاع مدينة كرمان، فباغت المذكور وجنده حماة المدينة الذين استسلموا بشكل كامل عقب الجولة الثانية من الهجوم (عام ١٢٠٨هـ-١٧٩٤م). وفي ٦ شعبان من العام المذكور توج لطف علي خان ملكاً على كرمان، فصكت النقود وتليت الخطب باسمه، ثم شرع الملك الشاب بتحصين المدينة، وتعزيز جيشه المؤلف من الكرد والعرب والافغان، فباءت محاولات القاجاريين

الهادفة لاحتلال كرمان بالفشل، وأخيراً لجأوا إلى محاصرتها وتطويقها، ولكن دون جدوى أيضاً، مما أجبر آغا محمد على اتباع المكر وشراء الذمم كدأبه المعهود، فوفق في كسب حراس أحد أبراج المدينة وقائدهم نجف قلي خان الذين فتحوا(عصر الجمعة من يوم ٢٩ ربيع الأول١٢٠٩هـ/١٧٩٥م)، باب البرج أمام جنود العدو الذين نفذو منه داخلين، فقوبلوا بمواجهة مستمية من قبل لطف علي خان وجنوده، لكن بعد فوات الأوان، وبعد قتال شديد، أفلح زعيم الزند وبعض أتباعه في كسر الطوق المفروض عليهم والهرب باتجاه قلعة(بام) في أقصى الجنوب الشرقي من مقاطعة كرمان، ومن جديد صار ضحية مكيدة خبيثة هناك، حيث تفرق عنه أعوانه وخاض بمفرده قتالاً بطولياً شجاعاً، إلى أن سقط بأيدي أعدائه متأثراً بجرحين أصيب بهما خلال تلك المواجهة غير المتكافئة، ثم أرسلوه إلى خصمه اللدود آغا محمد المتواجد في كرمان، فسمل عينيه بنفسه قبل قتله، كذلك لاقى عمه عبدالله خان وغيره نهاياتهم المأساوية على أيدي القاجاريين. ولم يكتف القائد القاجاري السفاح بذلك، بل صب جام حقده الأسود على أهل كرمان المناصرين للطف علي خان، فأمر باقتلاع عيون٢٠ ألفاً من الرجال والشباب الكرمانيين، كما أمر بذبح ٩٠٠ أسير حرب من أتباع لطف علي خان ابتهاجاً بأسره، وبناء هرم من الرؤوس المقطوعة في نفس المكان الذي أسر فيه، كذلك أوعز بهتك أعراض أهل كرمان، وسبي فتياتهم ونسائهم وتوزيعهن على جنوده، واستمرت موجات الانتقام والتنكيل الوحشية طويلاً بحق السكان المغلوبين على أمرهم، وبانتهاء عهد الزند، انتقلت سلطتهم إلى القاجارية التي مهد انتصارها المجال لاعتلاء سلالة تركية الأصل عرش إيران .

الفصل الثالث

الدولة القاجارية

القاجاريون إحدى القبائل السبع التي ساعدت الشاه إسماعيل أول ملوك الصفويين، وكان شأنها قد انخفض في عهد نادر شاه، لكنها ظهرت على مسرح الأحداث في مازندران بعد وفاته، وسعت إلى الانتشار جنوبي إيران. ونجح قائدهم "آقا محمد خان" في توحيد فروع القبيلة بالعنف والقتل، فقوي أمره واستطاع الاستيلاء على طهران عام١١٩٣هـ/١٧٧٩م وجعلها عاصمة لملكه ولكنه لم يلقب رسمياً بملك إيران حتى عام١٢١١هـ/١٧٩٦م. وقد هاجم آقا محمد خان" قوات "لطفعلي" آخر حكام الزنديين الذين أعقبوا كريم خان واضطره للجوء إلى كرمان، ثم قبض عليه وعذبه حتى مات، وعاقب أهل كرمان بسمل أعين عدد كبير منهم، وسيطر على جميع أقاليم إيران، وضم إليها "جورجيا".

آقا محمد خان :

بعد أن نجح آقا محمد خان فى التغلب على الزنديين وإدخال شمال إيران ووسطها فى طاعته، توج آقا محمد خان نفسه ملكًا في "النوروز" من عام ١٢٠٠هـ.ق/١٧٨٥م بمدينة طهران، واختار(بابا خان) الابن الأكبر لأخيه حسين قلى جهانسوز لولاية عهده. واختار طهران عاصمة لملكه بسبب قربها من استراباد مقر قبيلة القاجاريين بالإضافة إلى هيمنتها على الولايات الجنوبية التى كانت لاتزال تحت سيطرة الزنديين. ثم قسم حكم الولايات على رؤساء القاجاريين وكبارهم ثم أخذ يستعد لاستئصال جعفر خان الزندي . فخاض حروبًا وغزوات استمرت لمدة عشرة سنوات استطاع أن يبسط بفضلها سلطانه على فارس كلها، وخاض آقا محمد خان محاولات عدة مع الكرج الذين كانوا يدينون بالطاعة لروسيا ليدخلهم فى طاعته أى فى

طاعة إيران، بدأت بمحادثات سلمية وانتهت بغزوهم فى عام ١٢٠٩هـ.ق /١٧٩٤م، وحاول إبراهيم خليل خان قائد الكرج الثبات أمامه، ومقاومته بشدة، إلا أن آقا محمد خان ترك مدينة شوشى التي كان يحاصر فيها إبراهيم خان، وهاجم تفليس فجأة، ونظرًا لأن إبراهيم خان كان رجلًا مسنًا فقد آثر الفرار، فاستولى جيش آغا محمد على تفليس، وأعمل فيها أعمال السلب والنهب، هذا وقد تحركت روسيا لنجدة الكرج وزعيمها اركلى خان ، فأرسلت جيشًا فى أواخر عام ١٢١٠هـ.ق، ولكن من حسن حظ آقا محمد خان آنذاك أن توفيت "كاترين الثانية" ملكة الروس فى ذلك الوقت، فأمر خليفتها بعودة الجيش إلى بلاده ، وفى ذلك الوقت كان آقا محمد خان فى خراسان يحاول السيطرة عليها، ولما فرغ من أمر خراسان عاد إلى شوشى ثانية لاستعادة البلاد التى استولى عليها الروس فى هذه الحملة. وحينما تمكن آقا محمد خان من الاستيلاء على إحدى قلاع شوشى، هرب إبراهيم خان إلى داغستان، فصب أغا محمد جام غضبه على ثلاثة من خدمه الخاص لأسباب واهية، وهددهم بالقتل، فاتفقوا سرًا على قتله، وقتلوه وهو نائم وقت السحر في ٢١من ذي الحجة١٢١١هـ.ق/١٧٩٦م، وحملوا تاجه وحزامه وجواهره التي كان يحتفظ بها إلى أحد قادته وهو صادق خان الشقاقي، ودفع آقا محمد خان الذى كان يتمتع برشادة عقل، وتدبير صائب حياته ثمنًا لشدة طبعه وقسوته، وحبه الشديد للمال وحرصه عليه. وبعد انتشار خبر مقتله في اليوم التالي ثار الجند ثورة كبرى لدرجة أنهم قد غفلوا عن دفنه، وسلك كل قائد من قادته طريقًا، فارتحل حاجى إبراهيم خان(اعتماد الدولة) إلى طهران على عجل، بينما اتجه صادق خان الشقاقي إلى آذربايجان، وأعلن بها سلطنته.

فتح على شاه :

عندما سمع "بابا خان بن حسين قلى خان جهانسوز"، ابن أخو "آقا محمد خان" بخبر مقتل عمه، حيث كان يقيم حينئذ فى شيراز، اتجه إلى طهران بسرعة فوصلها فى صفر سنة١٢١٢هـ.ق/١٧٩٧م، وقد أبدى اعتماد الدولة كفاءة ممتازة فى تأمين وصول بابا خان إلى العاصمة طهران وإحكام قبضته على زمام السلطنة ، بالرغم من وجود أعداء عدة للشاه الشاب بابا خان ولهذا نُصب وزيرًا لـ"بابا خان". وتُوج بابا خان رسميًا سلطان على البلاد، يوم عيد الفطر عام ١٢١٢هـ.ق/١٧٩٧م باسم فتح على شاه، فى طهران. ثم تحرك للقضاء على صادق خان الشقاقي، الذي قدم إلى قزوين لمحاربته، فتمكن فتح على شاه من تحقيق النصر عليه في آذربايجان . ثم عفا عن صادق بعد قليل، بعد أن قام صادق بتسليمه الجواهر السلطانية التى كانت ملكًا لعمه، فولاه حكم ولاية سراب مكافأة له. ثم أمر فتح على شاه بنقل جثمان آقا محمد خان من شوشى، حيث تم دفنه بالنجف الأشرف. صار فتح على شاه فريسة لثوار كثيرين فى سلطنته، بسبب أسلوب عمه آقا محمد خان فى إدارة حكمه، حيث كان آغا محمد قد وجه كل اهتمامه إلى الغزو، وانصرف عن الاهتمام بإدارة البلاد، ولم يحرص على تأسيس بناء لدولته يستمر من بعده، هذا بالإضافة إلى عدم رضا الكثيرين عنه وعن أعماله، مما أدى إلى خروج ثوار كثيرين لمواجهة فتح على شاه، وكان هؤلاء الثوار على شاكلتيين: أولهما أعقاب الأسرات الصفوية والافشارية والزندية الذين كانوا يحاولون استعادة سُلطتهم السالفة، وثانيهما بعض قادة آقا محمد خان وأقاربه. فقد واجه "فتح على شاه" محمد خان الزندي بن زكى

خان، الذى خرج عليه في جمع من جنده، واستولى على أصفهان، فأرسل فتح على شاه بعض خانات القاجار لصده، فاستطاعوا أن يحققوا النصر عليه، واضطروه إلى الفرار، وأدخلوا أصفهان مرة أخرى فى طاعتهم . كما خرج عليه أخوه "حسين قلى خان الثاني" والي أصفهان، وأسر أتباع الشاه أمثال الوزير، ورئيس حراس قلعة فارس، ورئيس شرطتها وهو أخو اعتماد الدولة، واستولى على أصفهان. وكان فتح على شاه فى آذربايجان عندئذ، فعاد إلى طهران، وفى أثناء الطريق أتوا له بمحمد خان الزندى أسيرا فسمل عينيه، أما حسين قلى خان فقد أتى إلى فراهان للقاء أخيه إلا أن أمهما تدخلت وأصلحت بينهما، وفي عام١٢١٣هـ.ق/١٧٩٨م اختار فتح على شاه ابنه الرابع "عباس ميرزا"- بناء على وصية آغا محمد- وليًا لعهده وعينه حاكمًا على آذربايجان، ولكنه توفي في حياة والده، فاختار "محمد ميرزا" ابن عباس ميرزا، لولاية العهد وحكومة آذربايجان، رغم معارضة أبناء فتح على شاه الآخرين. وفى عام١٢١٥هـ.ق/١٨٠٠م أساء فتح على شاه الظن باعتماد الدولة؛ بسبب وشايات بعض أقاربه، فأمر بالقبض علي الوزير والمرتبطين به، وقتل بعضهم وسمل آخرين، وأعمى اعتماد الدولة أيضًا بالرغم من كفائته البالغة التى أبداها أثناء فترة وزارته لفتح على شاه، ثم قطع لسانه وأرسله إلى قزوين، فظل بها حتى وفاته، وعين فتح على شاه مكانه محمد شفيع المازندرانى لوزارته، وقد كان من المستوفين فى البلاط. وفى عام١٢١٦ق/١٨٠١م، أعلن كل من حسين قلى أخو فتح على شاه، ونادر ميرزا بن شاهرخ الأفشارى العصيان على فتح على شاه، فسمل عيني الأول، وقتل الآخر، وسمل أعين أولاده وبعض أتباعه، ونفى بعضهم إلى مازندران.

بدأ فى عهد فتح على شاه الاتصال المباشر بالدول الأوربية، حيث عقدت إيران فى عهده معاهدة تحالف مع فرنسا فى عام ١٢٢٢هـ.ق /١٨٠٩م، وكانت فرنسا تهدف من هذه المعاهدة لفتح طريق الغزو أمامها إلى الهند عن طريق البر، في مقابل أن تمد فرنسا إيران بالأسلحة، وأن تقوم بتدريب بعثاتها العسكرية، لتتمكن إيران من مقاومة روسيا التي نجحت فى ضم جورجيا سنة ١٢١٦ق/١٨٠١م، إلا أن نابليون اتفق مع روسيا سريعًا، وانتهت العداوات التي كانت قد شبت بين روسيا وإيران فى عام ١٢٢٩ق /١٨١٣م بمعاهدة "گلستان" التي اعترفت فيها إيران لروسيا بامتلاك جورجيا. وفي عام١٢٣٠ق/١٨١٤م وقعت إيران معاهدة تحالف دفاعي مع بريطانيا العظمى، وقد كانت هذه المعاهدة غير ذات قيمة لإيران، إذ تعهدت إيران وفق هذه المعاهدة، بإلغاء كافة المعاهدات والقرارات التى عقدتها مع الدول الأوربية المعادية لبريطانيا، وألا تسمح لجيوشهم بالمرور عبر الأراضى الإيرانية، فى مقابل أن تسعى إيران لإزالة أى خلاف بينها وبين الدول الأوربية إذا وقع أى عداء بينهما، وأن تمد إيران بالعون العسكري إذا ما تطلب الأمر ذلك، وقد وصفت هذه المعاهدة بأنها من أسوأ المعاهدات فى تاريخ إيران، ورغم ذلك ظلت تلك المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٢٧٤هـ.ق/١٨٥٧م. وفي عام١٢٤٢ق/١٨٢٦م خاضت إيران حربًا جديدة ضد روسيا، تحولت فيها انتصارات إيران الأولى إلى سلسلة من الهزائم؛ بلغت أشدها باستيلاء روسيا على تبريز، فاضطرت إيران إلى عقد معاهدة "تركمانچاى" الموقعة عام١٢٤٤هـ.ق/١٨٢٨م، والتي نصت على إعطاء روسيا إقليمي أيروان ونخجوان؛ الذين كانا ضمن الأراضى الإيرانية، هذا بالإضافة إلى دفع تعويض كبير، كما نصت على إعطاء الحق إلى السفن

الروسية فى الرقابة الحربية على بحر قزوين، ومنح روسيا الكثير من الامتيازات، كما أعطى ملحق المعاهدة الذى عقد بعد ذلك لروسيا، حقوقًا اقتصادية وجمركية خاصة. وهكذا أصبحت إيران منذ ذلك الوقت وحتى القرن العشرين، موزعة بين المصالح المتعارضة بين روسيا وبريطانيا، إذ كانت روسيا تبني سياستها على أساس التوسع فى آسيا، وتطمح أن يكون لها ميناء في المياه الدافئة فى الخليج، بينما كانت بريطانيا تسعى إلى السيطرة على الخليج وجميع الأراضى المجاورة إلى الهند؛ أعظم مستعمراتها.

ازداد مرض فتح على شاه، بعد وفاة ولى عهده وابنه الأكبر عباس ميرزا، إلى أن توفي سنة ١٢٥٠هـ.ق/١٨٣٤م عن سن ناهز الثامنة والستين فى أصفهان، بعد حكم دام سبعة وثلاثين عاما ودفن بمدينة قم. وقد قضى فتح على شاه فترة حكمه فى حروب داخلية وخارجية، حقق فيها بعض الانتصارات بفضل أبنائه وقواده، وقد اشتهر بحبه للمتعة والمال وكثرة الزوجات، فقد ذكرت كتب التاريخ أن عدد زيجاته قد بلغت ١٥٧ زيجة، وقد بلغ عدد أنجاله وأحفاده الألفين، وفتح على شاه يقرض الشعر، ويتخلص بلقب خاقان، وازدهر الأدب الفارسى فى عصره، وبزغ فى عصره علم التأريخ. وحقق رجال الدين في عهده نفوذًا وسطوة كبيرة، وقد تفشى النفاق فى عهده بين رجالات بلاطه، مما أدى إلى إلحاق الهزائم بجيشه .

محمد شاه :

لما بلغ محمد شاه بن عباس ميرزا خبر وفاة "فتح على شاه" وكان قد تولى ولاية العهد بعد أبيه، جلس على عرش السلطنة فى تبريز في سنة

١٢٥٠ق/١٨٣٤م، أى فى نفس العام الذى توفي فيه فتح على شاه، بمساعدة أبى القاسم قائم مقام فراهاني، ثم توجه إلى طهران بصحبة سفيرا إنجلترا وروسيا هذا إلى جانب وحدة مدفعية من جيشه، وجيش كبير يترأسه قائد إنجليزى، وأثناء الطريق، قام عمه على ميرزا ظل السلطان بالاستيلاء على طهران، وأعلن نفسه سلطانًا على البلاد، وحين بلغ محمد شاه طهران، تسلم "ظل السلطان" فعفا عنه، واختار قائم مقام فراهانى رئيسًا لوزارته، ورغم أنه كان رجلًا فاضلًا ذا كفاءة وحزم فى تدبير أمور الدولة، إلا أن أعداءه قد حاكوا له المؤامرات بالاشتراك مع" حاجي ميرزا آغاسى"–الذي كان يطمح لمنصب الوزارة– حتى نجحوا فى إثارة الشاه ضده، فحبسه فى قصر "باغ نگارستان" حتى مات خنقًا فى إحدى غرف القصر، وتولى الوزارة من بعده حاجي ميزا آغاسى، وكان ذلك الرجل معروفًا بالجهل والعجز والغرور، وظل يدير الوزارة حتى نهاية عصر محمد شاه. وكان أخوا محمد شاه، حسين على ميرزا فرمان فرما، وشجاع السلطنة حسن على ميرزا قد ثارا فى شيراز، وحاولا الاستيلاء على العراق، فأرسل محمد شاه جيشًا لدفعهما، فتمكن من هزيمتهما واستعادة شيراز منهما وأسرهما، فسمل عيني شجاع السلطنة وسجنه، أما حسين على ميرزا، فقد لقى حتفه فى وباء عامّ أصاب طهران. وقد بذل محمد شاه جل جهده، أثناء فترة حكمه، لتحسين الحالة الداخلية للبلاد، وإلغاء التعذيب، ومنع استيراد العبيد إلى إيران، وقد خطبت روسيا ودّ إيران أثناء فترة حكمه، حتى تتمكن من تدعيم نفوذها فيما أحرزته من ولايات القوقاز وتركستان. وقام محمد شاه بمساعدة روسيا بمحاولة لإعادة فتح هراة؛ ولكن هذه المحاولة واجهت معارضة شديدة من قبل بريطانيا، حتى أنها قد أرسلت ضابطا بريطانيا لتنظيم المقاومة ضد محمد شاه، والتي قد انتهت

بالنجاح فى هراة، مما أدى لوقوع خلاف دائم بين إيران والدولة العثمانية، واشتد هذا الخلاف على الحدود بين البلدين فى عهد محمد شاه، وخاضا معًا معارك متعددة على المناطق الحدودية، وتدخلت روسيا وإنجلترا لفض هذا الخلاف، وأجريا مفاوضات بينهما فى مدينة "أرزنة الروم" لحل الخلاف بينهما، وعقدت معاهدة أرزنة الروم مع العثمانيين عام ١٢٦٢ق/١٨٥٧م، صرفت إيران بموجبها النظر عن المطالبة بأي حق لها فى ولاية السليمانية، فى مقابل اعتراف العثمانيين رسميًا بسيادة إيران على ميناء المحمرة، وجزيرة خضر، والساحل الشرقي لشط العرب، وحق ملاحتها فى هذه الأجزاء، وتعد هذه المعاهدة من أهم الأحداث التى تمت فى عهد محمد شاه. وفى نفس عام١٢٦٢ق أعلن حسن خان سالار بن آصف الدولة عصيان محمد شاه، مستغلًا مرضه الدائم، ولكن الشاه أجبره على الرحيل للنجف والإقامة بها، ولكنه حاول العصيان مرة أخرى، فأرسل الشاه أخاه "حمزة ميرزا حشمة الدولة"، لصده وقد هزمه، فهرب سالار إلى قبائل التركمان، وسعى حشمة الدولة لتعقبه، لكن تراجع لنشوب فتنة جديدة بمشهد.

توفي محمد شاه عام ١٢٦٤هـ.ق/١٨٤٨م فى قصره الجديد فى غرب "تجريش"، عن عمر ناهز٤٢عامًا بعد أن قضى في الحكم حوالي أربعة عشر عاما وثلاثة شهور، وقد عرف بضعف النفس والعجز، ولم يكن يهتم بالشكاوى التي كانت تصل إليه عن وزيره حاجي ميرزا آغاسى، لحبه الشديد له، مما أسفر عن إهدار أموال البلاد. وقد ازدادت أوضاع البلاد سوءً بعد وفاة محمد شاه، حيث أعلن أغلب رجال الدولة عصيانهم ضد حاجي ميرزا آغاسى؛ لسخطهم على أفعاله، خاصة وأنه قد انتهز فرصة وفاة محمد شاه،

وجمع الجنود حوله فى طهران محاولًا الاستيلاء على الحكم، لكنه تراجع فى النهاية، فقد وجد أنه لن يستطيع تحقيق ذلك، فتحصن بضريح حضرة عبد العظيم واحتمى به، فازدادت الفتن والاضطرابات فى أغلب الولايات، وكادت أمور الدولة تفقد نظامها وترتيبها، لولا أن قامت "مهد عليا" أم ولى العهد، بإدارة دفة الأمور بمساعدة قلى ميرزا- الذي لقب باعتضاد الدولة بعد ذلك- وقد قامت مهد عليا بعقد مفاوضات مع ممثلي روسيا وانجلترا، واستُدعى ناصر الدين ميرزا، ولى عهد الدولة من تبريز إلى طهران، من قبل مهد عليا وممثلي روسيا وإنجلترا، وكان حينئذ لايزيد عمره عن السادسة عشرة .

البابية والبهائية:

البابية أو البهائية فرقة ضالة انبثقت من الشيعة الاثني عشرية (الرافضة)، فهي حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة١٢٦٠هـ/١٨٤٤م برعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي؛ لإفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. تعد إيران الموطن الأول للبابية والبهائية، وسميت بالبابية نسبة لزعيمها الأول ومؤسسها الذي لقب نفسه بـ(الباب)، وسميت بالبهائية نسبة لزعيمها الثاني الملقب بـ(بهاء الله)، وادعى كل من الباب والبهاء النبوة والرسالة، ثم زعم كل واحد منهما أن الله قد حلّ فيه، وقد بدأ التّاريخ البهائيّ بإعلان الدّعوة البابيّة عام١٨٤٤م، وهي ذاتها تهيئة لقدوم دعوة أُخرى، تتحقّق بظهورها نبوءات الأنبياء والرّسل السّابقين، وهي الدّعوة البهائيّة، وقد مهّدت الفرقة الشّيخيّة قبل البابيّة لهذه الديانة، بفضل عالمين من أئمة الشّيعة الإثني عشريّة. وينقسيم التاريخ البهائي إلى دورتين: دورة البشير أو البابية، ودورة الظهور

أو البهائية، تسبقهما مرحلة إعداديّة تتمثل في تعاليم الفرقة الشّيخيّة. ظهرت "البابية" في عهد محمد شاه، وهي حركة دينية تبشر بقدوم المهدي المنتظر قام بها "ميرزا علي محمد"(ولد بشيراز١٢٢٥هـ/١٨١٩م)، وكان من علماء الدين الشيعة المتصوفة، وقد قبل تعاليمه عدد كبير التف حوله ولقبوه "بالباب" أي الباب بين دنيا المادة ودنيا الروح، وادعى أنه نقطة التجلي الإلهي في هذا العالم، فدعا إلى السلام الدائم وإزالة الفوارق بين الطبقات، وإلى حياة تقوم على أساس التفسير الروحي للإسلام، ولكنه قتل بأمر الحكومة الإيرانية في تبريزعام١٢٦٧هـ/١٨٥٠م، وقتل حوالي٤٠.٠٠٠ من أتباعه، وبعد قتل الباب صار "ميراز يحيى"–المعروف بـ "صبح الأزل"–وهو أحد أتباعه المقربين رئيسًا لطائفة البابية، وهاجر إلى "أدرنة"، بتركيا، وتوفي عام ١٩١٢م، وكان أخوه لأبيه "ميرزا حسين" قد اتخذ لقب "بهاء الله" أو البهاء الإلهي عام١٨٦٣م، وترأس الدعوة البهائية، فمزج بهاء الله ما في العقيدة من عناصر التصوف الإيرانية بأفكار تحررية كانت رائجة في أوربا، وصاغ منها مذهبًا جديدًا له صبغة دولية، لا يعترف بطقوس خاصة ولا بنظام للكهنوت، وجعل مركزه مدينة "عكا" بفلسطين، وقد تابع هذه الدعوة ابنه وخليفته "عباس أفندي"، فانتشرت في جميع أنحاء العالم وأنشئت المحافل البهائية في طهران وسائر البلاد.

ناصر الدين شاه :

جلس "ناصر الدين شاه" على عرش إيران عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م وهو في السادسة عشرة من عمره، بعد وفاة أبيه "محمد شاه"، واختار ميرزا تقى خان لرئاسة وزارته، ولقبه بلقب الأتابك الأعظم، ونجح في القضاء على

حركات التمرد، والإمساك بزمام أمور الدولة، وقد تمكن ميرزا تقى خان في عام ١٢٦٥هـ من القضاء على البابية الذين كانوا قد نجحوا في تقوية نفوذهم في يزد وخراسان ومازندران وزنجان، وتسببوا فى اختلال الأمن فى تلك الولايات، فقتل رؤساءهم، وقضى عليهم بعد مواجهات شديدة مع أتباعهم، وزاد قوة ونفوذًا، خاصة بعد أن تزوج من أخت الشاه عام ١٢٦٥هـ، فبدأ يحول جهوده إلى إصلاح أمور الدولة الداخلية، وقد قام بأعمال جليلة، كان من أهمها: حذف الألقاب وصفات التشريف التي كان يرى أنه لا معنى لها، وتعيين راتب لكل موظف كل حسب كفاءته وعمله، وإسقاط الاقطاعات والهبات التى كان يأخذها رجال الدين والأمراء والمتملقين بلا وجه حق؛ ليسد حاجة خزانة الدولة للأموال، مما أدى لخفيض نفقات الدولة، وأدى بدوره إلى تخفيض الضرائب، ورواج التجارة الداخلية والخارجية، كما نشر الصحف، وشجع على ترجمة الكتب، وأسس المدرسة العالمية بطهران، هذا فضلًا عن إرساله بعض الطلبة فى بعثات إلى البلاد الأوربية، واستعان بمعلمين وأساتذة أوربيين في التدريس، وأسس مدرسة دار الفنون لتعليم الطب والفنون الحربية واللغات الأجنبية، التي تم افتتاحها بعد عزله من رئاسة الوزارة بفترة وجيزة. وإصلاح أمور الجيش من كافة النواحي، والحد من نفوذ سفيرا روسيا وإنجلترا اللذان كانا يتدخلان فى أمور الدولة الداخلية كما يشاءان .

رغم كل ما تقدم من إنجازات تقى خان ميرزا، إلا أنه كوفئ إزاء أعماله الإصلاحية هذه بحسد المغرضين وعداء الحاقدين من كبار رجال الدولة والأمراء، ومن ثم عزله ناصر الدين شاه من رئاسة الوزراء عام١٢٦٨هـ.ق/ ١٨٥٢م، وعين مكانه فى رئاسة الوزارة "ميرزا آغا خان نورى"، ولقبه بلقب

اعتماد الدولة، وولّى ميرزا تقي خان، حكم مدينة كاشان، ولم يكتف المغرضون بذلك بل حرضوا ناصر الدين ضده، فقتل، ودفن بمدينة مشهد فى نفس العام. لم يكن ميرزا "آغا خان نورى" اعتماد الدولة، بكفاءة وحنكة "ميرزا تقي خان"، فقد أمر بعزل أغلب حكام الولايات والعمال الذين كان ميرزا تقى خان قد نصبهم فى مناصبهم، وعين بدلًا منهم معارفه وأصدقائه، وأعاد بعض الرواتب التي كان ميرزا تقى خان قد قطعها عن الأمراء وغيرهم، فتدهورت أوضاع البلاد على مستوى السياسة الداخلية والخارجية. وفى عام١٢٧٣هـ.ق/١٨٥٦م تحرك جيش إيران إلى أفغانستان، واستولى على هراة، فطلبت بريطانيا سرعة الجلاء عن هراة، وأعلن الحاكم الانجليزي العام فى الهند الحرب على إيران، ونزلت القوات البريطانية على الخليج، وعجزت روسيا–التي كانت تربطها بإيران علاقات ودية متينة في عهد ناصر الدين شاه–عن إمداد إيران بالمساعدة فى حربها مع بريطانيا، فاضطر ناصر الدين إلى التسليم، وانسحبت إيران من هراة، واعترفت باستقلال أفغانستان بمقتضى معاهدة باريس التي أبرمت عام١٢٧٤هـ.ق /١٨٥٧م، وقد منحت المعاهدة لبريطانيا أيضًا امتيازات أجنبية وحقوقًا تجارية. وهكذا اشتدت وتيرة التنافس بين روسيا وبريطانيا على المسرح الإيراني السياسي، وكان هذا التنافس يركز على التدخل في الاقتصاد الإيراني، وذلك بسبب زيادة النشاط الصناعي الذي ظهر في الغرب، والذي تطلب منهم توفير المواد الخام، وفتح أسواق جديدة لتصريف منتجاتهم الصناعية، مما جعلهم ينظرون إلى الأقاليم البعيدة على أنها مجال للغزو الاقتصادي الذي كان يتطلب بدوره شيئًا من التدخل السياسي، وقد طبقت هذه السياسة في إيران في صورة التنافس لأجل الحصول على الامتيازات.

وقد كانت هذه الحرب وما ترتب عليها من آثار سببًا فى اطلاع ناصر الدين شاه على فساد الأمور في عهد رئاسة اعتماد الدولة للوزارة، مما دفعه لعزله عنها في عام ١٢٧٥هـ.ق، وأمسك بنفسه زمام الأمور، وأمر بتشكيل أكثر من وزارة فى إيران أسوة بلاد أوربا، وظل هذا الحال حتى عام ١٢٨١هـ.ق حين تصدّر ميرزا محمد خان القاجارى رئاسة الوزارة، وقد استمرت وزارته حتى عام ١٢٨٤هـ.ق، وخلفه "يوسف مستوفي الممالك"، ثم عُيّن "ميرزا حسين خان مشير الدولة" في رئاسة الوزارة، فعمل على إصلاح وضع البلاط وهيئة الوزراء، وتنظيم أمور الجيش وكان يسعى إلى أن تكون إيران دولة راقية تنعم بتطبيق العدل والمساواة على أراضيها، وحتى يُطلع الشاه على نموذج رقي البلاد، صحبه إلى أوربا فى عام١٢٩٠هـ، على الرغم من معارضة رجال الدين. وقد عاد ناصر الدين شاه من أوربا إلى إيران بمستلزمات مطبعة كاملة، فزاد انتشار الصحف فى عهده، وعمت المطابع بعد ذلك تبريز وطهران وسائر مدن إيران. وكان مسلسل الامتيازات الأجنبية قد بدأ على الساحة الإيرانية قبل رحلته إلى أوربا، ففي عام ١٢٨٩هـ.ق /١٨٧٢م، حصل البريطاني "البارون رويتر" وهو صاحب مصرف بريطاني على امتياز من ناصر الدين، أعطى لبريطانيا الحق في إنشاء السكك الحديدية، وطرق المواصلات، واستغلال الثروة المعدنية والبترول لمدة سبعين سنة، وكذلك الحق في الإشراف على الأعمال الجمركية لمدة أربع وعشرين سنة. وكان من الطبيعى أن يغضب الروس من تلك الامتيازات التي مُنحت لبريطانيا، ولما قام ناصر الدين شاه برحلته الأولى إلى أوربا في السنة الثالثة استقبل بفتور شديد في روسيا، فألغى الامتيازات التي أعطاها لبريطانيا عقب رجوعه، ومع هذا فقد عاد واسترضى "رويتر" مرة أخرى عام١٣٠٧هـ.ق

/١٨٨٩م، فمنحه حق إنشاء المصرف الإمبراطورى لإيران. وفي عام ١٣٠٨هـ.ق/١٨٩٠م مُنحت شركة إنجليزية حق احتكار الطباق(التبغ)، ولكن زعماء رجال الدين أصدروا الفتاوى التي أعلنوا فيها تحريم الطباق، كما قادوا حملات مناهضة لامتياز الطباق فى إيران حتى أُلغى حق الاحتكار، ولكن إنجلترا اجتهدت للحصول على امتيازات جديدة بعد عام ١٨٦٣م تخص إنشاء خطوط البرق فى جميع أجزاء إيران الغربية. وفي المقابل لم تقف روسيا مكتوفة الأيدي أمام تلك الأحداث؛ فقد سعت لدى ناصر الدين شاه فى عام ١٢٩٧ق/١٨٧٩م، فحصلت على موافقة الشاه على إنشاء لواء القوزاق الفارسي على النمط الروسي على أن يدربه ويقوده ضباط من الروس، وبالفعل أعدت هذه القوات سريعًا فى طهران وبعض المدن الشمالية، وفى عام١٣٠٦ق/١٨٨٨م حصل أحد الروس على امتياز يمنحه حقوق الصيد فى بحر قزوين، وكانت روسيا قد استولت على طشقند وسمرقند وبخارى وخيوه، وأبرمت مع إيران اتفاقية "أخال" التي اعترفت فيها إيران بحق روسيا في مدينة "مرو". كما حصلت روسيا على امتياز فتح مصرف روسي في طهران عام ١٣٠٩ق/١٨٩١م. وتوالت عملية اقتسام الكعكة فى إيران؛ ففتحت أمريكا سفارة لها بطهران عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وظفرت خمس عشرة دولة أجنبية على الأقل بحقوق وامتيازات أجنبية لرعاياها المقيمين بطهران، فى المدة بين١٢٧٢-١٣١٨هـ/١٨٥٥-١٩٠٠م. وانتهى أمر إيران بمعاهدة "سانت بطرسبرج " سنة ١٣٢٤هـ.ق/١٩٠٧م التي تم بمقتضاها تقسيم إيران إلى ثلاث مناطق نفوذ، روسية فى الشمال وأخرى بريطانية فى الجنوب وبينهما منطقة عازلة. ومن الجدير بالذكر أن ناصر الدين شاه قد حاول قدر استطاعته أن يخدم بلاده، ولكن الظروف كانت

أقوى منه، فبعد قيامه برحلتيه إلى أوربا أيقن أن إيران فى حاجه إلى الاقتباس من الفنون والأساليب الأوربية حتى تستطيع أن تتخذ مكانها بين دول العالم، كما أيقن أيضًا أن الامتيازات الأجنبية الممنوحة للدول الأجنبية ورعاياها، جعلت الفائدة التي تعود على إيران قليلة، وقد بذل الشاه محاولات جادة لتحسين نظم القضاء والإدارة العامة؛ ولكن مجهوداته لم تكلل بالنجاح. ومما زاد الأمور سوءً، هو تولى "ميرزا على أصغر خان أمين السلطان" رئاسة الوزارة، بعد وفاة مستوفى الممالك(١٣٠٤هـ.ق /١٨٨٦م)، وقد ظل أمين السلطان رئيسًا للوزارة حتى نهاية عهد ناصر الدين، وكان رجل دسائس، لم يهتم بإصلاح أحوال البلاد، بل سعى للمحافظة على مناصبه وكسب رضا الشاه ورجاله، وقد صحب الشاه فى رحلته الثالثة إلى أوربا سنة ١٣٠٦هـ.ق /١٨٨٨م، والتي منح خلالها ناصر الدين شاه إلى إنجلترا امتيازات بالغة الضرر بإيران، بتشجيع من أمين السلطان، كان من بينها– كما سبق القول– حق افتتاح دور الميسر واليانصيب والقمار في إيران، واحتكار بيع وشراء الطباق والدخان لصالح شركة إنجليزية لمدة خمسين سنة مقابل أن تدفع الشركة لإيران خمسة عشرة ألف ليرة انجليزية وربع أرباحها. والخلاصة أن الفساد قد استفحل فى بلاط ناصر الدين شاه، ولم يكن من بين رجال الدولة القائمين على أمورها من يفكر في الإصلاح، خوفًا من نفوذ أمين السلطان الذى فاق الحدود. وقد لجأ الاستعمار لمقاومة الدين الاسلامى ورجاله لأنهم كانوا بمثابة سد منيع ضدهم، وفى المقابل وقف لهم رجال الدين فى إيران، واشتد التيار الديني قوة ونموًا، وقد ساعد فى نموه زيارة جمال الدين الأفغاني إلى إيران، والتي أسس خلالها تيار(الاتحاد الاسلامى) الذي هاجم الاستعمار بشدة من أجل إيجاد حكومة دستورية، وسعى إلى

توحيد العالم الإسلامي، وقد كان ناصر الدين يرفض كل أفكار ومقترحات جمال الدين الأفغاني الإصلاحية، ورغم أن جمال الدين قدم لإيران بناء على دعوة ناصر الدين نفسه إلا أنه طرد منها بضغط من السفارة الإنجليزية .

بدأ الشعب الايراني الثورة على الأوضاع القائمة، بعد أن اطلع على أحوال البلدان الأجنبية من خلال الصحف الفارسية الصادرة فى اسطنبول، وتابع الإيرانيون ما تحصل عليه هذه الدول من امتيازات مجحفة للشعب الايراني، وكان يرأسهم فى هذه الثورة حاجي ميرزا آشتيانى بطهران، وحاجي ميرزا حسن الشيرازي بمشهد، وقد جاهد كلاهما حتى ألغى الشاه امتياز التبغ خشية ثورة الناس؛ مع إعلان العلماء الجهاد، وصدور فتوى رجال الدين بتحريمه. وبدأ الشعب الإيراني يعرف حقوقه عن طريق علماء الدين والتجار المطلعين على أحوال أوربا، وأخذوا يفكرون فى إصلاح الفساد ونقد أسلوب الحكم الاستبدادي، والاعتراض على أعمال أمين السلطان، وكان يقودهم في هذا عدة أشخاص منهم الحاج الشيخ الهادي النجم آبادي، والسيد جمال الأسد آبادي الهمداني(الأفغاني) المعروف بجمال الدين الأفغاني عن طريق كتاباته ومؤلفاته وغيرهم من دعاة الإصلاح. وقد اغتيل ناصر الدين شاه من قبل ميرزا رضا الكرمانى سنة١٣١٣هـ.ق /١٨٩٦م إثر طلقة نارية تلقاها أثناء زيارته لضريح الشاه عبد العظيم، بعد حكم دام تسعة وأربعين عامًا.

مظفر الدين شاه :

كان مظفر الدين هو الابن الرابع لأبيه ناصر الدين شاه، وقد تولى ولاية العهد لأبيه منذ عام ١٢٧٤هـ، وظل يشغلها حتى وفاة والده، وذلك بسبب وفاة أخويه معين الدين ميرزا وأمير قاسم خان فى صغرهما، أما أخيه

الثالث فلم ينلها لأنه أمه لم تكن من الأسرة الحاكمة. وكان مظفر الدين شاه قد أمضى شبابه فى الكسل والبحث عن الملذات، حيث كان يقيم فى تبريز بإقليم آذربايجان- التى كانت تقع فى ذاك الوقت تحت سيطرة الروس- فلما تولى الملك بعد والده سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م أبقى على أمين السلطان" وزير والده" فى منصبه؛ ولم يبذل أى مجهود، أو اهتمام صادق بمهام الدولة . ثم عزل الشاه أمين السلطان عن رئاسة الوزارة فى عام ١٣١٤هـ. أى بعد حوالي سبعة أشهر من توليه الحكم، وعين أمين الدولة خلفًا له فى الحادي عشر من ذي القعدة من نفس العام، ثم نصبه رسميًا فى رجب سنة ١٣١٥هـ، فقد كان مظفر شاه يحاول من تصرفه هذا أن يسترضي المعارضة، حيث استوعب الدرس بشدة، لذا قام بقلب سياسة والده رأسًا على عقب، فخفف الرقابة على الصحف الإيرانية والأجنبية على حد السواء، وشجع البعثات العلمية إلى الخارج من جديد، وعين مالكوم سفيرًا لإيران فى روما، وتوسع فى فتح الكليات الحديثة للزراعة والعلوم السياسية، وسمح لأول مرة بإنشاء الجمعيات التجارية والثقافية والتربوية، مما أتاح فرصة ذهبية لتآلف مصالح كل الشرائح الاجتماعية، وتعاون أعضاء الجمعيات والنقابات للارتقاء بأوضاعهم . وبناء على ذلك عمل أمين الدولة أيضًا على إصلاح الأمور فى الدولة، وذلك بالسعي إلى تنفيذ المشروعات التى كان قد أعدها كل من "ميرزا تقي خان أمير كبير" و"حاجى ميرزا حسن خان سپهسالار" فى هذا المجال، فأطلق حرية الصحف، وأسس جمعية لتطوير العلوم، وعمل أيضًا على إدارة المالية والجمرك والخزانة إدارة منظمة وقام باستقدام مستشارين من بلجيكا للمساعدة فى تسيير الأمور، وعمل على القضاء على تزوير المستوفيين ونهبهم لأموال الدولة بمعونة الموظفين الماليين. وهكذا

نجحت مساعى أمين الدولة فى تنظيم ميزانية الدولة ومنع الرشاوى، وتأسيس سبل العدالة وذلك بتحديد رواتب رجال الشاه، مما أدى إلى تحريك عداوتهم له بالتحالف مع أعوان رئيس الوزراء المعزول –أمين السلطان–، وسعيهم لإذكاء روح العداوة بينه وبين السلطان، حتى عزله عن منصبه فى سنة ١٣١٦هـ، وأعاد أمين السلطنة مرة أخرى إلى رئاسة الوزراء، والتي قد استمرت حتى عام ١٣٢١هـ، فعادت الدولة إلى سوء الحال من جديد، على يد أمين السلطان، الذى لقب بالأتابك الأعظم، وتكبدت إيران أضعافًا مضاعفة من النكبات من قبيل العجز المالي للدولة، وتوقف الإصلاحات الداخلية، وزيادة أعداد السارقين والمرتشين، هذا بالإضافة إلى رحلات الشاه إلى أوربا التى كبدت الدولة مبالغ طائلة، وتركت خزانة الدولة خاوية على الدوام، فى حين أخذ الأمراء ورجال البلاط يكدسون الثروات، فى وقت لا يستطيع فيه الموظفون العموميون الحصول على رواتبهم، هذا بالإضافة إلى امتلاك عدد قليل من الملاك الكثير من العقارات بينما الفلاحين يعيشون على الكفاف، فتهدمت وسائل الرى، وزحف الجدب على القرى والحقول. وأدى ذلك كله إلى احتياج إيران إلى المال مما جعلها تقترض من روسيا سنة ١٣١٨هـ /١٩٠٠م قرضًا مقداره ٢٢ مليون روبل بفائدة قدرها ٥%، وقد تبدد معظم ذلك القرض على رحلة الشاه إلى قام بها إلى أوربا فى نفس العام، فطلبت إيران على الفور قرضًا آخر من روسيا كان مقداره هذه المرة ١٠ مليون روبل، بادر مظفر الدين شاه على إثره بالسفر إلى أوربا على الفور، هذا بالإضافة إلى قرض ثالث اقترضته إيران هذه المرة من إنجلترا فى نفس عام ١٣١٨هـ، وقد ضاع فى مقابله عائدات مصايد بحر الخزر، والبريد والبرق وجمارك فارس والخليج، وهكذا استقرت أهم موارد الدخل

القومي فى أيدي الأجانب، مما زادهم تسلطًا أكثر مما مضى؛ كما أبرمت روسيا مع إيران اتفاقية جمركية، نصت على فرض رسوم جمركية بسيطة على البضائع الواردة من روسيا، بينما يتم فرض رسوم جمركية مرتفعة على البضائع من الدول الأخرى. ولم يكن أمام الإصلاحيون من أفراد الشعب الايراني، إزاء هذه السياسات الخاطئة إلا الثورة على هذه الأوضاع، والمطالبة بعزل أمين السلطان، فاستجاب لهم السلطان، وعين مكانه سلطان مجيد ميرزا "عين الدولة" سنة١٣٢١هـ/١٩٠٣م، وقد نهج عين الدولة أسلوب ملاطفة المطالبين بالتغيير، وإقامة الدستور من قادة الحركة الدستورية فى بداية الأمر، ولكنه تعامل معهم باستبداد فيما بعد. وهكذا بدا من ينادون بالدستور، فى حاجة ماسة إلى تأسيس جمعية سرية للحركة الدستورية فى سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٤م، وقد توالت منذ هذه الفترة وحتى عام١٣٢٤هـ /١٩٠٦م تأسيس خمسة من الجمعيات السرية، لعبت جميعها أدوارًا رئيسية في الثورة الدستورية، وهذه الجمعيات هى: الجمعية السرية، المركز السرى، الحزب الاشتراكى الديمقراطي، الجمعية الإنسانية، اللجنة الثورية. وقد كان قيادات هذه الجمعيات الخمسة هم من سعوا في نشاط إلى القيام بالثورة الدستورية، بل وهم من كونوا فيما بعد النواة الحقيقية للأحزاب السياسية الإيرانية. وهكذا صار الجو مهيئًا فى إيران إلى إحداث التغيير، فتجمع التجار وغيرهم من سكان طهران، وبعض رجال الدين والأشراف، حتى بلغ عددهم عشرة آلاف نسمة وقصدوا دار السفارة البريطانية، ليكونوا فى مأمن من الاعتقال، وترك بقية رجال الدين المدينة إلى قم، وفشل بذلك النشاط الاقتصادي والاجتماعي بطهران، مما جعل الشاه يعد بالقيام بالإصلاحات، وتجدد الضغط عليه من جديد، وطالبوا الشاه بتأسيس دار العدالة، وعزل

"عين الدولة" الذى يقف عقبة فى طريق تأسيسها، وبإعلان الدستور، فاستجاب لهم، وعزل عين الدولة، وعين مكانه ميرزا نصر الله خان النائيتي "مشير الدولة"، وأعلن الدستور فى أغسطس عام١٣٢٤هـ /١٩٠٦م، وتشكل أول برلمان وطني إيراني، ودونت القوانين الأساسية، ووقعها الشاه في١٤ ذي القعدة من نفس العام، وبدأ البرلمان سريعًا فى ممارسة مهامه بجدية بمعالجة الكثير من المشاكل التي عرضت عليه، وتوفي مظفر الدين بعدها بخمسة أيام في يناير١٩٠٧م /١٣٢٤هـ.

محمد على شاه :

كان محمد على ميرزا قد تولى ولاية العهد لأبيه فى سنة ١٣١٣هـ، وأمه ابنة "ميرزا تقى خان أمير كبير"، وكان يحكم آذربايجان من قبل والده، وقد استدعى منها إلى طهران في أثناء مرض أبيه، فتولى الحكم بعد وفاة والده باسم "محمد على شاه" عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٧م، وأقرّ القانون الأساسي للدستور فى مارس سنة ١٩٠٧م، والذي كان والده قد وقّع عليه قبل وفاته، ووعد بالسير وفق الدستور ووفق بنوده، ولكنه انقلب على الدستور وأعضاء البرلمان بعد جلوسه على العرش بقليل، وتجلى موقفه هذا بوضوح تام عندما أقام حفلًا لتتويجه على العرش، واستضاف كبار رجال الدولة والسفراء والقناصل الأجانب ورجال الدين المتعاونين معه، وتعمد ألا يستقبل أيًا من رجال المجلس النيابي "مجلس الدستور"، ولكن نواب المجلس النيابي اكتشفوا حاجة الدستور إلى مزيد من المواد القانونية لتحديد العلاقة بين السلطات الثلاث "التنفيذية والتشريعية والقضائية"، فاختاروا بعض العناصر من المجلس النيابي لتكوين لجنة مصغرة تنحصر مهمتها فى إضافة المواد

القانونية المطلوبة، وقد كانت تلك المواد تركز على مسئولية الدولة أمام المجلس، وكذلك حق المجلس فى عزل الوزراء، والتصديق على أعضاء الحكومة الجديدة، هذا بالإضافة إلى تحديد البنود التى تنظم العلاقة بين المجلس النيابى والسلطة القضائية فى الدولة. وقد ألزم المجلس اللجنة المصغرة بالانتهاء من هذا الأمر فى مدة لاتزيد عن ثلاثة أشهر. إلا أن إقدام الشاه على عقد اتفاقية مع روسيا سنة ١٩٠٧م، تقضي بأن بتفويض روسيا في السيطرة المباشرة على شمال إيران، أدى إلى سوء العلاقة بين الشاه والمجلس النيابي، فقرر الشاه التخلص من أعضاء المجلس؛ بدعوى فشل المجلس في خفيض أسعار الغذاء التي وعدوا بها في أثناء تشكيله . ولكن السبب الحقيقي لعداء الشاه للمجلس كان هو رفض أعضائه توسيع صلاحيات الشاه على حساب المجلس، حيث كان قد طلب منهم زيادة قواته الخاصة إلى عشرة آلاف جندي، هذا بالإضافة إلى منحه حق الإشراف على تعيين الوزراء، وما إن رفض أعضاء المجلس مطالبه بإجماع الأصوات حتى سارع الشاه بقطع أسلاك البرق بين طهران وبقية المدن الإيرانية، ووزع منشورا باسمه تحت عنوان "طريق النجاة" كال فيه الاتهامات للمجلس وأعضائه بعرقلة عمل الحكومة، وإهمال احتياجات الشعب، والتركيز على مصالحهم الشخصية ووزع هذا المنشور على سكان طهران سنة ١٩٠٨م، وناشد السكان التزام مساكنهم. وفى الجهة المقابلة اتفق أعضاء المجلس النيابي على مواجهة هذه الأزمة، فوزعوا أنفسهم على المساجد وأماكن التجمعات، وقاموا بإلقاء الخطب التي توضح موقفهم أما الشعب، وهكذا بدأ الصراع الفعلي بين الطرفين يظهر على صعيد الشارع الايرانى، حيث انتهزت قوات القوزاق الفرصة، ونهبت البازارات وممتلكات الأهالى بسبب

عدم حصولهم على رواتبهم. ومما زاد الأمر سوءً هو إقدام الشاه على الاتفاق مع قائد القوزاق الروسي "لياخوف" في يونيو ١٩٠٨م(١٣٢٦هـ) حيث ضربت فرقة القوزاق الإيرانية بقيادة الكولونيل "لياخوف" مبنى البرلمان بالقنابل، وأحدثت وفيات عديدة، ثم أعلن الشاه حلّ البرلمان، وأمر بالقبض على السيد بهبانى ونفيه إلى كرمان شاه ثم كربلاء، وأمر بتحديد إقامة السيد طباطبائى فى داره بخراسان، ورفض الوطنيون موقف الشاه والمساندين له، وقاد رجال الدين مسيرة في النجف، وكونوا جبهة أنصار المجلس النيابي والدستور، وعارضوا فكرة المجلس الإسلامي التي طالب بها الشاه، ثم صدرت الفتوى في يناير عام ١٩٠٩م بإعلان الجهاد من أجل الدستور والمجلس، وطالبوا بحماية أعراض وأموال المسلمين، وحرموا دفع الضرائب إلى عمال الحكومة، واتهموا كل من لا يعمل بنص الفتوى بأنه يحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهكذا أشعلت فتوى رجال الدين الثورة فى العديد من المدن الإيرانية من تبريز وگيلان وأصفهان حتى طهران، مما جعل كل من روسيا وبريطانيا تتخوفان على رعاياهما في إيران، فضغطا على الشاه لإعادة المجلس النيابي، فاضطر الشاه إلى إعلان عودة الحياة النيابية مرة أخرى فى أبريل سنة ١٩٠٩م، ولكن الجماهير لم تهدأ وظلت على ثورتها، وتوافدت على طهران القوات المتطوعة الثائرة، والتحمت بقوات الشاه فى معركة دامية، انتهت بهزيمة قوات الشاه فى ١٦يونيو من نفس العام، فاضطر الشاه إلى الهروب للسفارة الروسية، مما أكد خيانته أمام شعبه، فاجتمعت القوات الوطنية المنتصرة وقررت عزل الشاه، وتولية ابنه الصغير "أحمد ميرزا" وكان فى الثانية عشرة من عمره، خلفًا له، وتكليف رئيس الوزراء "عضد الدولة" بإدارة شئون الحكم كنائب للشاه الجديد. وعقدت

القيادات الوطنية اتفاقًا مع كل من روسيا وبريطانيا فى سبتمبر من نفس عام ١٩٠٩م يقضي بتحديد راتب للشاه المخلوع فى منفاه بروسيا، وألزموه بعدم التعرض عسكريًا إلى إيران أو محاولة استعادة الحكم مرة أخرى .

صارت إيران خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) مرتعًا للحلفاء، وبعد الحرب عقدت معاهدة عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، ووعدت بريطانيا في نصوصها باحترام استقلال إيران، وإمدادها بالمستشارين والخبراء العسكريين والأسلحة والمعدات والقروض، وإنشاء السكك الحديدية، وإعادة النظر في الاتفاقات الجمركية، لكن هذه المعاهدة لم تطبق تحت الضغط الشعبي، كما أبرمت إيران وروسيا السوفيتية معاهدة عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١ م ألغت بها المعاهدات السابقة، وأسقطت روسيا جميع الديون التي كانت على إيران، وتنازلت عن جميع الامتيازات الروسية، ومنحت إيران حقوقًا ملاحية في بحر قزوين مساوية للروس، كما نصت المعاهدة على أن تمنع كل من الدولتين أي نشاط داخل أراضيها يكون معاديًا للدولة الأخرى، وأن لروسيا الحق في إرسال قواتها عبر إيران دفاعًا عن نفسها ضد أي تهديد مباشر من أية دولة أخرى.

الفصل الرابع

الدولة البهلوية

رضا شاه پهلوى :

ولد رضا خان في ١٦ مارس ١٨٧٨م في "سوادكوه" بإقليم مازندران على بحر قزوين، والتحق بفرقة القوزاق الإيرانية، ونجح في الوصول إلى قيادتها، وزحف بقواته من قزوين إلى طهران، واحتل المدينة، وكان السيد ضياء الدين طباطبائي ابن أحد الزعماء الدينيين رئيسًا للوزراء آنذاك، وكان يحاول القيام بإصلاحات معينة لكنه اصطدم برضا خان الذي أصبح قائدًا عامًا للقوات المسلحة ووزيرًا للحربية، فاضطر طباطبائي للاستقالة وترك إيران. ظل رضا خان وزيرًا للحربية في عدة وزارات متتالية حتى عام ١٩٢٣م حيث أصبح رئيسًا للوزراء. كان تولى رضا خان رئاسة الوزارة أحد التحولات المهمة فى تاريخ إيران الحديث، إذ يعد أحد المقومات الفعلية المباشرة لإنهاء الحكم الملكى القاجاري، حيث واصل رضا خان مساعيه الرامية إلى تجريد الشاه القاجارى من عرشه وتاجه ولكن عن طريق مطلب شعبي، دون أن يظهر دوره المؤثر في مجريات الأمور، وبعد ذلك بأشهر قليلة ترك "أحمد شاه" آخر ملوك الدولة القاجارية إيران إلى المنفى الاختياري، ومن ثم انعقد مجلس النواب في ٣١ أكتوبر ١٩٢٥م/٩ آبان١٣٠٣هـ.ش في جلسة تاريخية صدّق فيها على مشروع قانون من مادة واحدة يعلن انتهاء الحكم القاجاري، وتفويض الحكومة المؤقتة إلى رضا خان[1]، كما قرر المجلس في الجلسة ذاتها إجراء انتخابات لمجلس تأسيسي يأخذ على عاتقه تحديد نوع الحكم فى البلاد، وقد افتتح رضا خان ذلك المجلس فى ديسمبر ١٩٢٥م، حيث أصدر المجلس التأسيسي في ١٢ ديسمبر ١٩٢٥م قانونًا يقضى بإنهاء حكم الأسرة

---

[1] سعيد الصباغ: تاريخ ايران السياسى، ص ١٦٨

القاجارية، وحرمان جميع أفرادها من حق الإدعاء فى العرش الإيراني مستقبلًا، كما انتخب رضا خان فى مجلس النواب بالأغلبية ملكًا على إيران، وقد أعلن ملكًا على إيران في ١٣ ديسمبر ١٩٢٥م[١]، وأدى اليمين الدستورية فى مجلس النواب في ١٥ ديسمبر١٩٢٥م فى حضور الوزراء والنواب وأعضاء المجلس التأسيسي وكبار العسكريين[٢]، متخذاً لعائلته اللقب الفارسي القديم "پهلوى"[٣]، كما أعلنت ولاية العهد لابنه الأكبر محمد رضا، ثم توج ملكًا باسم رضا شاه پهلوى فى ربيع الثاني عام ١٣٤٤هـ[٤]/ ٢٥ أبريل ١٩٢٦م[٥].

بذل رضا شاه جهودًا كبيرة للنهوض بإيران وإصلاح شئونها، فكانت باكورة جهوده استعادة هيمنة الحكومة المركزية على الأقاليم الإيرانية، وسحق الثورات الانفصالية، وتحديث الجيش الذى اعتبر تحديثه هدفًا قوميًا، وقد ساعده فى إحكام سيطرته وقمع معارضيه، وعلى طريقة تحديث إيران على النسق الأوروبي وعلى نهج كمال أتاتورك تخلص من سيطرة رجال الدين، وأغلق الكتاتيب والمدارس التى كان تعليمها دينيًا، وأنشأ المدارس والمعاهد لتلقي التعليم على النظام الأوروبي، كما أعلن عن حرية المرأة في رفع الحجاب[٦]، وأنشأ جامعة طهران التى افتتحت عام ١٩٣٤م، وأرسل البعثات

---

[١] إبراهيم الدسوقى شتا (دكتور) الثورة الإيرانية، الجذور الأيديولوجية، مرجع سابق، ص١٠٦، ١١٠

[٢] كمال مظهر أحمد (دكتور): دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص١٧٢

[٣] السيد زهرة: الثورة الإيرانية، الأبعاد الاجتماعية والسياسية، مرجع سابق، ص٣٢

[٤] إيمان محمد الغزالى: الظواهر الاجتماعية الجديدة فى الشعر الفارسى بعد قيام الثورة الدستورية، دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٩٦، ص١٧

[٥] كمال مظهر أحمد (دكتور): دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص١٧٢

[٦] إيمان محمد الغزالى: الظواهر الاجتماعية الجديدة فى الشعر الفارسى بعد قيام الثورة الدستورية، ص١٨-١٩

العلمية إلى أوروبا، وأسس أول بنك وطني فى إيران عام ١٩٢٨م، ومنحه حق إصدار العملة بدلًا من البنك الإمبراطوري الأجنبي[١]، كما أنشأ المصانع في العديد من المدن الإيرانية، وقام باستيراد المعدات اللازمة لها من الخارج، أيضًا اهتم بالتنقيب عن النفط واستخراجه، لكنه لم يهتم كما ينبغي بالقطاع الزراعي الذى كان يعمل به ٧٥% من سكان إيران، كما أصدر قانون الزي الموحد[٢]، وأصدر في عام ١٩٣١م قانونًا يمنع الأجانب من تملك الأراضي الزراعية، كما ألغى الامتيازات الأجنبية، وعقد اتفاقية تنظيم صيد الأسماك فى بحر قزوين مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٨م[٣].

مع نشوب الحرب العالمية الثانية أعلنت إيران حيادها، وجاهدت لإقامة علاقات ودية مع كافة القوى المتصارعة، وكانت الظروف آنذاك تحتم على إيران الحفاظ على صلات طيبة مع ألمانيا التي كانت حتى عام ١٩٣٨م تحتل المقام الأول فى التجارة الخارجية الإيرانية، ومع إعلان ألمانيا الحرب على روسيا عام ١٩٤١م تحالفت إنجلترا مع روسيا، وأدركت الدولتان الأهمية الاستراتيجية لإيران، فأي هجوم ألماني عن طريق القوقاز كان تهديدًا لمؤخرة الروس، علاوة على موقع إيران الاستراتيجي كطريق إمداد لروسيا، كما أبقت ألمانيا على عملائها فى إيران، وكانوا على نشاط كبير، مما أثار بريطانيا وروسيا، ولم يذعن رضا شاه لمطالب بريطانيا وروسيا بطرد الألمان من إيران، ولذا ففي السادس والعشرين من أغسطس ١٩٤١م،

---

[١] آمال السبكى (دكتور): تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٨١، ٨٨

[٢] إيمان محمد الغزالى: الظواهر الاجتماعية الجديدة فى الشعر الفارسى بعد قيام الثورة الدستورية، ص١٩-٢٠

[٣] طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ص ٢٩٧- ٣١٠

اجتاحت القوات الروسية إيران من الشمال الغربي، كما دخلت القوات الإنجليزية إيران منه ناحية الحدود العراقية، وأمام تلك الظروف الحرجة أضطر رضا شاه – تحت ضغط الحلفاء- للتنازل عن العرش لابنه محمد رضا، ونقل تحت حراسة بريطانية إلى جزيرة موريشيوس ثم إلى جنوب إفريقيا، حيث توفي هناك في عام ١٩٤٤م[١].

محمد رضاه شاه :

اعتلى محمد رضا شاه[٢] عرش إيران عقب عزل والده مباشرة من جانب الحلفاء – بريطانيا والاتحاد السوفييتي- في ظروف عصيبة، فالحرب العالمية الثانية تدور رحاها بين الحلفاء والمحور، وإيران محتلة من قوات الحلفاء من شمالها وجنوبها، وكذا عاصمتها طهران، وأمام طبيعة الظروف

---

[١] د.أحمد الخولى: فرخى اليزدى شاعر الوطنية فى إيران، ص٤٧- ٤٨

[٢] ولد محمد رضا بطهران فى ٢٦ أكتوبر ١٩١٩م، وكان أكبر أبناء رضا شاه بين تسعة أبناءلأكثر من أم، وكانت أمه تدعى "تاج الملوك"، وقد تلقى دراساته الابتدائية والثانوية فى معاهد طهران، ثم ذهب للدراسة فى سويسرا، وعقب عودته إلى إيران دخل كلية الأركان، وتخرج منها عام ١٩٣٨م وعين مفتشًا عامًا للجيش، وقد تزوج لأول مرة عام ١٩٣٩م من الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق ملك مصر، والتى أنجبت له الأميرة شاهيناز عام ١٩٤٠م، وما لبث أن طلقها عام ١٩٤٨م، وبعد عزل والده عام ١٩٤١م جلس على عرش إيران، وقد تزوج ثانيةً من ثريا اسفنديارى عام ١٩٥٠م ثم طلقها عام ١٩٥٧م، وتزوج من فرح ديبا عام ١٩٥٩م، والتى أنجبت له ولى العهد الأمير رضا عام ١٩٦٠م، وثلاثة أشقاء، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وخروج القوات الأجنبية من إيران ظهر تيار وطني بزعامة مصدق يطالب بالإصلاحات، ونجح مصدق فى تولي رئاسة الوزراء وتأميم البترول، إلا أن حكومته سقطت بانقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢هـ.ش الأنجلو أمريكى لكن النضال الوطنى استمر ضد الشاه بزعامة رجال الدين الذين نجحوا فى إسقاط النظام البهلوى عام ١٩٧٩م، وهرب الشاه إلى مصر التي توفي ودفن بها عام١٩٨٠م. لمزيد من التفاصيل انظر: محمد على موحد: دكتر مصدق ونهضت ملى ايران، جلد دوم، ص٩٧٤- ٩٧٥، حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد٨، چاپ ٨، تهران ١٣٦٩هـ.ش، ص٣٢-٤٧، ٥٤-٦٢، ١١٧-١٢٦، ٥٦١-٦٣٢؛ طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ص٣١١- ٣٥٤

الدولية آنذاك اضطر الشاه الجديد إلى نهج سياسة مغايرة لسياسة والده على المستويين الداخلي والخارجي، فأصدر مرسومًا يقضي بالعفو عن السجناء السياسيين الإيرانيين، والسماح للمنفيين بالعودة إلى البلاد، كما ألقى القبض على الكثيرين بذريعة استغلال مراكزهم ونفوذهم للإثراء على حساب الشعب[1]، وعزل وزير الحربية- أحمد ناجيف- نظرًا لمقاومته قوات الاحتلال في إيران، وأسند رئاسة الحكومة إلى محمد علي فروغي، والذي سعى لتوطيد علاقة إيران بالحلفاء ضد المحور[2]، وتعهد بإعادة الأراضي إلى الشعب، والتي سبق لوالده الاستيلاء عليها[3].

استوعب محمد رضا شاه جيدًا درس إكراه والده على التنازل عن عرش إيران بقرار بريطاني، ومباركة سوفيتية ، وظهرت أمامه على الساحة الدولية حينذاك الولايات المتحدة الأمريكية كقوة جديدة على المسرح السياسي الدولي، فارتبطت بها طموحاته وأحلامه ، خاصة وأنها لم تكن دولة مستعمرة لإيران كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفييتي وبريطانيا، وقد التقى الشاه السفير الأمريكي في طهران في أوائل فترة حكمه، وتعهد له بتطبيق الدستور الإيراني، وتبني النهج الديمقراطي، ورفضه للديكتاتورية، والسير على سياسة تهدف إلى رخاء شعبه[1]، وأعرب عن ثقته في انتصار الحلفاء على

---

[1] انظر: حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، لبنان ٢٠٠٨م ، ص١٣٦ ، عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ ايران السياسى في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي، الجيزة ١٩٧٣م ، ص ١٠٣

[2] رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية في الشعر الإيراني في عهد محمد رضا شاه، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ٢٠٠١م، ص٦٠

[3] آمال السبكى: تاريخ ايران السياسى بين ثورتين، سلسلة عالم المعرفة، أكتوبر ١٩٩٩م، ص ١٥٨

[1] آمال السبكى: إيران بين الحلفاء والمحور حتى الاحتلال، القاهرة ١٩٩٠م، ص ١٣٨، ١٤٩

المحور، ورغبته في أن يكون حليفًا مخلصًا لأمريكا لدورها المتميز-في رأيه- في بناء السلام العالمي[١]، كذلك أكد على احترام حكومته لمبادئ حلف الإطلنطي العسكري، ورغبته في الاستفادة منه، فأعلن وزير خارجيته عن رغبة حكومة إيران في الدخول في الحلف، والذي تم التوقيع عليه من قبل الرئيس الأمريكي "روزفلت"، ورئيس الوزراء البريطاني "تشرشل" في ١٢ أغسطس ١٩٤٢م[٢]. أجرى رئيس الوزراء الإيراني محمد على فروغي مفاوضات مع قادة الاحتلال البريطاني والسوفييتي أصر خلالها على مطلبين، أولهما: انسحاب قوات الحلفاء من العاصمة طهران، وعدم احتلالها عسكريًا مرة أخرى، وثانيهما: دفع تعويضات عن الخسائر في الأموال والأرواح والتي نجمت عن دخول تلك القوات إيران، وقد قبل الحلفاء بالمطلب الأول، ورفضوا المطلب الثاني، وقد تواصلت المباحثات بين إيران والحلفاء إلى أن تمخضت عن التصديق على معاهدة التحالف الثلاثي- ١٥ديسمبر ١٩٤١م- بين حكومات إيران وبريطانيا والاتحاد السوفييتي، والتي حدد تاريخ سريانها في٢٩ يناير١٩٤٢م- وقد رغبت الحكومة الإيرانية في انضمام الولايات المتحدة الأمريكية إلى تلك المعاهدة لرفع قيمتها في أعين الإيرانيين الذين كانوا على قناعة بأن الأمريكيين لهم تأثير كبير على قوى الاحتلال، مما يدعم موقف إيران في نظر الحلفاء، إلا أن الأمريكيين علقوا موافقتهم النهائية على الانضمام للتحالف الثلاثي لما بعد الاطلاع على نصوص المعاهدة المقدمة من بريطانيا والاتحاد السوفييتى[١]. كسرت تلك

---

[١] رضا عبد الفتاح: النزعة المذهبية في الشعر الإيراني في عهد محمد رضا شاه ، ص٦٠

[٢] آمال السبكى: تاريخ إيران السياسي بين ثورتين، مرجع سابق، ص ١٠٣

[١] المرجع السابق نفسه، ص ١٤٤، ١٦٢- ١٦٣

المعاهدة حياد إيران، وأرغمتها على دخول الحرب إلى جانب الحلفاء، فقد تعهدت بالوقوف إلى جانبهم ، والتعاون التام معهم ، ومشاركتهم عسكريًا، بل ودخول الحرب إلى جانبهم حال نشوبها على أراضيها، وفي المقابل تعهد الحلفاء بحفظ وحدة أراضي إيران واستقلالها السياسي، وانسحاب قواتهم العسكرية من أراضيها خلال ستة أشهر من انتهاء الحرب العالمية الثانية[١].

أمام ضغط الحلفاء قطعت إيران علاقاتها الدبلوماسية مع دول المحور – ألمانيا وإيطاليا واليابان– كما طردت رعايا تلك الدول، وأعلنت الحرب على ألمانيا في ٩ سبتمبر ١٩٤٣م متضامنة مع الحلفاء، وفي أواخر عام ١٩٤٣م عقد مؤتمر طهران بين أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفييتى، والذي اعترف بالمساعدات التي قدمتها إيران للحلفاء، وضرورة مساعدتها اقتصاديًا، والحفاظ على سلامة أراضيها ووحدتها، والتأكيد على الضمانات الواردة في معاهدة التحالف الثلاثي. ومع انتهاء الحرب، وما نتج عنها من سيطرة مظاهر الفقر على كافة طبقات الشعب الإيراني، وارتفاع الأسعار، وحدوث انهيار تام داخل المجتمع الإيراني، وتعاقب الوزارات[٢]، بدأت إيران مرحلة تنفيذ بنود معاهدة التحالف الثلاثي وتحقيق استقلالها.

ساهمت الدعايات الشيوعية التي نشرتها القوات الروسية المحتلة لإقليم آذربايجان في شمال إيران، فى اندلاع الاضطرابات والقلاقل في آذربايجان، ولذا علت الأصوات المطالبة باستقلالها عن إيران، وهنا رغب المسئولون

---

(١) انظر: عبد الرضا هوشنگ مهدوى : سياست خارجى ايران در دوران پهلوى ، چاپ نهم، تهران ١٣٩١هـ.ش، ص٧٨– ٨٠ ، عبد السلام عبد العزيز فهمى، ص ١٠٥

(٢) انظر: عبد الرضا هوشنگ مهدوى : مرجع سابق ، ص٧٩، حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي، مرجع سابق، ص١٣٦–١٣٧، عبد السلام عبد العزيز فهمى، ص١٠٦– ١٠٧

الإيرانيون في تدخل أمريكا؛ لمجابهة الروس بعد رفضهم إجلاء قواتهم من شمال إيران، ومؤازرتهم لحركة "جعفر پيشه ورى" الانفصالية فى آذربايجان، ورفضهم لتدخل الجيش الإيراني لقمع القلاقل في الإقليم، وأمام الضغط الأمريكى قبل الروس بالتعاون مع القوات الإيرانية، وإرسال قوات عسكرية إيرانية لتأمين تبريز، وقمع حركة "پيشه ورى"، وتقدم الجيش الإيراني بأوامر الشاه وبقيادة الجنرال "على رزم آرا" صوب العاصمة الآذربايجانية تبريز بذريعة صعوبة إجراء انتخابات دون سيطرة فعلية للحكومة على كافة أنحاء البلاد، وتم تحطم قلاع المنشقين خلال عملية عسكرية سريعة، وسقطت آذربايجان الديمقراطية (١٥ديسمبر١٩٤٦/١٣٢٥ش)، وهرب زعماؤها إلى الاتحاد السوفييتي على أمل العودة[١].

بدأت الانتخابات البرلمانية أوائل عام ١٩٤٧م، واجتمعت الدورة الخامسة عشرة للبرلمان في ١٧ يولية ١٩٤٧م، واختارت في ٣٠ أغسطس "أحمد قوام" رئيسًا للوزراء. لم يلبث "أحمد قوام" أن استقال تحت ضغط الديمقراطيين الإيرانيين في البرلمان، حيث فشل في الحصول على قرار بالثقة لوزارته في١٠ ديسمبر، واختار البرلمان "إبراهيم حكيمي" في٢١ ديسمبر رئيساً للوزراء، فأظهرت وزارته نشاطًا محددًا في معالجة مشاكل الميزانية وسلسلة الإصلاحات الطويلة. وافق البرلمان في١٠ فبراير ١٩٤٨م على قانون يوصي بشراء ما قيمته عشرة ملايين دولار من المهمات الحربية

---

(١) انظر: ذبيح الله قديمى: تاريخ ٢٥ساله ارتش شاهنشاهى ايران، ص١٦٣-١٧٢ ، سيد جلال الدين مدنى: تاريخ سياسى معاصر ايران، ج١، ص٢٩٢-٢٩٦، ٣٠٧-٣١٤ ، نبيلة محمود: السياسية الأمريكية تجاه إيران، ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، ص٣٦-٥١ ، آمال السبكى: إيران بين الحلفاء والمحور، مرجع سابق، ص١٥٤-١٦٠

الأمريكية لتحسين مهمات قوات الأمن، ووافق على مشروع قانون يمنع التجار الأجانب من استيراد البضائع، وكذلك مشروع قانون يوصي الحكومة باستعادة السيادة الإيرانية على جزيرة البحرين، وقد قدم مشروع قانون يقترح إنشاء مجلس للشيوخ والذي تضمنه الدستور، لكن هذه الدورة البرلمانية فشلت في مواجهة مسئولياتها إزاء قلة مشروعات القوانين التي أقرتها.

تولت إدارة البلاد وزارة جديدة برئاسة "عبد الحسين هژير" في يونية ١٩٤٨م إلا أنه قتل عام ١٩٤٩م فاستقالت الوزارة، وأصبح "محمد ساعد" رئيسًا للوزارة، وفي ٤ فبراير ١٩٤٩م وقعت محاولة فاشلة لاغتيال الشاه اعتبر حزب توده مسؤولًا عنها، فهرب زعماؤه، وحوكم الباقون وسجنوا.

ظهرت الجبهة الوطنية بقوة على مسرح الأحداث بعد فشل وزارة "رزم آرا" في معالجة أزمة النفط، وعدم نجاح المفاوضات التي دارت بينها وبين شركة النفط الإنجليزية عام ١٩٤٩م، وكانت الجبهة تدعو إلى تأميم النفط. عُيّن "محمد مصدق" زعيم الجبهة الوطنية رئيسًا للوزراء في ٢٨ أبريل عام ١٩٥١م، ورفض مصدق التفاوض مع الإنجليز، كما رفض بعثة "ستوكس" البريطانية، واقتراحات بعثة هاريمان، وعروض الوساطة من تشرشل وترومان وايزينهاور والبنك الدولي، وكذا التحكيم من قبل هيئة عالمية، ورفض أيضًا إعطاء أية تنازلات لأي طرف.

كانت الحركة الثورية لتأميم البترول قد بدأت من مدينة "قم" بزعامة "آية الله أبو القاسم الكاشاني" عندما أطلق صيحته المشهورة: "أيها الكلاب الإنجليز اتركوا لنا بترولنا وأخرجوا من بلادنا"، ثم تزعم مظاهرة عارمة قاصدًا البرلمان الذي كان يناقش قضية التأميم. وقد وقف الزعيم "محمد

مصدق" في البرلمان عقب اغتيال رئيس الوزراء الحديدي "رزم آرا" على يد "نواب صفوي" زعيم منظمة فدائي إسلام، ليعلن تأييد الأمة لآية الله كاشاني ويقول: "افهموا جميعًا أننا هنا نمثل الأمة ونحن أصحاب الكلمة العليا".

أعلن مصدق فور توليه رئاسة الوزراء تأميم النفط الإيراني، إلا أن القوى الغربية تكتّلت ضده، وساعدت الجنرال "زاهدي" في القيام بانقلاب عسكري ضد حكومه، عرف بانقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ش(١٩ أغسطس ١٩٥٣م)، وهُزم مصدق، وعاد الشاه من الخارج ليمسك بزمام الأمور بقوة .

من الانقلاب العسكرى إلى الثورة الإسلامية ١٩٥٣م – ١٩٧٩م:

عقب انتصار الانقلاب رجع محمد رضا شاه من روما (إيطاليا) ليجلس على عرشه مرة أخرى، ويبدأ عهدًا من الحكم الديكتاتورى، إلى أن أطاحت به الثورة الإسلامية بزعامة الخمينى عام ١٩٧٩م، وقد أكد الشاه بعد عودته من روما إلى إيران وأثناء مقابلته "كرميت روزفلت" –قائد الانقلاب–أنه يدين بتاجه وعرشه لله والشعب والجيش وله– أى روزفلت–وعلى أثر سقوط مصدق وفي خلال شهر واحد قدم الرئيس الأمريكى" ايزنهاور" ٤٥ مليون دولار مساعدة فورية للشاه لدعم الاقتصاد الإيراني، ورغم أن المساعدات الأمريكية التي تلقاها مصدق طوال فترة حكومته ١٩٥٠–١٩٥٣م– لم تتجاوز ٣٣ مليون دولار إلا أن أمريكا أعطت قروضًا لإيران بين سنوات ١٩٥٣–١٩٥٧م بقيمة ٥٠٠ مليون دولار، فقد رغبوا في مساعدة الشاه صديقهم المطيع بسرعة[١]، بينما يرى آخرون أن المساعدات المالية

[١] نصر الله شيفته: زندگينامه ومبارزات سياسى دكتر مصدق ١٥٨، ١٨٣

الإضافية من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إيران بلغت ١٤٥مليون دولار منذ عام ١٩٥٣م-١٩٥٧م[١]. قضى الانقلاب على قانون تأميم النفط الإيراني الذى ناضل مصدق لأجله طويلًا، فقد منحت حكومة زاهدي امتياز النفط الإيراني إلى اتحاد ضم عددًا من الشركات النفطية العالمية الكبرى – كنسرسيوم-، ورغم أن شركة النفط الإيرانية الوطنية كانت هى المسئولة بشكل نظري عن النفط الإيراني، لكن في الحقيقة كان اتحاد الشركات صاحب السيطرة التامة على استخراج وصناعة وتوزيع النفط الإيراني.

بعد نجاح الانقلاب قُبض على مصدق ووزرائه المقربين وقرابة ١٢٠٠ من نشطاء حزب توده، وصدر الحكم العسكري بسجنه ثلاث سنوات، كما صدرت أحكام عسكرية بفترات مختلفة ضد حكومته وضباط الجيش المقربين منه، عدا د.حسين فاطمي-وزير الخارجية-الذى أعدم بعد محاكمته لمطالبته بإعلان الجمهورية بإيران بعد إحباط الانقلاب الأول في٢٥مرداد[٢]. رجع الشاه لعرشه مرة أخرى أشد استبدادًا، وقدم تنازلات كبيرة للأمريكيين عرفانًا بجميلهم فى إعادته لعرشه، فمنحهم امتيازات عديدة وتحكموا فى سياسته، كما أعاد العلاقات السياسية بين إيران وبريطانيا[٣]. أدركت بريطانيا وأمريكا أن "زاهدي" أدى دوره المطلوب منه بجدارة، فقد أطاح بحكومة "مصدق"، وقضى على الحركة الوطنية، وحلّ قضية النفط طبقًا لمنظور القوى الأجنبية، ولم تعد هناك حاجة إليه، ومن ثم استجاب

---

[١] يرواند آبراهاميان: ايران بين دو انقلاب، ص٥١٥

[٢] استيفن كينزر: همهٔ مردان شاه. ترجمة: آقاى رضا بليغ، ميهن، شمارهٔ ٧٣، فروردين ١٣٨٣هـ.ش، بخش بيست وهفتم، ص١-٢ ؛
http://www.javaan.net/hisrory/Matarikhi/28mordad 32.pdf. page 9. 8/2006

[٣]عبد الرحيم ذاكر حسين: ادبيات سياسى إيران در عصر مشروطيت، جلد چهارم، ص١٨

محمد رضا شاه للضغط البريطاني– الأمريكي، فأعفاه من منصبه في ١٧ فروردين ١٣٣٤ش(٦ أبريل ١٩٥٥م) وعينه مندوبًا لإيران بالمكتب الأوربى لمنظمة الأمم المتحدة فى جنيف، وعين "حسين علاء" رئيسًا للوزارة[١]. قرر الشاه عقب عودته للعرش تأسيس جهاز استخباراتى قوي تدعمه قوة بوليسية لحماية نظام حكمه، ومن ثم أسس جهاز "السافاك" – منظمة استخبارات وأمن الدولة – عام ١٩٥٧م بمساعدة الاستخبارات الأمريكية والموساد الاسرائيلي ، وتعهّد بقيادته الجنرال "تيمور بختيار"، الذى تولى منصب الحاكم العسكري لطهران عقب الانقلاب[٢]، وقد توفرت للشاه القدرة على كبح جماح المعارضة، وتمزيق عرى المنظمات المناوئة لسلطانه بفضل القوات المسلحة والسافاك والحكومة، وكذا جهاز التفتيش الشاهنشاهي الذي أنشأه عام ١٩٥٨م تحت رئاسة الجنرال "فردوست"، وكانت مهمته البحث عن مصادر الفساد بين المسئولين فى الدولة، ورفع نتائج التحقيقات للشاه مباشرة ، لكنه لم يقم بدور مؤثر فى القضاء على الفساد في إيران[١]. كان من أبرز أحداث فترة حكومة "حسين علاء" دخول إيران حلف بغداد الدفاعي الذي تأسس عام ١٩٥٥م، وقد ضم: العراق، تركيا، بريطانيا، باكستان، إيران، وكان يهدف إلى وقف تيار المد الاشتراكي والنفوذ

---

[١] انظر: محمد على سفرى. كذرى بر تاريخ معاصر إيران. قلم وسياست (٢). ص ١٧٣–٢٠٧؛ شمس الدين لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد دوم، ص ٥– ٦ ،
Peter Avery, Modern Iran, Ernest Benn Limited, London, 1967, PP, 451

[٢] لمزيد من التفاصيل انظر: حسين فردوست، ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول. ص ٤٠٨– ٤٦٧؛ تقى نجارى راد: السافاك. ترجمة: محمود علاوى، مراجعة: محمد السعيد جمال الدين ؛ فريدون هويدا: سقوط الشاه، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلى، ص ٤٥– ٦٠

[١] رضا عبد الفتاح عبد العزيز:النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٠١م، ص ٦٩ – ٧٠

السوفييتي، ومجابهة أي هجوم سوفييتي على أى من دول الحلف، وعقب خروج العراق من الحلف تغير اسمه إلى حلف "سنتو"، وانتقل مقره من بغداد إلى أنقرة في تركيا، وبعد استقالة حكومة "حسين علاء" فى "فروردين" ١٣٣٦هـ.ش (١٩٥٧م) شكل الدكتور "منوچهر اقبال" الحكومة التالية[١].

بعد أن أمضى مصدق فترة عقوبته، خرج من السجن، إلا أن الشاه سلبه حريته مرة أخرى ، حيث حدد إقامته فى بلدة "أحمد آباد"، ووضعه رهن الإقامة الجبرية بها، ومن ثم يمكن القول أن مصدق قد انتقل من سجن مرهون بحكم وفترة زمنية محددة إلى سجن آخر لم يصدر به حكم قضائى، ولم تحدد فترة زمنية للمسجون به، حيث عاش فى قلعة "أحمد آباد" حتى نهاية حياته ١٣٤٥هـ.ش(١٩٦٧م)[٢]، ويعزى هذا لخشية الشاه من شعبية مصدق، وخطر التفاف الوطنيين والجماهير حوله مرة أخرى، مما يشكل خطرًا على نظام حكمه وعرشه، ورغم عودة الشاه عقب الانقلاب أقوى من ذي قبل لكن احتمال الإطاحة به ليس ببعيد حال نجاح مصدق في الحصول على مساندة شعبية قوية من كافة فئات الشعب، لهذا كان لابد للشاه أن يحدد إقامته تحت رقابته .

بدأ السافاك نشاطه رسميًا عقب تشكيله، وبعد أربع سنوات أُلغي الحكم العسكري فى طهران والذي كان قد بدأ بعد نجاح الانقلاب، ولكن حينما ظهر نشاط أنصار مصدق بعد الانقلاب تم قمعهم والتصدي لهم بقوة، حيث

---

[١] انظر: شمس لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد دوم، ص ٦–٧ ، حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول، ص ٥٣٣–٥٣٤ ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين، ص ١٤١– ١٤٤

[٢] محمد على سفرى: گذرى بر تاريخ معاصر إيران ، قلم وسياست (٢)، ص ٢٤١

تم اعتقال وسجن قرابة سبعين شخصًا من الشخصيات البارزة فى الجبهة الوطنيــة ورفــاق مصــدق أواخــر عــام ١٩٥٧م، وكــان السـبب وراء حملــة الاعتقـالات لأنصـار مصـدق هـو نشـر صـحف حركـة المقاومـة الوطنيـة المقالات الناقدة للشاه، والاتفاقيـة النفطيـة المنعقدة بعد الانقلاب بين إيران والقوى الغربيـة، وعقب إجراء سلسلة الاعتقـالات لأعضـاء حركـة المقاومـة الوطنيـة وقـادة الجبهـة الوطنيـة أبـدت الصـحف الخارجيـة خاصـة فـي أمريكـا اعتراضـها علـى هذا الأمر تحت مسمى الدفاع عن حقوق الإنسان، ومن ثم طرحت الحركـة شعارها المطالب بأن يملك الملك ولا يحكم ، أى أن يكـون منصـب الشـاه شـرفيًا كمـا فـي بعـض الـدول الأوروبيـة، وأن يكـون الحكـم وتصريف أمور البلاد من اختصاص الحكومة[١]. مع اقتراب انتخابات الدورة العشرين لمجلس الشورى الوطني والتي قرر النظام البهلوى لأول مرة إجراؤها بنظــام الحــزبين – مـردم ومليـون – ظهـر نشــاط العديـد مـن المرشــحين المستقلين، وتشكلت الجبهة الوطنيـة الثانيـة عام ١٣٣٩هـ.ش(١٩٦٠م) من تحـالف حركـة المقاومـة الوطنيـة التـي ضـمت بعـض قـادة الجبهـة الوطنيـة الأولـى الـذين قـبض علـيهم عـام ١٩٥٣م، وأطلـق سـراحهم عـام ١٩٥٤م ، و"حزب إيران" وحزب "مردم إيران" وحزب "ملت إيران" وجناح من القوة الثالثة – نيروى سوم –، وقررت دخول الانتخابات مما سبب قلقًا للنظـام الحـاكم ، خاصــة وأن الجبهــة الوطنيــة الثانيــة بــدأت أولــى خطواتهــا عقــب تشــكيلها بـالإعراب عـن رفضـها لأسـلوب اختيـار أعضـاء المجـالس الرئيسـية والفرعيـة للرقابـة علـى الانتخابـات، ومـن ثـم بـدأت كفاحهـا الـوطني ضـد نظـام الشـاه

---

[١] انظر: شمس لنگرودى: تـاريخ تحليلـى شـعر نـو، ج٢. ص٨ ، محمـد علـى سفرى. قلم وسياست(٢)، ص٢٧٣-٢٧٤

الديكتاتوري ، وفى خلال عدة أشهر ضمت إلى صفوفها قرابة ٧٠ % من طلاب الجامعات، وأعدادًا غفيرة من تلاميذ السنوات النهائية في المدارس الثانوية، وحشودًا من التجار وأرباب الحرف والعمال وغيرهم(١). ومن ثم يمكن القول أن الجبهة الوطنية الثانية قد تشكلت فى مناخ سياسى صعب بعكس الجبهة الوطنية الأولى التي تأسست على يد مصدق أثناء الكفاح في سبيل تأميم النفط وحظيت بتأييد شعبي جارف ، إلا أن الجبهة الوطنية الثانية واجهت الشاه الذي رجع أكثر قوة وديكتاتورية عقب الانقلاب وجهازه الأمني القوي – السافاك – الذي أشاع الرعب والخوف بين أفراد الشعب ومختلف طوائفه، ولهذا صارت أنشطة الجبهة تحت رقابة السافاك القوية.

على أثر الاتهامات والشكاوى العديدة حول أسلوب إجراء انتخابات المجلس في دورته العشرين، أعلن الشاه إلغاء الانتخابات، وعين "جعفر شريف إمامي" رئيسًا للوزراء بدلًا من "إقبال"، وقبل بداية الحملة الانتخابية للدورة الثانية للمجلس العشرين طلبت الجبهة الوطنية الثانية من رئيس الوزراء ضمان حرية الانتخابات، لكن رغم وعود "إمامي" لم يتحقق أيّ من مطالب الجبهة، بل وصل الأمر إلى حد احتلال الشرطة لمقرها، مما حدا بقادة الجبهة إلى التحصّن بمجلس الشيوخ تعبيرًا عن اعتراضهم، فخلت الساحة أمام الآخرين، وعقب الانتهاء من الانتخابات، وبسبب انتشار الاضطرابات والثورة، خاصة من قبل المعلمين الرافضين لشروط العمل وخفض رواتبهم،

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحيم ذاكر حسين: ادبيات سياسى إيران در عصر مشروطيت، جلد چهارم، ص ٧٦- ٧٩ ، يرواند آبرهاميان: إيران بين دو انقلاب، ترجمة: أحمد گل محمدى وآخر، ص ٥٦٢ – ٥٦٣؛ محمد على سفرى: قلم وسياست (٢)، ص ٤٨٩- ٤٩٦؛ غلا مرضا نجاتى: تاريخ سياسى بيست وينج ساله إيران، جلد اول، ص ١٤٥-١٦٦

وفشل رئيس الوزراء فى جلب المساعدات الأمريكية، اضطر "امامي" إلى تقديم استقالته، فكلف الشاه الدكتور "على أميني" الذى كان موضع ترحيب أمريكا بتشكيل الحكومة، فألفها فى ١٦ آرديبهشت ١٣٤٠هـ.ش(٦ مايو ١٩٦١م)[١]. وبعد تأسيس الجبهة الوطنية الثانية شكل "آية الله محمود طالقانى" و"مهدى بازرجان" – أحد أعضاء الجبهة الوطنية – وعدد من المطالبين بالإصلاحات الاجتماعية "حركة تحرير إيران" عام ١٩٦١م (١٣٤٠هـ.ش) التي ارتبطت بالجبهة الوطنية الثانية، وأعلنت أن هدفها الأصلي مؤازرة الجبهة الوطنية ، وكان المهندس "مهدى بازرجان" قد أرسل إلى مصدق فى منفاه يخبره بالعزم على تشكيل حركة تحرير إيران طالبًا منه مباركة هذا التوجه، وقد أعلن قادة الحركة أنهم أسسوا حركتهم لتلبية الاحتياجات الدينية والاجتماعية والوطنية للشعب الإيراني، كما أعلنوا أنهم مسلمون إيرانيون يناصرون الحكم الدستوري وعلى نهج مصدق[٢] ، ويمكن القول أن ضعف الجبهة الوطنية، وظهور بعض الخلافات فى الرأي بين عدد من قادتها، كان الباعث لتأسيس حركة تحرير إيران، لكن الحركة ظلت مساندة للجبهة الوطنية وارتبطت بها، وقد ساند "طالقاني" إصلاحات مصدق، واستمر على اتصال به حتى وفاته برغم تأسيسه لحركة تحرير إيران، وكانت الحركة تعتقد بإمكانية بناء أيديولوجية جديدة تجمع فى عناصرها رجال الدين والفكر، وقد تحقق جزء من الفكرة بانضمام المفكر

---

[١] انظر: يرواند آبرهاميان: إيران بين دو انقلاب، ترجمة: أحمد گل محمدى وآخر، ص ٥١٩ ، شمس لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد دوم، ص ٩ – ١٠

[٢] انظر: محمد على سفرى: قلم وسياست (٢)، ص ٤٩٦–٥٠٤ ، يرواند آبراهاميان: ايران بين دو انقلاب: ص ٥٦٦ ، غلامرضا نجاتى: تاريخ سياسى بيست وينج ساله ايران، جلد اول، ص ١٦٣–١٦٦

"علـي شريعتي" إلـى الحركـة، وكـان مـن المفكرين النشطاء، ونـادى بمقاومـة الحكم الفردي للشاه ومقاومـة الرأسمالية التـي تستغل العمال والفلاحين عن طريق كبار المـلاك ورجال الصـناعة، وشـجع مقاومـة الشيوعية الماركسية التـى تعادي الـدين وتحرّمـه، ودعـا لخلـق مجتمـع مثـالي رافض للطبقيـة[1].

عقب تشكيلها طلبت الجبهة الوطنيـة مـن الحكومـة السماح لهـا بإقامـة مؤتمرها الأول، وكبـادرة لحسن النيـة، وربمـا لـوزن وقـدرة الجبهـة وافـق "علـى أميني" على إقامة المؤتمر، الذى انعقد فى ٢٨ آردبيهشت/١٨ مايو، وخلالـه هتفت الجموع بشعار "يعيش زعيمنا مصدق"، وقد طالبت الجبهة فى تقريرها الذي أصدرته بضمان حرية الانتخابات، والتشكيل الفوري للمجلس الشعبي، وتـأمين الحريـات، وقد سبب هذا المـؤتمر الكبيـر قلقًا للشـاه ورئيس وزرائـه، ولهذا رفضت الحكومة طلب الجبهة بإقامة مؤتمر آخر فـى ٣٠ تير/ ٢١ يوليه، ولكن المؤتمر انعقد، فأصدر رئيس الحكومة أمره بالقبض على قادة الجبهـة، ومـن ثـم فَقَـد "أمينـي" بالتـدريج مسـاندة قـادة الجبهـة لـه[2] .

أعلن الشاه عما أسماه بـ"الثورة البيضاء"، مع حلول عام ١٩٦٣م، حيث هدد كبار الملاك الزراعيين بنزع ملكياتهم، وكذلك رجال الدين بانتزاع أجزاء كبيرة من الأراضي الزراعية التي بحوزتهم، وحاول الحد من اختصاصاتهم، وتحديد سياسـة الدولـة بـالقوانين الجديـدة ولـيس بالشـرع، إلا أن إصـلاحات الشـاه لاقت معارضـة شديدة من رجال الـدين، وشـملت المعارضـة الطـلاب

---

[1] آمال السبكى (دكتور): تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ١٨٩-١٩٠

[2] شمس لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد دوم، ص ١٢-١٣

وشباب رجال الدين والعاملين في المهن التجارية والجمعيات الاجتماعية[١]، وأمام تفاقم الأوضاع وازدياد المعارضة والاضطرابات المناوئة لإصلاحات الشاه وثورته البيضاء اضطر "علي أميني" إلى تقديم استقالته[٢]، ومن ثم اختار الشاه "أسد الله علم" لرئاسة الوزارة، فشكل حكومة أبقى فيها على الدكتور "حسن ارسنجانى" وزير الزراعة فى الحكومة السابقة، والمسئول عن تنفيذ قانون الإصلاح الزراعى فى منصبه عامًا آخر لتنفيذ القانون، وقد دعا الشاه الجبهة الوطنية للدخول فى حكومة "علم"، لكنها رفضت، واستمر الحال حتى ١٥ خرداد ١٣٤٢هـ.ش(٤ يونيه ١٩٦٣م) حيث اندلعت أكبر حركة شعبية منذ الانقلاب العسكري حتى ذلك الوقت، ولم تقلق حركة "١٥ خرداد" الشاه فقط بل الجبهة الوطنية أيضًا، والتي كانت تتجه إلى الزوال والتلاشي؛ نظرًا لانعدام التفاهم والتنسيق بين قادتها[٣] .

عقب اندلاع أحداث ١٥ خرداد، وعلى أثر اعتقال نظام الشاه للخميني، وبعض كبار رجال الدين، أعلن الجنرال ناصر مقدم – رئيس السافاك آنذاك– فى مؤتمر صحفى عقد في ٢٥ خرداد ١٣٤٢هـ.ش(١٤ يونيه ١٩٦٣م) أن الرئيس "جمال عبد الناصر" كان وراء تلك الأحداث، وأن الجاسوس العربي "محمد القيسي" قد اعترف بأن عدة ملايين من الجنيهات قد دخلت طهران بواسطة شخصين من عملاء جمال عبد الناصر؛ لتمويل

---

(١) انظر: منوچهر ثقفى: پديده هاى انقلاب، چاپ نقش جهان، ٢٥٣٥ شاهنشاهى، ص ٢٩–٨٧ ؛ محمد رضا پهلوى: الثورة البيضاء، ترجمة: صادق نشأت، ط١، المكتبة الامبراطورية البهلوية ١٩٦٨م ؛ د.آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين ص ١٩٠؛ اسيمه چانو: التاج الإيرانى، ص ١١٩

(٢) عبد الرحيم ذاكر حسين: ادبيات سياسى إيران در عصر مشروطيت، جلد چهارم، ص ١١٠

(٣) شمس لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد دوم، ص ١٤

تلك المؤامرة[1]. اضطر الشاه أمام المظاهرات لإطلاق سراح "الخميني"، وحدد اقامته في "قم"، وفى أواخر "أسفند" ١٣٤٢هـ.ش(مارس١٩٦٤م) استقالت حكومة "علم"، فكلف الشاه "حسن علي منصور" بتشكيل الحكومة. ما لبث الخميني أن عاد وهاجم الشاه فى إحدى خطبه، وسبّه علنًا واتهمه وأسرته بالفساد، كما ندد بطرح الشاه وموافقته على لائحة "كابيتولاسيون" الخاصة بمنح الحماية والحصانة السياسية والدبلوماسية للرعايا الأمريكيين في إيران، مما يعني الإضرار باستقلال إيران، ونزولًا على الاقتراح الأمريكي قام الشاه بنفي "الخميني" إلى تركيا، وفي مطلع عام ١٩٦٥م أُغتيل "على منصور"، فكلف الشاه "أمير عباس هويدا" بتشكيل الحكومة، ورغم قيام الشاه عقب انتفاضة ١٥ خرداد بالقبض على قادة الجبهة الوطنية، ونفي الخميني إلى تركيا التي رحل عنها إلى العراق –النجف–، وتشتيت شمل معارضيه، وبسط سيطرته على الأمور، لكن ذكرى قتلى١٥ خرداد ظلت نارًا تحت الرماد تترقب الفرصة للاشتغال، ومثلما كانت مشكلة "التبغ" عام ١٨٩١م تدريبًا للثورة الدستورية، كانت أحداث خرداد١٣٤٢هـ.ش(١٩٦٣م) تدريبًا عمليًا للثورة الإسلامية[1]. ومن ثم يمكن القول أن أحداث الثورة البيضاء وكذا ١٥ خرداد كانت نموذجًا عمليًا للثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، وأظهرت قوة التيار الديني الذي ظهر بقوة فى تلك الأحداث خاصة ، وأن الضعف

---

[1] انظر: محمد على سفرى: قلم وسياست(٢)، ص٥٣٣ – ٥٣٧ ؛ غلامرضا نجاتى: تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ٔإيران، ص٢٣٤–٢٣٨ ؛ حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول، ص٥١٠– ٥١٩

[1] انظر: شمس لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد سوم، ص ١١ ؛ يرواند آبراهاميان، إيران بين دو انقلاب، ص ٥٢٣–٥٢٤؛ اسيمه چانو: التاج الإيرانى، ص ١٢١

دب في أوصال الجبهة الوطنية . وعلى أثر الخلافات الداخلية بين قادة الجبهة الوطنية الثانية خاصة حول الأمور التنظيمية انقسمت عام ١٣٤٤هـ.ش(١٩٦٥م) إلى جناحين متنافسين، تألف الجناح الأول من أكثر أعضاء حزب إيران، وظل تحت مسمى الجبهة الوطنية الثانية، وركَّز أنشطته حول الطلاب الإيرانيين المقيمين فى أوروبا، وصارت صحيفة "باختر امروز" ناطقة باسمه، وطالب بإقامة حكومة ديمقراطية في إيران ليست على أساس ديني، أما الجناح الثاني، والذي تشكل من حركة التحرير وحزب مردم إيران(شعب إيران) وحزب الأمة الإيرانية– ملت إيران – ومجتمع الاشتراكيين –جامعه سوسياليستها– أطلق على نفسه الجبهة الوطنية الثالثة، ونشر بيانه فى شهر تير ١٣٤٤هـ.ش(١٩٦٥م)، وتركز نشاطه فيما بين الطلاب الإيرانيين المقيمين في فرنسا وأمريكا الشمالية، وأصدر صحيفتين ناطقتين باسمه هما "ايران آزاد"، "خبر نامه"، وحاول توطيد علاقته بالزعماء الدينيين فى المنفى وخاصة آية الله الخميني فى العراق، وقد كان تأسيس الجبهة الوطنية الثالثة بناءً على مشاورات قادتها مع مصدق في منفاه –أحمد آباد– وموافقته على تشكيلها، وكانت حركة التحرير–نهضت آزادى–من الجماعات المرتبطة بالجبهة الوطنية وقامت بدور بارز فى الثورة الإسلامية نتيجة لعلاقتها الوثيقة بالخميني وجهود "بازرجان" و"طالقانى"، ورغم حلّ حركة التحرير رسميًا عام ١٣٤٢هـ.ش(١٩٦٣م) إلا أنها استمرت فى العمل بشكل سرى فى طهران، وفي الخارج ظلت تعمل فى أمريكا الشمالية وفرنسا[١].

---

[١] يرواند آبراهاميان: إيران بين دو انقلاب، ص٥٦٧–٥٦٨، محمد على سفرى: قلم وسياست(٢)، ص٦١٢– ٦٢٥، غلا مرضا نجاتى: تاريخ سياسى بيست وپنج ساله إيران، ص٣٣١–٣٣٤

في عام ١٣٥٠هـ.ش(١٩٧١م)، وفي ذروة حرب العصابات، والمقاومة المسلحة احتفل الشاه بمرور ٢٥٠٠ عام على إنشاء دولة فارس، وأقيم الاحتفال في مدينة "بيرسبوليس"-التي بناها "داريوش الأول" عام ٥٣٠ ق.م-، وقد تميز بالإسراف، والبذخ الشديد في وقت كان الشعب يعاني فيه من آثار الثورة البيضاء، وإسراف العائلة المالكة ونقص الموارد - عدا دخل النفط الذى كان معظمه يتم إنفاقه على تسليح الجيش - وقد تم تأمين كافة الطرق المؤدية إلى بيرسبوليس (تخت جمشيد) بالقوات العسكرية والأمنية، كما ألقي القبض على المئات من الرجال والنساء المشكوك فيهم، وبلغت نفقات الاحتفال فى ذلك الوقت أكثر من ٢٠٠ مليون دولار، ووجه الشاه الدعوة لحضور الاحتفال إلى عشرين ملكًا وأميرًا عربيًا وستة عشر رئيس جمهورية من ستين دولة بصحبة فوج من الضيوف الأجانب، وقبل مرور أيام من أسبوع الاحتفال أعلن السافاك القبض على جماعة بتهمة محاولة تفجير نظام الكهرباء الرئيس الخاص بـ"تخت جمشيد" كلها فى اليوم الأول للاحتفال، وقد أشارت خيوط التحقيقات إلى ضلوع حركة التحرير والجبهة الوطنية ثم منظمة مجاهدي خلق الإيرانية فى ذلك الأمر، وكانت المرة الأولى التى يظهر فيها اسم منظمة المجاهدين في الصحف بشكل علنى أواخر عام ١٣٥٠هـ.ش، أوائل عام ١٩٧٢م [١].

ألغى محمد رضا شاه في ٣١ يوليو ١٩٧٣م اتفاق "الكونسرسيوم" النفطي بين إيران والشركات النفطية الغربية، وبهذا أنهى السيطرة الأجنبية

---

[١] انظر: شمس لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد چهارم، ص ٥-٦ ؛ اسيمه چانو: التاج الإيرانى، ص٧٢-٧٧

للشركات الثماني المكونة لـ "الكارتل" العالمي على استخراج وبيع وتسويق النفط والغاز الإيراني، وأعاد لإيران سيطرتها على مصادر ثروتها الوطنية، وإن كانت تلك الخطوة تحسب للشاه إلا أنها أغضبت القوى الغربية منه وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا، التي قررت القضاء على نظامه؛ لإلغائه اتفاق النفط، كما تلقى الشاه ضربة قوية من أمريكا حينما ذكر "كارتر" فى حملته الانتخابية أن بلاده تساعد الشعوب التى تنتهك حكوماتها القانون؛ حتى تغير تلك الحكومات من ممارساتها اللاإنسانية، كذلك أعلنت منظمة حقوق الإنسان الدولية أن الشاه ملأ السجون الإيرانية بمعارضيه السياسيين الذين يقاسون التعذيب، وطالبته بتحسين أحوال السجون والحد من وسائل التعذيب، وشجعت تلك المنظمة والإدارة الأمريكية المعارضة السياسية الإيرانية للتعبير عن آرائها بعد سنوات من الصمت الإجبارى(١). بهذا يمكن القول أن القوى الأجنبية قررت كل منها بحسب رؤيتها وأهدافها التخلص من شرطي الخليج– الشاه – حيث رأت تلك القوى أن الشاه لم يكتفِ بدور حامي مصالحها بعد الإطاحة بمصدق وعودته لعرشه، فلم يقبل بدور تنفيذ أوامر تلك القوى فقط، بل كان له طموحه الرامي إلى إطلاق يده فى شئون المنطقة دون عوائق، ولم يلق هذا التوجه هوىً في نفوس زعماء الدول الكبرى، ومع إلغائه الاتفاق النفطي بين إيران وتلك القوى الأجنبية التي أطاحت بمصدق للاستحواذ على نفط إيران ، كان لابد لتلك القوى أن تساند المعارضة الإيرانية خاصة الدينية للإطاحة به .

---

(١) انظر: يرواند آبراهاميان: إيران بين دو انقلاب، مرجع سابق، ص ٦١٧ ؛ د.آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، مرجع سابق، ص١٩٣، ١٩٥–١٩٦

تواصلت الأحداث سريعًا معلنة بداية النهاية للأسرة البهلوية، فقد أعلن الشاه عام ١٩٧٦م تغيير التقويم الهجري الشمسي إلى التقويم الشاهنشاهي، فلاقى الأمر معارضة رجال الدين والخميني الذى اعتبره ابتعادًا عن الإسلام وعودة للمجوسية، وفى عام ١٩٧٧م توفي "آية الله مصطفى" ابن الخميني في النجف، ورغم الإعلان بأن موته كان بالسكتة القلبية، اتهم الشاه والسافاك باغتياله، ولم يقبل الشعب بمبررات الحكومة حول سبب الوفاة، وأقيمت حفلات التأبين له وللشهداء من ضحايا النظام، وقد اندلعت المظاهرات في أنحاء إيران قتل خلالها العديد من أفراد الشعب، فتجددت المناسبات الدينية وبخاصة ذكرى الأربعين، ومع مواجهة نظام الشاه للمتظاهرين بقسوة صمم الشعب على الخلاص من النظام البهلوى[١] .

بدأت مع مطلع عام ١٩٧٧م مرحلة جديدة لقلب نظام الحكم البهلوى، فخرجت لأول مرة مظاهرات منظمة بعد صلاة الجمعة من مسجد "شاه عبد العظيم"[١] –جنوب إيران– رددت الشعارات المعادية للنظام، وهتفت بسقوط الشاه، لكن قوات الأمن تصدت لها وقامت بتفريقها، كما اندلعت تظاهرة أخرى من جامعة طهران إلى خارجها، وقام المتظاهرون بالتعدي على

---

[١] رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه، ص٧٣

[١] قام هذا المسجد بدور مهم أثناء مراحل الثورة الدستورية حيث شهد اعتصام رجال الدين وبعض فئات الشعب بعد خروجهم من طهران حتى تتحقق مطالبهم ، وفى مقدمتها : عزل حاكم طهران = = وتأسيس دور العدالة فى كافة أنحاء إيران، وعزل "نوس" البلجيكى عن إدارة الجمارك والمالية الإيرانية، وقد عرفت هجرة العلماء واعتصامهم بمسجد "شاه عبد العظيم" بالهجرة الصغرى. انظر: هويدا عزت محمد: تاريخ الحكم النيابى لإيران، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٦م، ص ١١٠–١١٩؛ طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ص ١٢٥–١٣٣

البنوك والمؤسسات التجارية ومنشآت الجامعة، وحملوا اللافتات المعادية للنظام الحاكم، إلا أن الشاه وحكومته اعتقدا أن المظاهرتين دليل على ضعف المعارضة المسلحة التي تقودها منظمتا "مجاهدي خلق" و"فدائي خلق"، ودليل ضعف منطق المعارضة، وفساد حجتها خاصة بعد إعلان الشاه العفو عن بعض السجناء السياسيين[١]. شهد مطلع عام ١٩٧٨م ازدياد المظاهرات المناوئة لنظام الشاه، ولأول مرة هتف المتظاهرون بشعارات "الموت للشاه"، "الخميني قائدنا"، وما لبث التوتر أن تصاعد فى ١٠ مايو ١٩٧٨م(٢٠ ارديبهشت ١٣٥٧هـ.ش)، عقب اعتداء رجال الأمن على مقار بعض رجال الدين وعلى رأسهم "آية الله شريعتمدارى" أثناء مطاردتهم للمتظاهرين، أعقبها مظاهرات فى ١١ مايو ١٩٧٨م بدعم وتأييد رجال الدين، وقد اتسع نطاق العنف فشمل المبانى الحكومية، ومراكز السافاك، ومقار حزب "رستاخير" والبنوك والوزارات، ومع فشل قوات الشرطة فى إيقاف المظاهرات تحركت فصائل من الجيش لفضها، وعقد رئيس الوزراء "جمشيد آموزجار"– الذى جاء بعد إقالة هويدا– مؤتمرًا كبيرًا لمناقشة سياسة إيران الداخلية وموقف الشعب من الحركة الإصلاحية – الثورة البيضاء–، وحاول الشاه من جانبه تهدئة الأمور، وعلاج الوضع المتفاقم فأصدر قرارًا بالعفو عن العديد من المسجونين السياسيين، كما حاول إرضاء المعارضة الدينية بتأليف وزارة مصالحة وطنية برئاسة "شريف إمامي" وهو سليل أسرة دينية عريقة فى إيران[١]، إلا أن الخمينى رفض كافة محاولات

---

[١] آمال السبكى (دكتور): تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ١٩٩

[١] انظر: رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه، ص٧٥ ؛ د. آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٢٠٤ – ٢١٧

رئيس الوزراء للمصالحة، فاضطر الأخير لتغيير سياسته فى الحكم، وأعلن رفضه تنظيم أى مظاهرات دون إذن مسبق من الحكومة، لكن المظاهرات تواصلت، وكان أشدُّها تلك التي اندلعت يومي١٦، ١٧ شهريور/٧، ٨ سبتمبر وهو ما عرف بالجمعة السوداء فى ميدان "جاله"– أمام البرلمان– وطالب المتظاهرون بسقوط الشاه وحكومته، والتي تصدى لها الجيش بقوة، مما أدى إلى سقوط أعداد كبيرة من القتلى، وتحولت ساحة البرلمان إلى ساحة للشهداء، واضطر شريف أمامي لإعلان الحكومة العسكرية فى ١٢ مدينة إيرانية[١]، وأمر الجيش باحتلال مكاتب الصحف المهمة، وقام بالقبض على قادة الجبهة الوطنية [٢].

عقب أحداث ١٧ شهريور –الجمعة السوداء– ظهر فشل أسلوب الحكم العسكرى، ولهذا اتخذ الشاه تدابير جديدة، فعزل "هويدا" من وزارة البلاط بصفته المسئول الشرعي عن أحداث الثلاثة عشر عامًا الأخيرة، وانتهى الأمر باعتقاله ، كما قام بحلّ حزب رستاخيز[١]، فارتكب خطأ جسيمًا بهذا الضيع حيث انضم أعضاؤه لأحزابهم القديمة، فخسر الشاه تجمعًا من الأمة الإيرانية كان مواليًا له[٢]. ومع استمرار الخميني فى نشاطه المناهض للنظام البهلوى؛ قامت الحكومة العراقية بإيعاز من نظيرتها الإيرانية بطرده من

---

[١] حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول، مرجع سابق، ص ٥٧٩

[٢] يرواند آبراهاميان: إيران بين دو انقلاب، ص ٦٣٩–٦٤٠

[١] حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول، ص ٥٨٣

[٢] د.آمال السبكى : تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٢١٧

أراضيها، حيث استقر بـه المقام فى العاصمة الفرنسية باريس، ليبدأ مرحلة جديدة من النضال السياسي المنظم والمعلن ضد نظام الشاه[1].

أثناء إقامة الخميني فى باريس اتفق التيار الديني بزعامته مع التيار الوطني بزعامة بازرجان وسنجابي على توحيد الجهود للقضاء على نظام محمد رضا شاه[2]، وأمام التطورات المتلاحقة واندلاع المظاهرات المناهضة لنظام الشاه بشكل مستمر وازدياد حدتها اضطر محمد رضا شاه للاعتراف بالثورة ضمنيًا، وألقى خطابًا فى ديسمبر ١٩٧٨م ناشد فيه رجال الدين إرشاد أبناء الشعب بضرورة احترام النظام والحفاظ على وحده الأمة، وتعهد بتجنب أخطاء الماضى، وإقامة حكومة وطنية برئاسة "غلام رضا أزهاري"، والذي لم يشتغل بالسياسة من قبل، وكان يحظى بثقة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شكّل "أزهارى" حكومة عسكرية بهدف القضاء على الثورة سلكت نهج الشدة، ومن ناحية أخرى قام فى ٨ نوفمبر ١٩٧٨م بإلقاء القبض على أمير عباس هويدا – رئيس الوزراء الأسبق الذى تولى الوزارة لمدة ثلاثة عشر عامًا – ومعه ١٤ شخصًا من كبار رجال الدولة والحكومات السابقة كان على رأسهم القائد السابق للسافاك –نعمت الله نصيري– ورئيس الديوان الإمبراطوري، ومحافظ فارس، ووزير التجارة، ووزير الطاقة، ووزير الزراعة، وذلك لاتهامهم باستغلال النفوذ، وتشجيع الفساد في مؤسسات الدولة، وبلغ عدد الشخصيات السياسية المقبوض عليها ثلاثمائة سياسي اتهموا جميعًا بالرشوة، وضعت أموالهم تحت سيطرة الدولة، في

---

[1] تقى نجارى راد: السافاك، ترجمة: محمود سلامة علاوى، مراجعة: محمد السعيد جمال الدين، ص ٢٤٧

[2] يرواند آبراهاميان: إيران بين دو انقلاب، ص ٦٤١ – ٦٤٢

محاولة من جانب رئيس الوزراء لتبرئة ساحة الشاه من مسئوليته عن تفشي الفساد فى قطاعات الدولة [١]، لكن تلك الخطوات كانت بلا جدوى، إلا أن "أزهارى" أخطأ حينما ألقى القبض على "كريم سنجابى" –أحد زعماء الجبهة الوطنية– بتهمة التعاون مع الخميني لإقامة حكومة إسلامية ديمقراطية جناحاها الخميني وسنجابي، في الوقت الذى كان فيه الشاه يسعى لإقامة حوار ديمقراطى مع المعارضة، وكان مصدر معلومات أزهارى بهذا الشأن الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، الدولتان المعاديتان للشاه ونظامه، الراغبتان في تولى الخمينى زمام الأمور في إيران، وما لبث الشاه أن أقال حكومة "غلامرضا أزهارى"، وبناء على اقتراح الجنرال "ناصر مقدم" رئيس السافاك، كلف "شاهبور بختيار" –كان وزيرًا فى حكومة مصدق وعضوًا في الجبهة الوطنية– بتشكيل الحكومة الجديدة[١] فى ٩ "دى" ١٣٥٧هـ.ش (٣٠ ديسمبر ١٩٧٨م) والتي لاقت قبولَ الشاه والمجلس، وعقب توليه المسئولية أعلن "بختيار" أن الشاه سيغادر البلاد لقضاء إجازة، ولم يحدد موعد عودته، كما أعلن إلغاء الحكومة العسكرية وإجراء انتخابات حرة، كما ألغى عدة اتفاقيات لشراء أسلحة بقيمة ٧ مليار دولار، وأوقف بيع النفط لجنوب أفريقيا وإسرائيل، وقرر خروج إيران من حلف "سنتو"، وتخليها عن دور شرطي الخليج، كما قبض على بعض الوزراء السابقين، وأطلق سراح العديد من

---

[١] انظر: حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول، ص ٥٨٨– ٥٩٤ ؛ جهانگير آموزگار: فراز وفرود دودمان پهلوى، ترجمة: اردشير لطفعليان، ص ٥٥٧ ؛ رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه، ص٧٦ ؛ د.آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٢١٩– ٢٢٠

[١] انظر: رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه، ص٧٦ – ٧٧؛ آمال السبكى، ص٢٢٠ ؛ فريدون هويدا: سقوط الشاه، ص ٣١٥–٣١٦

المسجونين السياسيين، ووعد بحل جهاز السافاك، كذلك أعلن أن آية الله الخمينى – غاندى إيران – بمقدوره العودة إلى البلاد [١]. غادر الشاه إيران إلى مدينة أسوان بجنوب مصر في ١٦ يناير ١٩٧٩م، وسنحت الفرصة لرجال الدين واليساريين؛ فأعلنوا الثورة الشعبية، وحرضوا الشعب على النزول إلى الشوارع لمناهضة الاستبداد، وبالفعل استجابت الجماهير فتدفقت إلى الشوارع والميادين، وحاول الجيش تفريق المتظاهرين مما أسفر عن سقوط بعض الضحايا، لكنه فشل أمام تصميم المعارضة والجماهير الثائرة، ومن ثم انسحب الجيش إلى ثكناته، وأعلن الخميني أن مجلس الوصاية الذى شكله "بختيار" للقيام بأعمال الشاه غير شرعي، وكذا حكومة بختيار، وأنه قادم إلى إيران لاستخلاص حقوق الشعب من أيدي ظالميه[١]، وكان الخميني قد تأكد أن "هاوزر" – نائب القائد العام لقوات حلف الأطلنطي في أوروبا – قد نجح فى منع الجيش من القيام بانقلاب لانقاذ العرش البهلوى، وإعادة السلطة إلى محمد رضا شاه[٢] .

---

[١] يرواند آبراهاميان: إيران بين دو انقلاب، ص ٦٤٧

[١] رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه ، ص ٧٧ – ٧٨

[٢] د.آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٢١٦ ، ٢٢٠

الفصل الخامس

الجمهورية الإسلامية

وصل الخميني إلى طهران في ١٢ بهمن ١٣٥٧هـ.ش(١ فبراير ١٩٧٩م) على متن طائرة فرنسية – رغم المعوقات التى وضعها بختيار فى طريقه–، وكان في استقباله أكثر من ثلاثة ملايين إيراني، وبمجرد دخوله إيران انتهى النظام البهلوى فعليًا حيث ألقى فور وصوله خطابًا فى مقبرة الشهداء – بهشت زهرا – هاجم فيه الشاه والحكومة، وأعلن زوال النظام الملكي بلا رجعة ، وحينما أدرك "بختيار" أن الثورة قد انتصرت، هرب من طهران إلى باريس بتدبير وموافقة الإدارة الأمريكية ورئيسها "كارتر"، وقد عقد الخميني مؤتمرًا صحفيًا فى فبراير ١٩٧٩م في مقر إقامته بمدرسة علوى بطهران حدد فيه برنامجه السياسى على النحو التالى :

(أ) أَنَّ الرأى العام والشعب قد اعترفوا به زعيمًا للبلاد

(ب) أنه قد عين حكومة مؤقتة لإجراء الاستفتاء

(ج) أن معارضة الحكومة التي عينها تعد معارضة لحكم الله .

بدأ "الخميني" تنفيذ برنامجه السياسى في نفس اليوم، فشكل مجلس قيادة الثورة عدة لجان لمواجهة المشاكل، كان أهمها لجنة الوقود التي بادرت برئاسة رفسنجاني إلى حل مشكلة الوقود، وتنظيم إدارة إضراب عمال النفط، فضلاً عن لجان الإضراب والمسيرات والدفاع والأمن وغيرها. وقد أعلن مجلس قيادة الثورة عن تشكيل حكومة مؤقتة تضم زعماء الحركات الوطنية التي شاركت في الثورة، وكلف "مهدى بازرجان" برئاسة الوزارة المؤقتة، وكلفه بإجراء استفتاء للرأى العام حول تغيير النظام السياسى للبلاد من الملكية إلى الجمهورية الإسلامية، وتشكيل مجلس تأسيسي من ممثلي الشعب بغرض

المصادقة على الدستور الجديد ، وكذا انتخاب مجلس نواب الشعب طبقًا للدستور الجديد ، وشكلت اللجان الثورية فى طهران والمدن الإيرانية الأخرى لمحاكمة أعداء الثورة، ومن ثم انتهى العصر البهلوى تمامًا وحلت الدولة الدينية محل الدولة العلمانية، واعترفت دول العالم بالنظام الحاكم الجديد وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية[١].

بدأ كل من مجلس قيادة الثورة الإسلامية والحكومة المؤقتة برئاسة "بازرجان" ممارسة عمله في إدارة شؤون إيران والإعداد لاستفتاء شعبي حول نظام الحكم واختيار رئيس للبلاد، وقد كان السؤال الوحيد الذي طرح في الاستفتاء على نظام الحكم هو: هل توافق على إقامة جمهورية ديمقراطية إسلامية أم لا؟، وقد باركت كافة الجماعات السياسية هذا الاستفتاء بما فيها حزب "توده" وأعلنت جماهير الشعب عن رأيها بالموافقة.

تعديلات رئاسية :

طوال العقد الأول من الثورة تَطوّر النظام في إيران من حيث السلطة التنفيذية في إطار سلطتي رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء، وكّل الخميني قيادة القوات المسلحة إلى بني صدر في بدايات الحرب الإيرانية-العراقية، وهذا ما لم يُرضِ معارضيه، وبعد عزله من مهامّ منصبه رئيسًا للجمهورية لم تصل تلك السلطات الرئاسية إلى أي رئيس بعد ذلك .

---

(١) انظر: يرواند آبراهاميان: إيران بين دو انقلاب، ص ٦٤٧- ٦٥٢ ؛ رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية فى الشعر الإيرانى فى عهد محمد رضا شاه، ص ٧٨ ؛ طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ص ٤١٨- ٤٢٧ ؛ اسيمه چانو: التاج الإيرانى، ص١٥٠- ١٥٤

وقد كُتب في المادة ٧٥ من مسوَّدة الدستور: "رئيس الجمهورية أعلى مسؤول رسمي في الدولة في الشؤون الداخلية والعلاقات الداخلية وتنفيذ الدستور، ويتولّى مهمة تنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث ورئاسة السلطة التنفيذية". ومع إقحام عبارة "الوليّ الفقيه" في النص النهائي المُقَرّ عام ١٩٧٩م أصبح دور رئيس الجمهورية أضعف مما هو في المسوَّدة: "بعد منصب القيادة، يعتبر رئيس الجمهورية أعلى مسئول رسمي في الدولة، ويتولى مسئولية تنفيذ الدستور وتنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث ورئاسة السلطة التنفيذية إلا في الشئون التي تتصل مباشرةً بالقيادة"، وبعد ١٠سنوات في عام١٩٨٩م سُلب من رئيس الجمهورية دور تنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث، ووُكل إلى القائد.

بعد وفاة الخميني وإعادة النظر في الدستور، وعلى أثر الخلافات الدائرة بين الرئيس آنذاك علي خامنئي، ورئيس وزرائه مير حسين موسوي، انتهى منصب رئيس الوزراء في إيران، إذ استُبعِد هذا المنصب من الدستور في تعديل ١٩٨٩م، وأعيد مؤخَّرًا طرح مشروع منصب رئاسة الوزراء واستبعاد منصب رئاسة الجمهورية، خلال التقدُّم لانتخابات رئاسة الجمهورية في أبريل الماضي.

الحكومة المؤقَّتة :

قبل أن نشرع في التعرض لرؤساء إيران بعد التأسيس للنظام الجمهوري، نجد أن هذا النظام بدأت معاركه مع حلفائه الذين شاركوه الثورة وأسهموا في انتصارها: المهندس مهدي بازرجان، رئيس الوزراء الإيراني المؤقَّت الذي كلّفه الخميني تشكيل حكومة مؤقَّتة للإعداد للاستفتاء على الجمهورية، وكان

يطالب منذ اليوم الأول بسلطات أكثر، إلا أنه حينما واجه موانع كثيرة منها احتلال السفارة الأمريكية في طهران، وليس له من الأمر شيء، استقال .

أبو الحسن بني صدر :

بعد رحيل حكومة بازرجان المؤقَّتة التي لم تدُم أكثر من ٩ أشهر، جاء أبو الحسن بني صدر كأول رئيس لإيران بعد الثورة الإسلامية- ولد عام ١٩٣٣ وانتخب رئيسًا عام ١٩٨٠- ووكل إليه روح الله الخميني مهمة إدارة الحرب مع العراق، وتَسبّبَت طريقة إدارته للحرب ومعارضته لرئيس وزرائه محمد علي رجائي في تشديد الخلافات بينهما لإشادة بني صدر بدور الجيش في الحرب، في حين كان رجائي وحزبه "الجمهورية الإسلامية" يرغبان في دور أكبر للحرس الثوري .

أدَّى الخلاف بينه وبين حزب الجمهورية الإسلامية الذي حاز على الأغلبية البرلمانية إلى قيام البرلمان بمساءلة بني صدر وعزله في يونيو /حزيران١٩٨١بموافقة الخميني، واتهامه بالخيانة والتآمر على النظام، وكان أول رئيس لإيران يُعزَل لعدم كفاءته السياسية، وهو ما اضطره إلى الاختباء بمساعدة المجاهدين. وبعدها بشهر فر إلى باريس حيث قام بتشكيل تحالف غير محكم مع مجاهدي خلق بهدف الإطاحة بالخميني، لكن هذا التحالف انهار في مايو١٩٨٤م بسبب تضارب الأفكار بين زعيم الحركة وقتئذ مسعود رجوي وبني صدر. وعلى الرغم من يأسه ومنفاه طويل الأمد، قال بني صدر في المقابلة التي أجريت معه في٢٠١٩م إنه لم يندم على مشاركته في الثورة. وعاش بني صدر مع زوجته وبنتيه فيروز وزهراء وابنه علي. توفي أبو الحسن بني صدر يوم السبت ٩ أكتوبر٢٠٢١م عن عمر ناهز ٨٨ عامًا.

محمد علي رجائي :

انتُخِب محمد علي رجائي ثاني رئيس لإيران(٢ أغسطس–٣٠ أغسطس ١٩٨١م) بعد عزل بني صدر، وكان صاحب أقصر ولاية إذ امتدت ٢٨ يومًا. تَوَجّه إلى مقرّ اجتماع عاجل لحكومته في مبنى رئاسة الوزراء، واغتيل بتفخيخ مقرّ الاجتماع فلقي مصرعه هو ورئيس وزرائه محمد جواد باهنر، فوكل المجلس الرئاسي(رئيس البرلمان آنذاك هاشمي رفسنجاني ورئيس الديوان الأعلى القضائي عبد الكريم موسوي أردبيلي) مهامّ رئاسة الوزراء في إجراء استثنائي إلى وزير الداخلية آنذاك "محمد رضا مهدوي"، بحسب مصادر إيرانية .

علي خامنئي :

ولد عام١٩٣٩م، وتولى رئاسة الجمهورية في١٣أكتوبر ١٩٨١حتى٣ أغسطس ١٩٨٩م، وبدأ علي خامنئي رئاسته للجمهورية بخلاف مع البرلمان لرغبته في تعيين علي ولايتي رئيسًا للوزراء، في حين وافق المجلس على تعيين مير يحسين موسوي رئيسًا للوزراء، طوال السنوات الثماني التي استمرت فيها ثنائية خامنئي وموسوي. مع وفاة الخميني في ١٩٨٩م فَقَدَ موسوي أحد كبار داعميه، وتَوَلَّى علي خامنئي منصب المرشد الأعلى للجمهورية، وأُعيدَ النظر في الدستور وأُلغِيَ منصب رئيس الوزراء، وعزل موسوي نفسه عن عالَم السياسة، ولكن لم ينتهِ خلافه مع خامنئي، إذ وُضِعَ قد الإقامة الجبرية هو ومهدي كروبي رئيس البرلمان الأسبق بعد الاضطرابات التي وقعت في إيران بسبب "الحركة الخضراء" بعد انتخابات رئاسة الجمهورية في ٢٠٠٩م، واتهام تيَّار "موسوي وكروبي" للنظام بالتزوير لصالح محمود أحمدي نجاد في الجولة الثانية من الانتخابات .

هاشمي رفسنجاني :

ولد عام ١٩٣٤م، وتَوَلَّى رئيس البرلمان علي أكبر هاشمي رفسنجاني رئاسة إيران عقب الانتخابات التي أجريت في أعقاب اختيار خامنئي مرشدًا أعلى للبلاد. مرّت سنوات ولايته الأولى بقليل من التوتُّر، إلا أن الولاية الثانية عارض خامنئي بوضوح سياسات السوق الحرة والإشرافية، وهي الانتقادات التي طالت رفسنجاني. بعد انتهاء ولايته الرئاسية وانتخاب محمد خاتمي رئيسًا للجمهورية، استمرّ رفسنجاني في أدواره داخل النظام، إلى أن انحاز في ٢٠٠٩ إلى "الحركة الخضراء" وعُزل شيئًا فشيئًا عن الساحة السياسية، وأدّى انتقاده التعامل مع الأزمة في تلك الفترة إلى اتهامه بالتضامن مع المعترضين، واغتيل معنويًّا بعدما فقد تدريجيًّا إمامة صلاة الجمعة في طهران، ورئاسة مجلس الخبراء، كما فقد أبناؤه مناصبهم، وفقا لـ "بي بي سي". تُوفّي رفسنجاني في ٨ يناير٢٠١٧م بعدما أصيب بأزمة قلبية، في حين أشار بعض التقارير إلى مقتله خنقًا في أثناء استحمامه في مسبح شمالي العاصمة طهران .

محمد خاتمي :

ولد عام ١٩٤٣م، وبعد رفسنجاني رأس محمد خاتمي الجمهورية، وهو الذي قال إن حكومته كانت تواجه مشكلة كل ٩ أيام، ومنذ الأيام الأولى لرئاسته الجمهورية أثار مؤشّرات التوتُّر مع قادة النظام.

كان الإصلاحيون يتوقعون في أواخر عهده أن لا يتولى أي منصب في الدولة، وهو ما حدث بالفعل، إذ أُبعِدَ تدريجيًّا عن الساحة السياسية وضُيّق عليه بعدما دعم الحركة الخضراء ومير حسين موسوي أمام محمود أحمدي نجاد في انتخابات الرئاسة ٢٠٠٩م، ودعم مطالب المعترضين، إلى حُظر

إعلاميًّا في ٢٠١٥م بقرار تُلقِي كل جهة مسؤوليته على الأخرى، بما يدلّ أن القرار قادم من المرشد، حسب "دويتشه فيله".

محمود أحمدي نجاد :

ولد في عام ١٩٥٦م، وقد تولى محمود أحمدي رئاسة الجمهورية كسادس رئيس لإيران في عهد الجمهورية، وشهدت فترته الثانية أيضًا توتُّرات مع خامنئي، إضافة إلى هاشمي رفسنجاني، وأعلن خامنئي رسالته السرية إلى أحمدي نجاد بشأن عدم وجود مصلحة في تعيين إسفنديار رحيم مشائي نائبًا أول له، ولم يستجِب نجاد لذلك .

اعتزل في منزله إثر عزل "حيدر مصلحي" وزير استخباراته بقرار من خامنئي، وهو ما اعتبره مراقبون حدثًا حدَّد مستقبله السياسي، كما أنه عارض توصية المرشد بالترشُّح لانتخابات رئاسة الجمهورية ٢٠١٧م، وتوقع البعض رفض أهليته نتيجة تجاهله توصية القائد، وهو ما حدث بالفعل.

أُطلِقَ على تيَّار أحمدي نجاد في أثناء حكمه وبعد ذلك تيَّار "الانحراف"؛ بسبب معتقداته الفكرية واعتراضاته على خامنئي، إذ ذكر قائد القوى الأمنية إسماعيل أحمدي مقدم، أن الأشخاص الذين يعتبرون سنواتهم الثماني مرتبطة بـ"إمام الزمان"، ويدّعون أنهم نالوا حكمهم منه، ونسوا ولاية الفقية، وأصبحوا سلفيين، ودماؤهم مباحة، هؤلاء الأفراد الذين ظلّوا لسنوات في النظام التنفيذي للدولة، هم أعضاء فرقة انحرافية .

ورُفِضَت أهلية كل من حميد رضا مشائي ومحمود أحمدي نجاد لخوض انتخابات رئاسة الجمهورية في٢٠١٧م، ورُفِضَت أيضًا أهلية هاشمي رفسنجاني في انتخابات رئاسة الجمهورية في ٢٠١٣م، وتَخَلَّى بعض رفقاء

أحمدي نجاد عنه لعدم إنصاته لتوصية المرشد بعدم خوض انتخابات رئاسة الجمهورية .

حسن روحاني :

ولد عام ١٩٤٨م، وتولى رئاسة إيران منذ ٢٠١٣م، وهو من مواليد بلدة "سرخه" بمحافظة سمنان، وهو ابن تاجر، وناشط سياسي منذ فتوته، وتلقى تعليمه الديني في مدينة سمنان ثم في قُم، وقد تخرج في الحقوق في جامعة طهران، وحاز درجة الدكتوراه من اسكتلندا في القانون الدستوري، انتخب نائباً في مجلس النواب وشغل مقعده بين ١٩٨٤ و ٢٠٠٠م، وشغل منصب نائب رئيسه بين ١٩٩٢ و ٢٠٠٠م، ودخل مجلس الخبراء عام ٢٠٠٧م، شغل منصب أمين مجلس الأمن الوطني بين ١٨٩٨ و٢٠٠٥م، كما كان كبير المفاوضين في ملف إيران النووي بين ٢٠٠٣ و٢٠٠٥م، وانتخب رئيسًا للجمهورية في صيف ٢٠١٣م .

إبراهيم رئيسي :

ولد إبراهيم رئيسي في١٤ ديسمبر١٩٦٠م لعائلة من رجال الدين في منطقة نوغان بمشهد، هو إسلامي محافظ وسياسي أصولي فقيه، ورئيس إيران المُنتخب منذ ١٩يونيو٢٠٢١م، وكان كبير قضاة إيران منذ عينه المرشد الأعلى خامنئي في ٧ مارس٢٠١٩م حتى يونيو٢٠٢١م. خدم في عدة مناصب سياسية في السلطة القضائية، مثل المدعي العام(٢٠١٤-٢٠١٦م)، ونائب كبير القضاة(٢٠٠٤-٢٠١٤)، كما شغل منصب المدعي العام ونائب المدعي العام في طهران في الثمانينيات والتسعينيات. كان الوصي ورئيس"آستان قدس رضوي" من٢٠١٦-٢٠١٩م، وهو أيضًا عضو في مجلس الخبراء من محافظة جنوب خراسان، وقد تم انتخابه لأول مرة في

انتخابات٢٠٠٦م، وهو صهر إمام الجمعة في مشهد والإمام الأكبر لضريح الإمام الرضا، أحمد علم الهدى ترشح في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٧م كمرشح عن الجبهة الشعبية المحافظة لقوى الثورة الإسلامية، وخسر أمام الرئيس المعتدل حسن روحاني 57% مقابل ٣٨.٣%. ترشح للرئاسة مرة أخرى في عام ٢٠٢١ وكان من المتوقع فوزه. كان أحد الأشخاص الأربعة في" لجنة الموت"، المسئولة عن إعدام آلاف السجناء السياسيين في إيران عام١٩٨٨م. خضع لعقوبات المكتب الأمريكي لمراقبة الأصول الأجنبية بموجب الأمر التنفيذي رقم ١٣٨٧٦، وقد اتهمته منظمات حقوق الإنسان الدولية والمقرر الخاص للأمم المتحدة بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، ويعد رئيسي من تيار الأصوليين، ومقرب من المرشد الأعلى علي خامنئي. أعلن فوزه في الانتخابات الرئاسية في ١٩يونيو٢٠٢١ بعد حصوله على أكثر من٦٠% من الأصوات، ليتولى منصبه في أغسطس ٢٠٢١م .

نظام الحكم في إيران :

مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أعيد تشكيل نظام الحكم في البلاد، لينتقل من الملكية الدستورية التي يرأسها الشاه، إلى نظام الحكم الإسلامي الجمهوري. هذا النظام الجديد تمثل بثلاث سلطات مستقلة، تجسّد السلطة في هذا البلد، وهي: السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية (الإجرائية) ، والسلطة القضائية، وتكون جميعها تحت إشراف المرشد الأعلى، بحسب المادتين ٥٧ و ٦٠ من الدستور.

السلطة التشريعية

تتقسم السلطة التشريعية إلى ٣ مجالس، تسنّ القوانين وتراقب عمل الحكومة في البلاد، وهي: مجلس تشخيص مصلحة النظام، مجلس صيانة الدستور، ومجلس الشورى أو البرلمان.

* **مجلس تشخيص مصلحة النظام:** هو أحد أجهزة الحكم وهو الهيئة الاستشارية العُليا، شُكّل للمرة الأولى عام ١٩٨٤م، ويضم اختصاصيين لتقديم المشورة إلى المرشد. يشير الدستور إلى أن مدة عمله تبلغ ٥ سنوات، ويتكون من ٣١ عضواً، يمثلون مختلف التيارات السياسية الإيرانية، ويعيّن المرشد الإيراني أعضاء المَجمع الدائمين والمتغيّرين، باستثناء رؤساء السلطات الثلاث الذين ينضمون إلى المجمع بصورة تلقائية. من أبرز مُهمّات مجلس تشخيص مصلحة النظام، أن يكون حَكمًا بين مجلس الشورى ومجلس صيانة الدستور، وقرارته بشأن خصومة الهيئتين تصبح نافذة، بعد مصادقة المرشد عليها.

* **مجلس صيانة الدستور:** تأسَّس عام ١٩٨٠م، وهو من الهيئات القانونية الرئيسة في إيران، ويشبه المجلس الدستوري أو المحكمة الدستورية في الدول الأخرى. ويتألف من١٢عضواً، ٦منهم من الفقهاء في الشريعة، و٦ آخرون من خبراء القانون. من مهماته النظر في جميع القوانين والتشريعات التي تصدر عن البرلمان، والإشراف على الانتخابات، بإضافة إلى الموافقة على المرشحين لرئاسة الجمهورية ومجلس الخبراء ومجلس الشورى، وعلى الاستفتاء العام.

* **مجلس الشورى أو البرلمان:** هو هيئة تشريعية تُنتخَب مباشرة من الشعب، كل ٤ سنوات، ويتألف من٢٩٠ عضواً يمثّلون جميع فئات الشعب.

وقد أُسس عام ١٩٨٩، ويمثّل جميع القوميات والأديان الموجودة في إيران، بحيث يتمثّل فيه، بالإضافة إلى أتباع الديانة الإسلامية الأكثر تعداداً في البلاد، كلٌّ من الزرادشت واليهود والمسيحيين الآشوريين والكلدانيين والمسيحيين الأرمن. أمّا نطاق الدوائر الانتخابية وعدد النواب فيحدّدهما القانون. ومن مهماته وصلاحياته: تشريع القوانين، مناقشة خطط الحكومة ومراقبتها ومساءلتها، والنظر في الاتفاقيات والبروتوكولات. كما أنه الجهة الوحيدة المخوَّلة البتّ في طلبات إعلان حالة الطوارئ، ويحق له، بأغلبية ثلث أعضائه، طرح الثقة برئيس الجمهورية .

السلطة التنفيذية (الإجرائية):

تتكون من رئاسة الجمهورية، ومن مجلس الوزراء ومجلس الأمن القومي، التابعين لرئاسة الجمهورية. ينصّ الدستور الإيراني على أن رئيس الجمهورية هو أعلى سلطة في الدولة بعد المرشد الإيراني. ويتم انتخابه من الشعب.

– تُسند إلى رئيس الجمهورية مهمة تعيين الوزراء، ويطلب إلى مجلس الشورى الإسلامي منحهم الثقة. كما أنه يشرف على عملهم، ويقوم بالتنسيق بين قرارات الوزراء ومجلس الوزراء. ويعيّن، بالتعاون مع أعضاء الحكومة، السياسة العامة لعملها ونهجها .

– يُسند إلى رئيس الجمهورية، أيضاً، تشكيل مجلس الأمن القومي الأعلى، الذي يقوم بتعيين السياسات الدفاعية والأمنية للبلاد، في إطار السياسات العامة التي يحددها المرشد الإيراني، بالإضافة إلى تنسيق النشاطات السياسية والأمنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، المرتبطة بالخطط الدفاعية والأمنية العامة. من أعضاء مجلس الأمن القومي: رؤساء السلطات الثلاث، رئيس هيئة أركان القيادة العامة للقوات المسلحة، مسؤول شؤون

التخطيط والميزانية، مندوبان يُعيَّنان من جانب المرشد، وزراء الخارجية والداخلية والأمن.

كما يقوم مجلس الأمن القومي الأعلى بتعيين المجالس الفرعية، مثل مجلس الدفاع، ومجلس أمن البلاد. وتكون رئاسة كل من هذه المجالس الفرعية تابعة لرئيس الجمهورية، أو تتبع أحد أعضاء مجلس الأمن القومي الأعلى، بناءً على تكليف من رئيس الجمهورية.

السلطة القضائية

السلطة القضائية، بدءً بالمحكمة العليا، مروراً بالمحاكم الإقليمية، وصولاً إلى المحاكم المحلية، تقع جميعها تحت إدارة وزارة العدل الإيرانية.

يعيّن المرشد الإيراني شخصاً مجتهداً عادلاً ومطّلعاً على الأمور القضائية، لمدة ٥ سنوات، رئيساً للسلطة القضائية.

– أبرز واجبات رئيس السلطة القضائية، "إيجاد الدوائر اللازمة في وزارة العدل"، إعداد اللوائح القضائية الملائمة لنظام الجمهورية، توظيف القضاة، وعزلهم، ونقلهم، وتحديد وظائفهم، وترفيع درجاتهم، وما يشابهها من المهمات الإدارية، وفقاً للقانون.

– ضمن مسئوليات وزير العدل في البلاد، أن يتحمل كل الأمور المرتبطة بالعلاقات بين السلطة القضائية والسلطتين التنفيذية والتشريعية. ويُنتخب وزير العدل من بين الأشخاص الذين يقترحهم رئيس السلطة القضائية على رئيس الجمهورية. يشار إلى أنه يمكن لرئيس السلطة القضائية أن يوكل إلى وزير العدل الصلاحيات المالية والإدارية وجميع الصلاحيات التي تخص تعيين الموظفين داخل وزارة العدل، باستثناء القضاة.

- المحكمة العليا للبلاد، يتم تشكيلها، بحسب القواعد التي يضعها رئيس السلطة القضائية. ومن مهماتها أن تتولى الإشراف على صحة تنفيذ القوانين في المحاكم، وتوحيد الإجراءات القضائية، وأدائها مسؤولياتها القانونية.

من الجدير بالذكر، أن رئيس المحكمة العليا والمدعي العام للبلاد يجب أن يكونا مجتهدين عادلين، وعارفين بشؤون القضاء، ويعينهما رئيس السلطة القضائية بالتشاور مع قضاة المحكمة العليا. وتكون مدة تولّي كل منهما منصبه خمس سنوات.

مجلس خبراء القيادة :

تأسس مجلس خبراء القيادة أواخر عام ١٩٨٢م، ويتألف من ٨٨ عضواً، لدورة انتخابية مدتها ٨ سنوات، وبواقع نائب عن كل مدينة يزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة. ومن مهماته تعيين المرشد الإيراني، وعزله، إلى جانب الاجتماع دورياً والنظر في تقارير بشأن ممارسة المرشد ومهاماته، وذلك وفق المادة ١١٠ من الدستور.

القسم الثاني

النصوص الفارسية

أولًا: إيران من السلاجقة إلى التيموريين

سلجوقیان

سَلجوقیان (سَلاجقه، آل‌سلجوق)، نام دودمانی ایرانی وترک‌تبار بود که در سده‌های(۵ و۶هجری) بر بخش‌های بزرگی از آسیای غربی وایران فرمانروایی داشتند. سلجوقیان در اصل غزهای ترکمان بودند که در دوران سامانی در اطراف دریاچه خوارزم (آرال)، سیردریا وآمودریا می‌زیستند. سلجوقیان که به اسلام رو آورده بودند، پس از ریاست سلجوق بن دقاق، نام سلاجقه را به خود گرفتند وبه سامانیان در مبارزه با دشمنانشان بسیار یاری کردند. پسر سلجوق به نام میکاییل که بعد از مرگ او ریاست این طایفه را در دست گرفت سه پسر داشت به نام‌های بیغو، چغری وطغرل. ابتدای سلطنت سلجوقیان را باید با خطبه سلطنت برای رکن الدین ابوطالب طغرل بن میکاییل بن سلجوق در تاریخ شوال ۴۲۹ هجری در نیشابور دانست. او در ۴۵۵ هجری بعد از۲۶ سال سلطنت در سن هفتاد سالگی در ری در گذشت ودر مکانی که به برج طغرل (در ابن بابویه) معروف است دفن شد. در زمان سلطان ملکشاه سلجوقی این قلمرو به اوج اقتدار رسید. این محدوده از شرق تا ماوراءالنهر واز غرب تا دریای مدیترانه امتداد یافت. واپسین شاه این سلسله طغرل سوم بود که در پی مناشقات پی در پی با سلطان تکش خوارزمشاه شکست خورد وبه قتل رسید وبا مرگ او، سلسله سلجوقیان در ایران فرو پاشید. سلجوقیان زبان فارسی را زبان رسمی ودرباری قرار دادند ووزیران این دوره به ویژه عمیدالملک کندری وخواجه نظام‌الملک توسی خدمات مهمی به این زبان وعمران وآبادانی شهرها وگسترش فنون ودانش‌ها نمودند. بنیادگذاری مدارس نظامیه، در نیشابور واصفهان وایجاد کتابخانه‌ها وخانقاه‌ها ومدارس گوناگون از

کوشش‌های فرهنگی این دوره‌است. نویسندگان ومشاهیری مانند: فخر رازی، محمد غزالی، ابوالفرج بنجوزی، شیخ شهاب الدّین سهروردی و امثال آنان نیز در این روزگار می‌زیستند. زبان فارسی در این دوره رواج کامل یافت وبیشتر پادشاهان سلجوقی در گسترش فرهنگ وتمدن ایرانی وسخن فارسی وتشویق وترغیب شعرا ونویسندگان فارسی‌زبان کوشش فراوان کردند. گروهی از شاعران این دوره همچون امیرالشعرا معزی، انوری وخاقانی ونظامی در شمار استادان وپیشکسوتان بزرگ شعر وادب فارسی قرار گرفتند وسخن‌سرایان ونویسندگان دیگری که در این دوره از پشتیبانی شاهان ووزیران سلجوقی برخوردار بودند عبارتند از: ابوالفضل بیهقی، خواجه عبدالله انصاری، اسدی طوسی، حکیم ناصر خسرو، عمر خیام، سنایی، جمال الدین عبدالرزاق اصفهانی ودیگران... شعر فارسی در این روزگار پیشرفت‌هایی کرد وسبک ویژه‌ای به نام سبک عراقی در آن پدید آمد.

تاریخ سیاسی سلجوقیان

سلجوقیان تیره‌ای از ترکان غز مسلمان بودند که در زمان قدرت سامانیان در سواحل شرقی دریای خزر وسرزمین‌های اطراف دریاچه آرال سکونت داشتند. نام سلجوقیان از نام یکی از رئیسان آنان گرفته شده که در عهد سامانیان می‌زیست. نوادگان همین سلجوق بودند که ورود به مرزهای پادشاهی سامانیان وسپس غزنویان را آغاز کردند ودر جنگ دندانقان (۴۳۱ق) سپاهیان سلطان غزنوی را شکست دادند وورود به سرزمین‌های داخلی ایران را آغاز کردند. رهبری اتحادیه سلجوقیان را طغرل بن میکائیل برعهده داشت که در سال۴۲۹ بر جانشین سلطان مسعود غزنوی پیروز شد وسلطنت سلجوقیان را بنیان گذارد. سلجوقیان به تصرف سرزمین‌های

داخلی وغربی ایران ادامه دادند وبا شکست باقی‌مانده آل بویه در ایران مرکزی وغربی وعراق در سال ۴۴۷ طغرل وارد بغداد مرکز خلافت عباسی شد .

دوران سلطنت دو جانشین طغرل یعنی آلب ارسلان و ملکشاه دوران اوج قدرت سلجوقیان وپیشرفت اقتصادی وآبادانی قلمروی آنان بود. قلمرو سلجوقیان در زمان آلب ارسلان دومین سلطان سلجوقی در شرق تا رود سیحون ودر غرب تا دریا مدیترانه گسترش یافت. آلب ارسلان در سال ۴۶۳ در نبرد ملازگرد امپراتور روم شرقی را شکست داد واسیر کرد .

با اینکه تقریباً درگیری بر سر جانشینی سلطان درگذشته بین سلجوقیان خیلی زود آغاز شد، وحدت سلطنت بر متصرفات سلجوقیان تا زمان مرگ سلطان ابو شجاع محمد (۵۱۱ق.) ادامه یافت؛ اما بعد از مرگ سلطان محمد قلمروی سلجوقیان در عمل به دو پاره تقسیم شد. سلطان سنجر که از زمان سلطان محمد بر خراسان حکومت داشت و قدرت فراوانی به دست آورده بود، بعد از مرگ سلطان محمد خود را جانشین او دانست؛ اما در شرق ایران فرزند سلطان محمد، یعنی محمود ادعای جانشینی داشت. از این پس حکومت بر مناطق شرقی ایران از ری تا ماورالنهر در دست سنجر وجانشینان او وحکومت در شرق ایران وعراق در دست فرزندان سلطان محمد باقی ماند که به آنان سلاجقه عراق گفته می‌شود . از سوی دیگر از دوران وفات سلطان محمد برکیارق برخی از امرای سلاجقه در نواحی مختلف کم‌کم قدرت مستقلی برای خود به دست آوردند وحکومت‌های محلی در دل قلمرو سلجوقیان به وجود آمد. از جمله سلاجقه کرمان که از سال ۴۳۳ق. به استقلال در کرمان حکومت کردند. قدرت محلی

اتابکان نیز به تجزیه امپراتوری سلجوقی سرعت بخشید همانند: حکومت اتابکان دمشق(۴۹۷-۵۴۹)، اتابکان موصل(۴۶۸-۵۲۱)، اتابکان آذربایجان (۵۴۱-۶۲۶) واتابکان فارس(۵۴۳-۶۸۴) در خوارزم نیز شاخه مستقلی از امرا به نام خوارزمشاهان (۴۹۰-۶۲۸) بر سر کار آمدند که بعداً حکومت سلجوقیان را از شرق ایران برچیدند.

خوارزمشاهیان

خوارزمشاهیان نام خاندان شاهنشاهی ترک تبار ایرانی است. خوارزمشاهیان در اصل غزهای ترکمان بودند که در اطراف دریاچه خوارزم (آرال)، سیردریا و آمودریا می‌زیستند که از سال ۴۹۱ تا سال ۶۱۶ هـ.ق، برابر با ۱۰۹۸ تا ۱۲۱۹ میلادی بر ایران فرمانروایی کردند. نوشتکین غرچه نیای بزرگ خوارزمشاهیان، غلامی بود از اهالی غرجستان که توسط سپهسالار کل سپاه خراسان در زمان سلجوقیان خریداری شد. این غلام رفته رفته در دوران فرمانروایی سلجوقیان به سبب استعداد سرشار و کفایتی که از خود نشان داد به زودی مدارج ترقی را طی کرد و به مقامات عالی رسید تا این که سرانجام به امارت خوارزم برگزیده شد. نوشتکین صاحب ۹ پسر بود که بزرگ‌ترین آنها، قطب الدین محمد نام داشت. پس از نوشتکین، فرزندش محمد از جانب برکیارق به ولایت خوارزم رسید «۴۹۱ ق / ۱۰۹۸ م» و سلطان سنجر نیز بعدها او را در آن سمت ابقاء کرد. بدین ترتیب دولت جدیدی بنیانگذاری شد که بیش از هر چیز برآورده ودست پرورده سلجوقیان بود. قطب الدین محمد به مدت سی سال تحت قیومیت و اطاعت سلجوقیان امارت کرد.

پسرش اتسز هم که بعد از او در ۵۲۲ ق/ ۱۱۲۸م به فرمان سنجر امارت خوارزم یافت، از نزدیکان درگاه سلطان سلجوقی بود. هر چند بعدها کدورتی بین وی و سلطان سنجر پدید آمد که به درگیریهای متعددی هم منجر شد، اما تا زمان حیات سلطان سنجر، اتسز نتوانست به توسعه قلمرو خوارزمشاهیان کمک چندانی بکند.چون اتسز پیش از سنجر وفات یافت، پسرش ایل ارسلان «۵۵۱ ق / ۱۱۵۶ م» امیر خوارزم شد. اما در زمان او که سلطان سنجر نیز وفات یافته بود، نزاع داخلی سلجوقیان، امکانی را فراهم آورد تا ایل ارسلان به قسمتی از خراسان «۵۵۸ ق/ ۱۱۶۳م» وماوراءالنهر «۵۵۳ ق/ ۱۱۵۸ م» که هر دو در آن ایام دچار فترت بودند، دست یابد و به این ترتیب نزدیک به پانزده سال به عنوان خوارزمشاه حکومت کند. بعد از ایل ارسلان، منازعاتی که بین پسرانش سلطانشاه وعلاءالدین تکش برای دستیابی به فرمانروایی ولایات بروز کرد، بارها موجب رویارویی نیروهای این دو برادر شد، تا این که عاقبت با استیلای تکش این درگیریها به پایان رسید. در زمان تکش تمامی خراسان، ری وعراق عجم، یعنی آخرین میراث سلجوقی به دست خوارزمشاهیان افتاد. غلبه تکش بر تمام میراث سلجوقی، نارضایتی خلیفه بغداد را به دنبال خود داشت که اثر این ناخرسندی وعواقب آن، بعدها دامنگیر محمد بن تکش شد. با درگذشت علاءالدین تکش «رمضان۵۹۶ق/ژوئن ۱۲۰۰م»، پسرش محمد خود را علاءالدین محمد خواند وبه این ترتیب سلطان محمد خوارزمشاه شد. در طی همان ایامی که محمد خوارزمشاه قدرت خود را در نواحی شرقی مرزهای ماوراءالنهر گسترش می‌داد و خلیفه بغداد – الناصر الدین بالله – برای مقابله با توسعه قدرت او در جبال

وعراق سرگرم توطئه بود. در آن سوی مرزهای شرقی قلمرو خوارزمشاهیان ، قدرت نو خاسته‌ای در حال طلوع بود. مغولان که در آن ایام با ایجاد اتحادیه‌ای از طوایف بدوی یا بدوی گونه، خود را برای حرکت به سوی ماوراء النهر آماده می‌ساختند، اهمیت وقدرتشان در معادلات ومجادلات سیاسی سلطان خوارزمشاه وخلیفه بغداد، نه تنها جایگاهی پیدا نکرد بلکه به حساب هم آورده نشد. در نتیجه فاجعه عظیمی که تدارک دیده می‌شد، از دید دو قدرت ونیروی مهم آن پوشیده ماند به طوری که هنگامی که دهان باز کرد، نه از سلطنت پر آوازه خوارزم چیزی باقی گذاشت ونه از دستگاه خلافت. آنچه باقی‌ماند، ویرانی، تباهی، کشتارهای دسته جمعی، ودر یک کلام، ویرانی یک تمدن بود. هنگامی که چنگیز خان به تختگاه خویش باز می‌گشت، بخش عمده ایران به کلی ویران شده و بسیاری از آثار تمدنی آن نابود شده بود.

اسماعیلیان در ایران

حسن صباح وپیدایش نزاریان در ایران

مورد اینکه چگونه اسماعیلیه راه به ایران باز کرد، باید گفت پس از شکل گیری دولت فاطمی، این دولت اقدام به فرستادن داعیان به مناطق مختلف کرد، از آن جمله می توان از ایران نام برد. به عنوان مثال می توان از ابوحاتم رازی، ابو عبدالله نسفی، حمیدالدین احمد کرمانی و... نام برد، البته از داعیان بزرگ اسماعیلی می توان به ابو یعقوب سجستانی اشاره کرد که در واقع ادامه دهنده تفکر فلسفی استاد خود ، نسفی بوده است. او واستادش مناظرات پرارزشی با فلاسفه عصرشان داشته اند.

واما حسن صباح او که آغازگر حرکت اسماعیلیه نزاری در ایران است، بنا بر گفته خودش، زادگاهش شهر شیعی نشین قم بوده (هر چند وی در اصالت اهل حمیر در یمن می باشد)، ولی به علت تکاپویش در طلب دانش به شهر ری نقل مکان می کند و در آنجا به تحصیل علم می پردازد تا هم بتواند در دیوان رسالت برای خویش شغلی به دست آورد وهم به معلومات وسیعتری دست پیدا کند. حسن صباح در لباس تاجران در سال ٤٧٩ یا ٤٨١ هـ ق به مصر رفته وبا مستنصر ملاقات می کند وبه او می گوید که به دعوت او می پردازد. حسن به مدت یک سال ونیم در مصر ماند، پس از فوت مستنصر در سال ٤٨٧هـ ق، اختلاف بر سر جانشینی او بین پسرانش رخ داد، امیر الجیوش بدر از آن جهت که پدرزن مستعلی بود می خواست مستعلی خلیفه گردد ومی دانست که حسن بر اساس مذهب اسماعیلی بر دعوت نزار می باشد و از او طرفداری می کند، تصمیم به اخراج او از مصر گرفت. با اخراج حسن از مصر، دوران نوین کوشش حسن صباح آغازگردید. او بیش از ده سال با اسماعیلیان در ارتباط بوده، به سوریه ومصر سفر کرده ویک سال ونیم هم در پایتخت فاطمیان زیسته بود. دوره انباشتن دانش سیاسی ومذهبی پایان یافته وزمان تلاش سیاسی وتبلیغ فرارسیده بود. در این هنگام فرمانروایان سلجوقی در ایران، از فعالیت ها وارتباطات او با اسماعیلیان آگاه شده وبه دنبال او می گشتند. حسن که به ایران آمده بود به اصفهان رفت ودر خانه یکی از هوادارانش پنهان شد . در این هنگام تمام توجه او به قلعه الموت بود زیرا آن را دژ مناسبی برای شروع جنبش نزاری می دانست . در آن زمان مهدی علوی از طرف سلطان ملکشاه، حاکم بر آنجا بود ، حسن توانست وی را

کنار زده وخود بر الموت در سال ٤٨٣ق مستقر گردد . بعد از استقرارش، به عنوان رهبر اصلی نزاریان تعالیم جدیدی را مطرح ساخت که مقداری با تعالیم فاطمیون تفاوت داشت؛ از این رو دعوت حسن صباح، دعوت جدیده نام گرفت. وی شروع به فرستادن داعیان به اطراف واکناف نمود .

در سال ٤٨٥ ق، جنگ های سلجوقیان با الموتیان شروع شد ، چنانچه غلام سلطان ملکشاه به نام «آلتون تاش» که رودبار در وجه اقطاع او بود به قلعه حمله می کرد و از اتباع حسن هر که را می دید می کشت ، از آن جهت که ذخیره ای در قلعه نمانده بود کار بر حسن سخت شد که در این هنگام مرگ آلتون تاش موجب قوت او شد . ولی چندی بعد «ارسلان تاش» به دفع حسن پرداخت و آن قدر پیشروی کرده بود که نزدیک بود قلعه را بگیرد، در این هنگام دهدار ابوعلی اردستانی از قهپایه طالقان و ری ، ٣٠٠ نفر را برای کمک به سوی حسن فرستاد که در نتیجة شبیخون به لشکر ارسلان تاش پیروز شدند . در این مدت حملات زیادی به نزاریان در این مدت شد ولیکن در هر بار با شکست مواجه شده ونزاریان جان سالم به در بردند .

فدائیان اسماعیلی

نزاریان به دلیل نداشتن توان نظامی در برابر سلجوقیانی که دارای قدرت نظامی غیرمتمرکز وبسیار برتر بودند، سیاست مخوف ترور وقتل های بزرگ به دست فدائیان اسماعیلی را برگزیدند. این خط مشی بسیار مؤثر واقع شد ودر مدت کوتاهی، بیشترین قتلهای سیاسی مهم، دست کم در سرزمین های مرکزی اسلامی، به خنجر فدائیان نزاری، که به ندرت جان سالم از معرکه به در می بردند نسبت داده شده است . اولین فردی که

ترور شد خواجه نظام الملک، وزیر مقتدر ملکشاه سلجوقی بود. قتلهای سرزمین های شرقی دوره الموت، نقش مهمی در شکل دادن به عقاید ونظریات ضد نزاری در جامعه مسلمین داشت، از طرفی دیگر گزارش ها واخبار خصمانه وغلط درباره اسقاط ونسخ ادعایی شریعت نیز به پدید آمدن تصویری منفی از نزاریان شدت بخشید. طرز انتخاب کاردزن‌های اسماعیلی که فدائیان خوانده می شدند روشن نمی باشد ودر تاریخ مطلبی در این باره وجود ندارد . تنها به همین مقدار یافت می شود که حسن صباح برای رسیدن به هدفش راهی کوتاه را برگزید وآن از بین بردن بزرگانی از علماء وامراء بود که بر ضد اسماعیلیان اقدام می کردند، زیرا با این تدبیر، رعب ووحشتی در دل آنان ایجاد کرده وآنها را از دادن فتوا بر ضد اسماعیلیه وبدنام کردن آنان در میان مردم و از شدت عمل در برابر این فرقه باز می داشت .

حملهٔ مغول به ایران

حملهٔ مغول به ایران به سه لشکرکشی مغول به ایران در فاصله سال‌های ۱۲۱۹ تا ۱۲۵۶ میلادی (۶۱۶ تا ۶۵۴ هـ.ق) اشاره دارد. این لشکرکشی‌ها به حکومت خوارزمشاهیان، اسماعیلیه الموت وحکومت‌های محلی اتابکان سلجوقی خاتمه داد وبه ایجاد حکومت ایلخانان مغول به جای آن‌ها در ایران منجر شد. چنگیز خان پس از چیره شدن بر چین وبخشی از آسیای میانه با خوارزمشاهیان همسایه شد. خواسته چنگیز خان بازکردن راه بازرگانی میان قلمرو خوارزمشاهیان وچین بود. او در ابتدا، نسبت به سلطان محمد خوارزمشاه ادب واحترام را رعایت نمود، ولی این پادشاه با تدابیر خصمانهٔ خود موجبات غضب خان مغول را فراهم

کرد وهجوم او را به ممالک اسلامی باعث گردید. حملهٔ مغول در پی قتل۴۵۰ بازرگان مغولی در شهر اترار آغاز شد. شروع نخستین لشکرکشی در سپتامبر سال ۱۲۱۹م (پائیز۵۹۸/۶۱۶ ق) وبه فرماندهی چنگیز خان بود. سلطان محمد خوارزمشاه در همان سال با سپاهی به مبارزه با مغول برآمد، ولی از جوجی پسر چنگیز شکست خورد و از آن پس تصمیم گرفت که از مواجهه با لشکر مغول خودداری کند. چنگیز برای دستگیری سلطان محمد دو نفر از بزرگان لشکر خود را به تعقیب او فرستاد. سال بعد سلطان محمد در بستر مرگ، جلال‌الدین خوارزمشاه را به جانشینی خویش برگزید و جلال‌الدین بیش از ۱۰ سال پس از مرگ پدر در برابر سپاهیان مغول ایستادگی کرد. دومین لشکرکشی در سال ۶۲۶ ه.ق به امر اوگتای قاآن و به فرماندهی جرماغون نویان بود. این لشکرکشی به قصد پایان دادن به مقاومت جلال‌الدین خوارزمشاه وتسخیر مناطقی که تحت سلطه خوارزمشاهیان باقی‌مانده بود، انجام شد. در پایان این دو حمله مغولان به سلطنت خوارزمشاهیان بر ایران پایان دادند وبسیاری از شهرهای ایران مانند طوس ونیشابور به کلی ویران شد ومردم آن قتل‌عام شدند. خط سیر تخریب و ویرانی فقط منحصر به شمال وشمال شرقی ایران نبود، در مرکز وغرب ایران نیز شهرهای دامغان، ری، قم، قزوین، همدان، مراغه و اردبیل هدف حمله قرار گرفتند. سومین لشکر کشی در سال۱۲۵۴میلادی(۶۵۴ ه.ق) چهل سال پس از شکست وفرار سلطان محمد خوارزمشاه، با هجوم هولاکو خان به ایران آغاز شد. هلاکوخان در این لشکرکشی تسخیر قلعه‌های اسماعیلیه را اولین هدف خود قرار داد .رکن‌الدین خورشاه آخرین خداوند الموت در تسخیر این

قلعه‌ها به هلاکو کمک‌هایی نیز کرد؛ اما، سرانجام به دنبال تسخیر این قلعه‌ها، خود او نیز کشته شد. بدین ترتیب دولت خداوندان الموت به پایان رسید. سپس هلاکو در سال ۱۲۵۸ میلادی(۶۵۶هـ.ق) به بغداد لشکر کشید وبا سقوط بغداد، خلافت عباسیان پس از حدود ۵۱۸ سال به پایان رسید. پس از این پیروزی بود که حاکمان مغول کوشیدند تا به جای ویرانی وقتل‌عام مردم بر آنان حکومت کنند.

دفاع مردم در حملهٔ نخست مغولان نشان از آن دارد که در حملهٔ نخست شهرهای مختلف در مقابل حملهٔ مغول به شدت مقاومت کردند، اما نفاق سران کشوری ولشکری با یکدیگر ونداشتن یک فرماندهٔ مدبر وفرار خوارزمشاه وبی‌انضباطی، نگذاشت که این همه مدافعات به نتیجه‌ای قطعی منتج شود. حمله مغول بیش از خسارت‌های اقتصادی، صدمات فرهنگی وروحی برجای گذاشت. در این حمله مراکز علمی وفرهنگی مانند کتابخانه‌های بسیاری سوزانده و ویران شد. شهرهای بزرگ بسیاری از بین رفت وبه دنبال آن مراکز رشد وپرورش فکری به حداقل رسید. کاهش جمعیت وبه اسارت گرفتن وفرستادن صنعتگران ایرانی به مغولستان باعث رکود اقتصادی در ایران گردید وتخریب قنات‌ها وآبراهه‌هایی که در طول قرن‌ها ساخته‌شده‌بودند، سبب رکود کشاورزی شد. پس از حملهٔ مغول شماری از دانشمندان که در این حمله جان سالم بدر برده بودند، به مناطق امن مانده از این حمله مانند آسیای صغیر و هند مهاجرت کردند. همچنین از اثرات دیگر آن، رونق تجارت در مسیر راه ابریشم بین ایران، چین وکشورهای غرب ایران بر اثر ایجاد دولت واحد مغول وامنیت راه‌ها بود .

ایلخانان

ایلخانان یا ایلخانیان نام سلسله‌ای مغول است که از سال ۶۵۴ تا ۷۵۰ه.ق. معادل۱۲۵۶ تا ۱۳۳۵میلادی در ایران حکومت می‌کردند وفرزندان چنگیز خان مغول بودند. لشکریان چنگیزخان نخستین بار در سال ۶۱۸ه.ق. معادل۱۲۲۱میلادی به خراسان حمله نمودند. چنگیزخان در سال ۱۲۲۵ میلادی به مغولستان بازگشت ودر آنجا درگذشت. سال ۱۲۵۱م. منگو یا منگل، خان بزرگ یا قاآن، بر آن شد تا با اعزام برادرانش هولاکو و قوبیلای (کوبلاخان) به ترتیب به ایران وچین پیروزی‌های مغولان را تحکیم وتکمیل کند. هولاکو با فتح ایران سلسله ایلخانیان ایران وقوبیلای با فتح چین سلسله یوان چین را بنیان نهادند. ایلخانان یعنی خانان محلی وغرض از این عنوان آن بوده‌است که سمت اطاعت ایلخانان را نسبت به قاآنان می‌رسانند واین احترام همه وقت از طرف ایلخانان ایران رعایت می‌شده‌است. فتح ایران به دست هلاکوخان پیامدهای مهمی چون پایان کار اسماعیلیان وانقراض خلافت عباسیان در پی داشت. ایلخانان در ابتدا دین بودایی داشتند اما به تدریج به اسلام گرویدند. ایلخانان مسلمان خود را سلطان نامیده ونام‌های اسلامی برگزیدند . در همان دورانی که محمد خوارزمشاه قدرت خود را در نواحی شرقی مرزها ماوراءالنهر گسترش می‌داد وخلیفه بغداد، الناصر لدین الله، برای رویارویی با توسعه قدرت او در جبال وعراق بر ضد محمد خوارزمشاه توطئه می‌کرد، در آن سوی مرزهای شرقی قلمرو خوارزمشاه، قدرت نوخاسته‌ای در حال شکل‌گیری بود که به تدریج به درون مرزها می‌خزید وخود را برای تهدید وتسخیر آماده می‌کرد. با این حال، خلیفه وسلطان در

کشمکش‌ها ومناقشات سیاسی خویش، آن را در نظر نگرفتند ویا آن قدر در محیط بسته افکار سیاسی وحشمت قدرتشان غرق شده بودند، که حضور این نیروی ویرانگر را اصلاً نمی‌دیدند ویا به عبارتی دیگر در مجموعه مناسبات سیاسی عصر، آن را وزنه‌ای به شمار نمی‌آوردند. اما این نبردی عظیم وویرانگر که از نواحی صحرای گوبی وجبال تیانشان به سوی ماوراءالنهر می‌خزید و از همان ایام فاجعه‌ای عظیم را تدارک می‌دید، دولت نوخاسته مغول بود که ظرف چند سال، هم به دولت پر آوازه خوارزم پایان داد، وهم به خلافت بغداد. پیشروی مغولان به درون ایران از جانب ماوراءالنهر مغول که در آن روزها عنوان اتحادیه طوایف تاتار، قیات، نایمان، کرائیت وتعداد دیگری از طوایف بدوی نواحی بین ترکستان، چین، وسیبری بشمار می‌رفت، پیشروی خود را از سوی مرزهای فرارود (ماوراء النهر) آغاز کرده بود. وقتی تموچین، سرکرده یک تیره از این طوایف با پیروزی بر اقوام مجاور، اندک اندک تمامی اقوام مغول را فرمانبردار ساخت واز جانب سرکردگان قبایل قوم «قوریلتای»، خان بزرگ خوانده شد. او سپس با لقب چنگیز خان، در مدت زمانی کوتاه هیبت وخشونتش مایه وحشت تمامی نواحی مجاور شد، به عنوان خان محیط یا خان اعظم، فرمانروای همه این طوایف شد. به طوری که چندی بعد نیز قبایل اویرات وقنقرات را فرمانگزار خویش کرد وبدین گونه خان اعظم سایر قبایل اطراف را به جنگ یا به صلح زیر فرمان خویش گرفت.

چنگیز خان تجارت با شاه خوارزم را وسیلهای برای برقراری رابطه بین دو دولت ساخت. به طوری که نخستین سفیر سلطان خوارزم در جلوی دروازه پکن به حضور خان رسید و بر ضرورت توسعه مناسبات تجاری بین

مغول وقلمرو سلطان تأکید کرد وآن را لازمه توسعه مناسبات دوستانه وصلح آمیز اعلام نمود. در جریان سفر هیئت پانصد نفره بازرگانی مغولان که از میان مسلمانان انتخاب شده بودند، قتلعام همگی این تجار و سؤ تدبیرهای بعدی سلطان، جنگ بین دو کشور را اجتناب ناپذیر ساخت. خان مغول در ۶۱۴ق /۱۲۱۷م، به ایران لشکر کشید. مغولان به هر دیار که وارد میشدند به کشتار نفوس، غارت اموال وویرانی کامل شهر وآبادیها میپرداختند. به نحوی که در کوتاه مدتی ماوراءالنهر، خراسان وعراق عرصه کشتار وویرانی مغولان شد ومقاومت جلال الدین منکبرنی نیز نتوانست از ادامه هجوم چنگیز خان جلوگیری کند. ده سال حضور این قوم وحشی، بخشهای عظیمی از جهان اسلام را به ویرانی و تباهی کشاند. تا این که عاقبت چنگیز در بازگشت به مغولستان در۶۲۴ ق/۱۲۲۷م، درگذشت وفاجعه عمیق انسانی را در پس این حادثه باقی گذاشت. چهل سال پس از این ماجرا، نوادگان مغول در موکب سپاه هلاکوخان دوباره به ایران آمدند. اما اینان با اعقاب خویش چنگیز خان، که به قصد تاخت وتاز آمده بودند، تفاوت بسیاری داشتند. این نسل تازه از مغولان در این مدت با ایران بیشتر آشنایی پیدا کرده واز غارتگری ووحشیگری عهد چنگیز، به مراتب معتدلتر ومجربتر به نظر میرسیدند. لشکرکشی هلاگو بر خلاف چنگیز، با طرح ونقشهای پیش پرداخته همراه بود. منازل بین راه از پیش تعیین و راه گذار لشکر آماده وحتی پلها وگذرگاه بازسازی شده بود. این بار تجربه به فرمانروایی مغول نشان داده بود که برای ایجاد یک قدرت پایدار در ایران، برچیدن بساط خلافت واسماعیلیه ضرورت دارد وآنها میبایست به جای کشتار وتخریب بیهوده وبینقشه، این دو قطب

متضاد دنیای اسلام را که به خاطر جنبه مذهبی خویش، مانع از استقرار فرمانروایی آنها در ایران به شمار میآمدند، از بین بردارد.

اباقاخان

اباقاخان دومین ایلخان از ایلخانان مغول حاکم بر ایران وبزرگترین پسر هولاگوخان. او در جمادی‌الاول ٦٣١ق/فوریه ١٢٣٤م متولد شد وروز جمعه ٣ رمضان٦٦٣ق/١٩ژوئن ١٢٦٥م به سلطنت رسید. اباقا به هنگام وفات هولاگو(١٩ربیع‌الآخر٦٦٣ق/٨ فوریه ١٢٦٥م) در مازندران بود. وفات هولاگو در کنار آب جغاتو (زرینه رود) در نزدیکی مراغه اتفاق افتاد وامرا بی‌درنگ به رسم مغول راهها را بستند تا کسی نقل وانتقال نکند وکس به دنبال اباقا که پسر بزرگتر بود فرستادند وارغون آقا را که مدبّر کارهای او بود نیز طلب کردند. یوشموت (یُشْموت) پسر دوم هولاگو از جانب پدر حاکم دربند واران بود وبه همین جهت زودتر از اباقا یعنی ٨ روز پس از مرگ پدر خود را به مراغه رسانید وچون از مشاهدهٔ اوضاع دریافت که همهٔ امرا میل به سلطنت اباقا دارند، پس از دو روز بازگشت. اباقا در١٩ جمادی الاول٦٦٣ق /٩مارس ١٢٦٥م به اردو رسید وامرای بزرگ به استقبالش رفتند. ایلکانویان وامرای دیگر مخصوصاً سکتورنویان و سونجاق (سوغنجاق) آقا بیش از همه به ولایت عهد وجانشینی اباقا گواهی دادند. اباقا مطابق رسم مغول در این گونه موارد امتناع می‌کرد ومی‌گفت بی‌اجازهٔ قوبیلای قاآن(خان بزرگ) چگونه می‌توان بر تخت نشست. سرانجام پس از اصرار شاهزادگان وامرا چنانکه مذکور شد در٣ رمضان ٦٦٣ق/١٩ ژوئن ١٢٦٥م به طالعی که خواجه نصیرالدین طوسی اختیار کرده بود. در کنار چغان ناوور (دریاچه سفید) واقع در فراهان بر تخت

نشست وهمۀ مراسمی که مغول در موقع تاجگذاری بر پای می‌دارند، دربارۀ او نیز به عمل آمد ورسماً به ایلخانی وجانشینی هولاگو برگزیده شد، اما برای رعایت ادب واحترام تا وصول ایلچیان خان بزرگ قوبیلای واعلام یرلیغ (فرمان) او به جای تخت بر صندلی می‌نشست. وچون ایلچیان قاآن یا خان بزرگ در ٦٦٩ق/١٢٧٠م برای اعلام وتأیید سلطنت او رسیدند، اباقاخان بار دیگر روز چهارشنبه ١٠ربیع‌الآخر همان سال(٢٦ نوامبر ١٢٧٠م) در موضع جغاتو تاجگذاری کرد وبر تخت نشست.

تیموریان

تیموریان یا گورکانیان ایران (٧٧١ – ٩١١هـ ق) (١٣٧٠ – ١٥٠٦م)

دودمانی مغول تبار بودند. بنیانگزار این دودمان تیمور گورکانی بود که در آسیای میانه می‌زیست وسمرقند پایتختش بود. امیر تیمور کشوری گسترده ودولتی سترگ ایجاد کرد وسرزمین فرارود (ماوراءالنهر) را به مقامی از اهمیت رسانید که تا آن زمان هیچگاه بدان پایه نرسیده بود. او مرزهای خود را نخست در سرتاسر آسیای میانه وآنگاه سرتاسر خراسان وآنگاه همۀ بخش‌های ایران وعثمانی وبخش‌هایی از هندوستان گسترد. وچون فتوحات تیمور بیشتر جنبۀ یورش وهجوم داشت تا تسخیر واقعی غالب کشورها باز به زودی از تصرف تیموریان بیرون شد. با این حال فرارود مدتی مرکز دولتی شد که بیشتر ایران وافغانستان را افزون بر ولایت ماوراءالنهر دربرگیرنده بود. هنگامی که کشورهای گسترده تیموری تجزیه یافت دورۀ هرج ومرج پیش آمد. به محض اینکه تیمور مرد، ترکان عثمانی وآل جلایر وترکمانان درصدد تصرف کشورهای ازدست‌رفتۀ خود برآمدند. بااین همه، فرزندان تیمور موفق شدند که شمال ایران را در مدت یک سده جهت خود

نگاهدارند. ولی آنان بیشتر با یکدیگر در کشمکش بودند. سرانجام شاهرخ موفق شد که مناقشات اقوام خود را تا حدی رفع وقدرت واعتبار کشور را نگهداری کند. ولی پس از مرگ او ممالکش به قسمت‌های کوچک‌تر مجزا شد وبه همین سبب صفویان وامرای شیبانی آنها را به متصرفات خود پیوست کردند. با این حال خاندان تیموری از میان نرفت ونوادگان تیمور چندی پستر فرمانروایی خود را به هندوستان بردند ودولت سلسلهٔ گورکانیان هند را بنیاد گذاردند که اروپائیان آن را امپراتوری مغولی هند یا مغول کبیر می‌نامند.

ثانياً

إيران من الصفويين إلى الجمهورية الإسلامية

صفویان

صفویان دودمانی ایرانی وشیعه بودند که در سال‌های ۸۸۰ تا ۱۱۰۱هجری خورشیدی (برابر۹۰۷-۱۱۳۵ق/۱۵۰۱-۱۷۲۲م) بر ایران فرمانروایی کردند. بنیانگذار دودمان پادشاهی صفوی، شاه اسماعیل یکم است که در سال ۸۸۰ خورشیدی در تبریز تاجگذاری کرد وآخرین پادشاه صفوی، شاه سلطان حسین است که در سال ۱۱۰۱ خورشیدی از افغان‌ها شکست خورد وسلسلهٔ صفویان برافتاد. دوره صفویه از مهم‌ترین دوران تاریخی ایران به شمار می‌آید، چرا که با گذشت نهصد سال پس از نابودی شاهنشاهی ساسانیان؛ یک فرمانروایی پادشاهی متمرکز ایرانی توانست بر سراسر ایران آن روزگار فرمانروایی نماید. بعد از اسلام، چندین پادشاهی ایرانی مانند صفاریان، سامانیان، طاهریان، زیاریان، آل بویه وسربداران روی کار آمدند، لیکن هیچ‌کدام نتوانستند تمام ایران را زیر پوشش خود قرار دهند.

صفویان، آیین شیعه را دین رسمی ایران قرار دادند. نیاکان صوفی خاندان صفویه اصالتاً شیعه نبودند بلکه آن‌ها پیرو مذهب شافعی اهل سنت بودند. تغییر آیین گروه صوفیان خاندان صفوی به گروهی نظامی- سیاسی شیعه گرا در زمان نوهٔ شیخ صفی‌الدین اردبیلی، یعنی خواجه علی آغاز شد. شاهان دودمان صفویه در زمان به شاهی رسیدنشان به زبان ترکی آذربایجانی سخن می‌گفتند اما نیاکان آن‌ها در اصل ترکیبی از نژادهای کرد، ترک، گرجی ویونانی بودند. همچنین این شاهان ادعای سیادت نیز می‌کردند. شیوه فرمانروایی صفوی تمرکزگرا ونیروی مطلقه در دست شاه بود. در این دوره روابط ایران وکشورهای اروپایی به دلیل دشمنی امپراتوری عثمانی با صفویان ونیز جریان‌های بازرگانی، (به ویژه داد وستد ابریشم از

ایران) گسترش فراوانی یافت. در دوره صفوی (به ویژه نیمه نخست آن)، جنگ‌های بسیاری میان ایران با امپراتوری عثمانی در غرب وبا ازبکها در شرق کشور رخ داد. صفویان همواره بزرگترین سد در برابر ترکان عثمانی بودند واندیشهٔ بازپس گیری مرزهای هخامنشیان واشکانیان وساسانیان را داشتند. ترکان عثمانی تا پیش از بیرون رانده شدنشان به دست شاه عباس، آذربایجان وقفقاز را به اشغال در آورده و از مردمان این سامان کشتار فراوانی کردند.

ایران در دوره صفوی در زمینه مسائل نظامی، فقه شیعه، وهنر(معماری، خوشنویسی، ونقاشی) پیشرفت شایانی نمود. از سرداران جنگی نامدار این دوره می‌توان قرچقای خان، الله وردی خان گرجی، وامام قلی خان را نام برد که هر سه از سرداران شاه عباس بودند. از فقیهان ودانشمندان نامی در این دوره حسین خوانساری، میرداماد، فیض کاشانی، شیخ بهایی وملاصدرا نام‌ور هستند. هنرمندان نامدار این دوره نیز رضا عباسی، علیرضا عباسی، میر عماد، وآقا میرک هستند. از شاعران بزرگ ونامدار این دوره می‌توان به وحشی بافقی، صائب تبریزی، محتشم کاشانی اشاره کرد.

زبان رسمی دولت صفوی، زبان فارسی بود. شاه عباس بزرگ در زمان خود زبان فارسی را در سراسر ایران به عنوان زبان میانجی تثبیت کرد. صفویان، زبان فارسی را برای اداره بهتر ایران به عنوان زبان نخست کشور ایران برگزیدند و کارهای پادشاهان صفوی همچنین باعث تثبیت و تقویت بیشتر زبان فارسی در خاور اسلامی شد. همچنین تمام نسک‌های تاریخی در دورهٔ صفوی به زبان فارسی نگاشته شده‌است. با وجود رسمی بودن زبان فارسی، درباریان صفویه از زبان محلی خود (ترکی آذربایجانی) بهره

می‌بردند. همچنین شاه‌عباس خود اشعاری به ترکی سروده‌است. همزمان با دوره صفویه زبان فارسی در اوج گستردگی خود قرار داشت. فارسی، زبان رسمی گورکانیان هند (همسایه خاوری ایران) بود و شاعران پارسی‌گوی بزرگی از آن برخاستند. در باختر ایران (آسیای صغیر) که زیر فرمان امپراتوری سنی مذهب عثمانی ورقیب راستین صفویان جای داشت نیز مورد بهره بود. بیشتر سخن‌وران ترک بدان آشنا بوده وغزل وشعرهای کوتاه فارسی می‌سرودند.

هنر ومعماری دورهٔ صفوی

هنر دورهٔ صفوی از دوران درخشان هنر ایران است. هنر این دوره در بسیاری از زمینه‌ها، ادامهٔ دوران طلایی هنر دربار تیموریان است. هنر ایران در این دوره در زمینه‌های معماری، نگارگری، خوشنویسی، قالی‌بافی، فلزکاری، سفالگری، پارچه‌آرایی و ... نمایانگر می‌شود.از لحاظ معماری تعداد بیشتری از عمارات دوران صفوی در مقایسه با بناهای دوران‌های دیگر ایران، باقی مانده‌است. اما همین امکان دسترسی همگانی به آنها باعث شده کمتر توجه تخصصی به خود جلب کنند. اصطلاح صفوی به‌منظور کاربرد آن در زمینهٔ معماری چندان روشنگر نیست. هنوز نمی‌توان نوع خاصی از پلان کف، سازمان‌بندی فضایی، ترکیب بندی نمای پیشین، مقرنس، نیمرخ‌های قوسی یا طاق‌بندی را بدان اطلاق کرد.

عصر صفوی، عصر کمال وشکوفایی نبوغ معماری وشهرسازی در ایران است. زیباترین وبا شکوه ترین آثار معماری ایران در همین دوره توسط معماران خلاق وهنرمندانی چون محمدرضا وعلی اکبر اصفهانی آفریده شد. معماری دوره صفوی تکمیل وتعدیل مفهوم فضایی دوره تیموری

است. اگرچه بیان دراماتیک وسیمای افسانه‌ای معماری دوره تیموری قوی‌تر از معماری صفوی است. نما در معماری صفوی همچون صحنه آرایی تئاتر است. نما در اغلب موارد همچون ماسکی است که بر چهره ساختمان کشیده شده وعناصر اصلی ساختمان را پنهان می‌کند. نمای دوره صفوی دقیق، پرکار ومرتبط با ساختار هندسی است که در تناسب با اندازه‌های افقی بنا طراحی شده است. از ویژگیهای مهم در شیوه معماری این دوره ، علاوه بر استحکام وزیبایی فرم، درخشش بیان است. در آثار این دوره تابش رنگ ونور، وجذابیت سطوح وشکوه چشمگیر آنها، احساس زیبائی خیره کننده ای در بیننده ایجاد می کند وطنین رنگها وسطوح مکرر کاشیهای درخشان به منظره ای شفاف، مجرد وروحانی تبدیل می شود. بناهای این دوره باز هم دارای طرح کلی چهار ایوانی است البته به ساخت ایوان های عظیم با ابعاد بزرگ توجه بسیار شده است. در ابنیه مذهبی کاشی های لعاب دار، معرق وهفت رنگ در تزیین دیواره های خارجی وداخلی بنا، طاق ها، مناره ها، گنبدها ومحراب ها استفاده شده است. کتیبه های نسخ وثلث سفید ودرخشان، در طاقچه ها به کار رفته ونور ورودی از طریق پنجره های تعبیه شده در ساقه گنبد حالتی روحانی به فضا می بخشد. در بناهای ییلاقی تزئینات چوبی نقش اصلی را به عهده داشته وبر روی آن تذهیب کاری ونقاشی های لاکی استفاده شده است.

معماری این دوره از لحاظ وسعت و کارآیی ، بسیار متنوع است. و در تمامی ابعاد حیات فرهنگی، اجتماعی و اقتصادی مردم حضوری زنده و پویا دارد. باشکوهترین مساجد، عظیمترین میدانها، زیبا ترین پلها وخیابانها، بزرگترین بازارها، مدرسه ها، کاروانسراها و.. در این عصر ساخته شد.

وهمه در نوع خود در اوج کمال هنری، استحکام وکارآیی وبعضی چنان باشکوه وزیبا وکامل، که گاهی نمی توان باور کرد که انسانی ناچیز آن را پدید آورده باشد و براستی چه چیزی جز عشق و آسمان و درک عمیق زیبایی می تواند اینهمه را پدید آورده باشد؟ واصفهان را اصفهان کرده باشد؟ وشاید تنها بتوانیم این گفته پیرلوتی نویسنده فرانسوی را تکرار کنیم که:

اصفهان نه تنها آئینه تاریخ تمدنی کهنسال است، بلکه آئینه خلاقیت بشر است. اصفهان خود به تنهایی کهکشانی است که دست یافتن به ژرفای زیبایی وعظمت آن ممکن نیست.

در این دوره محور خیابان‌ها ومسیرهای جدید، شطرنجی و محورهای اصلی بر اساس الگوی باغ ایرانی وبسیار متفاوت با الگوهای شناخته شده شهرسازی اسلامی ساخته شدند. تمام عناصر شهری بر پیوستگی بدنه فضای شهری تاکید می کنند. بناهای خاص اصفهان در این دوره اولین گام مهم به سوی نوعی معماری شهری در دوران اسلامی ایران هستند.

افشاریان

افشاریان نام دودمانی ایرانی(۱۱۶۳-۱۱۴۸قمری/۱۷۹۶-۱۷۳۶میلادی) واعضای یک سلسله ترک‌تبار بودند که بر ایران فرمانروایی کردند. بنیان‌گذار این دودمان نادرشاه افشار بود. او در سال ۱۰۶۶ خورشیدی در ایل افشار در درگز در شمال خراسان به دنیا آمد. این ایل که از ترک‌های اوغوز بود که به دو شعبه بزرگ تقسیم می‌شد: یکی قاسملو ودیگری قرخلو؛ نادر شاه افشار از شعبه اخیر بود. طایفه قرخلو را شاه اسماعیل از آذربایجان به خراسان کوچاند ودر شمال آن سرزمین، در نواحی ابیورد ودرگز وباخرز تا حدود مرو جای داد؛ تا در برابر ازبکان و ترکمانان

مهاجم سدی باشند. تعداد بسیاری از این ایل‌ها در زمان شاه عباس اول در ایل شاهسون ادغام گشتند. نادر هنوز به ۱۸ سالگی نرسیده بود که همراه با مادرش در یکی از یورش‌های ازبکهای خوارزم به اسارت آن‌ها در آمد. بعد از مدت کوتاهی از اسارت گریخته وبه خراسان برگشت ودر خدمت حکم‌ران ابیورد باباعلی بیگ بود که به صورت تفنگچی در می‌آید. او پس از مدتی به سمت ایشیک آقاسی باشی در دربار کوچک بابا علی ترقی می‌کند. از مهم‌ترین دلاوری‌های نادر در نزد بابا علی در جنگ با ترکمانان یموت به سرکردگی شخصی به نام محمد علی روباه بود که سرانجام ترکمانان شکست خوردند و ۱۵۰۰ نفراز افراد محمد علی روباه اسیر شدند. بابا علی پس از این نبرد با ازدواج با مادر بیوه نادر روابط خود را با او تحکیم بخشید ونادر با ازدواج با دختر بابا علی روابط خود را با او نزدیک‌تر کرد. نتیجه این نزدیکی‌ها تسلط نادر بر دژ کلات در خراسان در سال (۱۱۳۴ه.ق) بود.

در این هنگام افغان‌های غلزایی به رهبری میروویس افغان در قندهار شورش کردند. مقارن شورش افاغنه غلزایی در قندهار، افاغنه ابدالی که دشمنی دیرینه‌ای با غلزائیان داشتند نیز شورش وهرات را تصرف کردند. بابا علی نیز در جنگ با ابدالی‌ها کشته شد(۱۱۲۹ه.ق). پس از بابا علی، فرزندش قربان‌علی به قدرت رسید اما به دلیل بیماری قدرت را به نادر، شوهر خواهرش واگذار کرد. پس از مرگ میرویس، محمود افغان قدرت را در دست گرفت و علیه حکومت مرکزی یاغی شد و از راه کویر اصفهان را تصرف کرد. با سقوط اصفهان وقتل شاه سلطان حسین، پسر او به نام شاه تهماسب دوم صفوی که از اصفهان به قزوین گریخته بود

خود را پادشاه ایران خواند (۱۱۳۵هـ.ق). نادر عاقبت توانست افاغنه را در مهمان‌دوست، درمخوار، مورچه‌خورت شکست دهد. پس از دفع شر افاغنه، طهماسب فرمان ایالات خراسان، کرمان و مازندران را به او داد وهمچنین دو خواهرش را به ازدواج او در آورد. نادر در ۱۷ ربیع الاول ۱۱۴۵هـ.ق طهماسب را از سلطنت عزل وکودک شیرهخواره او را به عنوان عباس سوم جانشین او کرد وخود به عنوان نائبالسلطنه، زمامدار واقعی ایران شد.

زندیان

زندیان یا زندیه نام سلسله ای ایرانی ولر تبار است ومیان فروپاشی افشاریان تا برآمدن قاجار به درازای چهل و شش سال در ایران بر سر کار بودند. این سلسله به سردمداری کریم خان زند از طایفه زند از سال۱۱۶۳ هـ.ق در ایران به قدرت رسید. کریم‌خان، ایلخان طایفه زند بود. پدرش «ایناق خان» نیز ایلخان بود. کریم خان در آغاز یکی از سرلشکران سپاه نادرشاه افشار بود که پس از مرگ نادر با همراهانش بازگشت.او فردی مدبر بود.او را از لحاظ برخورد با مردمان نیکوترین فرمانروا پس از حمله اعراب به ایران دانسته‌اند. کریم خان خود را وکیل الرعایا نامید واز لقب شاه پرهیز کرد. او بطور موقتی ملایر را پایتخت ومقر فرماندهی خود نمود توانست بر کل ایران مسلط شود وسپس شیراز را پایتخت خود گردانید ودر آبادانی آن کوشش نمود.ارگ، بازار، حمام ومسجد وکیل شیراز از کریمخان زند به یادگار مانده است. کریمخان زند (۱۱۶۳-۱۱۹۳هـ.ق) توانست پس از فروپاشی حکومت نادرشاه افشار، تمام بخش‌های مرکزی، شمالی، غربی وجنوبی ایران را تحت حکومت خود درآورد. همچنین برادر وی، صادق‌خان زند، نیز موفق شد در سال۱۱۸۹ق. بصره را از امپراتوری

عثمانی جدا کرده و به ایران پیوست نماید واز این طریق، نفوذ ایران را بر سراسر اروندرود، بحرین وجزایر جنوبی خلیج فارس مسلم گرداند.

پس از در گذشت کریم خان زند دگرباره جانشینان او به جان هم افتادند وبا جنگ ونزاع‌های مستمر، زمینهٔ تقویت وکسب اقتدار آقا محمد خان وسلسلهٔ قاجار را فراهم آوردند. در سال ۱۲۰۹هـ.ق لطفعلی خان آخرین فرمانروای زند پس از رشادت‌های بسیار، به دست آغا محمدخان قاجار کشته شد. آغامحمدخان با به دست آوردن شهر شیراز دست به کشتار کسانی که از دودمان زند بودند زد. امروزه در استان‌های لرستان، کرمانشاه، کردستان، همدان، کهگیلویه وبویر احمد، فارس، کرمان وخراسان بازماندگان طایفه زند زندگی می‌کنند. با وجود سقوط حکومت بخش اعظمی از لرهای غرب ایران در هواداری از خاندان زند در کشمکش با دولت قاجار بودند. از جمله این مخالفان قاجار اسدخان بختیاروند بود که در زمان فتحعلی شاه قاجار با حکومت به شرط منافع ملی ایران مصالحه کرد ویکی از فرماندهان جنگی کشور در فتوحات شد.

زندیان با انگلستان دارای پیوندهای بازرگانی بودند وبرخی سران این دودمان همچون واپسین شاهشان لطفعلی‌خان برخوردهای نزدیک ودوستانه‌ای با نمایندگان این کشور داشتند. وی به شرکت انگلیسی هند شرقی پروانه زدن تجارتخانه در بوشهر را داد و تسهیلاتی بدیشان بخشید. انگلیسی‌ها پارچه‌های پشمی به ایران می‌آوردند ودر برابر کریم خان ایشان را از حق گمرک معاف نمود؛ ولی بازرگانان انگلیسی حق بیرون بردن طلا و نقره را از ایران نداشتند وناچار بودند برای بهای کالاهای خویش کالاهای ایرانی خریداری کنند. فتح بصره در سال ۱۷۷۵(میلادی) نیز از

سوی کریم خان برای از رونق انداختن بازرگانی عثمانی و رونق بخشیدن به بندرهای ایران بود چه که پنج سال پیش از آن بازرگانان انگلیسی تجارتخانه خویش را در بوشهر بسته ودر بصره برپا نموده بودند وبا چیرگی بر بصره آن‌ها چاره‌ای نداشتند جز اینکه شرط‌های ایران را در راه بازرگانی بپذیرند. هلند نیز در آن زمان هماورد بازرگانی انگلستان بود، این کشور در این زمان جزیره خارگ را اشغال کرد و آن را محور بازرگانی خویش با ایران و عثمانی قرار داد ولی دیری نگذشت که در سال ۱۷۷۶ (میلادی) راهزنی به نام میرمهنا ظاهراً به اشاره زندیان خارک را گرفت وهلندی‌ها را بیرون راند. همچنین روسیه نیز پیوندهای بازرگانی گسترده‌ای در این روزگار با زندیان داشته‌اند. در نیمه دوم سده هژدهم اروپاییان حرکت‌های استعماری خویش را در شرق آغاز کرده بودند و کریم خان از این جنبش اینان هشیار بوده و به پیروانش نیز هشدار می‌داده‌است .

قاجاریان

قاجاریه یا قاجاریان نام دودمانی است که از حدود سال ۱۱۷۴ تا ۱۳۰۴ بر ایران به مدت صد وسی سال فرمان راندند. بنیانگذار این سلسله آقا محمد خان است. وی تهران را که دهکده‌ای بود، به عنوان پایتخت انتخاب کرد. آخرین پادشاه قاجار، احمد شاه است که در سال ۱۳۰۴ برکنار شد ورضا شاه پهلوی جای او را گرفت. سردودمان قاجاریه مربوط به یکی از طایفه‌های ترک اغوز به نام ایل قاجار بود که بر اثر یورش مغول از آسیای میانه به ایران آمدند. آنان ابتدا در پیرامون ارمنستان ساکن شدند. پس از حمله مغول به ایران وبین النهرین، قاجارها نیز به همراه چند طایفه ترکمان وتاتار دیگر به شام وآناتولی کوچیدند. هنگامی که تیمور گورکانی

به این ناحیه تاخت، قبایل ترک بسیاری از جمله قاجارها ودیگر کوچندگان را به بند کشید وقصد بازگرداندن آن‌ها به آسیای میانه را داشت؛ ولی آن‌ها به خواهش خواجه علی سیاهپوش– صوفی خانقاه صفوی– آزاد شدند که این موضوع باعث شیعه شدن آنان وارادتشان به خاندان صفوی شد. پس از آن قاجارها یکی از سازندگان سپاه قزلباش شدند. ایل قاجار به دلیل کمک‌های بزرگی که به دربار صفوی می‌نمود، قدرت بیشتری یافت. شاه عباس بزرگ یک دسته از آنان را در استرآباد (گرگان امروزی) ساکن کرد. اولین انسجام ایران به شکل امروزی در زمان قاجار روی داد وکشور مدرن ایران به صورت رسمی تشکیل شد. دوران حکومت قاجاریه مصادف است با اوج انقلاب صنعتی در اروپا، وآشنایی ایران با دنیای غرب. ایران نیز تلاش کرد که مشابه بسیاری از دستاوردهای دنیای صنعتی همچون کارخانه‌های تولید انبوه، چاپخانه، تلگراف، تلفن، چراغ برق، شهرسازی مدرن، راهسازی مدرن، خط آهن،... را در ایران احداث کند. تمامی اولین اقدامات در جهت مدرنیزاسیون با کوشش‌های عباس میرزا در تبریز آغاز شد اما به علت مرگ نابه هنگام وی عقیم ماند وبعدها امیرکبیر این اقدامات را در تهران پی گرفت. مدرسه دارالفنون در زمان صدارت امیر کبیر، در هفت شعبه تأسیس شد واولین مدرسهٔ جدید ایران بود. بعلاوه دوران قاجار مصادف بود با دوران استعمار وجهانگشایی امپراطوری های مدرن. در این دوران ایران درگیر جنگ‌های متعددی شد وسالها مقابل روس‌ها وانگلیسی‌ها مقاومت کرد. با اینکه ایران در دوران قاجار بر خلاف کشورهای منطقه هرگز مستعمره نشد ولی بخش‌هایی از خاک خود را در این جنگ‌ها به‌ویژه با روسیه از دست داد. خاندان قاجار از خاندان‌های

بزرگ ایران است. اعضای این خاندان از نوادگان پسری شاهزادگان قاجار هستند. پس از اجباری شدن نام خانوادگی وشناسنامه در دورهٔ رضاشاه، هرکدام از شاخه‌های این خانواده نامی انتخاب کردند که اغلب برگرفته از نام یا لقب شاهزاده‌ای بود که نسب خود را به او می‌رساندند. اکنون بسیاری از نوادگان قاجار در ایران، جمهوری آذربایجان، اروپا وآمریکا زندگی می‌کنند.

هنر دوره قاجار:

هنر دورهٔ قاجار را باید در دوران افشار وزند پیگیر بود، هنر این دوره نشانگر سه مشخصه وویژگی بنیادی بود: جدائی روز افزون فرهنگ ایرانی از سنت عظیم اسلامی در نتیجة پیروزی تشیع و رقابت با امپراتوری عثمانی؛ ورود روزافزون عناصر هنر مردمی وعامیانه؛ وابستگی روبه رشد به تأثیرات هنر غربی. هنر این دوره با این‌که از نظر کیفی در سطح پایین‌تر از هنر ادوار پیشین قرار داشت واز حیث شکوه وعظمت قابل مقایسه وهمجنسی با آن نبود، اما ویژگی وهویت کاملاً مستقل وپالوده‌ای را به نمایش گذاشت. زیرا این هنر در تداوم منطقی خود در دورة قاجار به اوج شکوفایی رسید به گونه‌ای که بسیاری از آثار دورة افشار وزندیه را نیز به قاجار نسبت می دهند. اما به دلیل کوتاه بودن دوره افشار وزند وآشوب‌های این دوران آثار چندانی در ایران به جای نمانده است. نگارگری سبک قاجار شامل شیوة دیوار نگاره‌های دورة صفویه ونقاشی کلاسیک اروپاست؛ به ترتیبی که در آغاز، مایة ایرانی آن بیشتر، در میانه به طور مساوی از نقاشی ایرانی واروپایی تأثیر می‌گیرد ودر پایان دوره به تدریج بر نفوذ سبک اروپایی در نگارگری ایرانی افزوده می شود تا جایی که به کپیه

برداری از آثار استادان رنسانس می‌پردازند. از دورة آقا محمد خان آثار درخوری به جا نمانده است، اما در مقابل تعداد فراوانی تابلوی رنگ وروغن از دورة سلطنت فتحعلی شاه ومحمد شاه به جای مانده است. شیوة نگارگری در این دوران در آغاز مشابهت زیادی به رنگ وروغن‌های دوران زند داشت وبسیاری از نقاشان دربار زندیه در دربار فتحعلی شاه نیز نقاشی می‌کردند، بیشترین اختلاف نقاشی‌های قاجار وزند در رنگ‌های این تصاویر است. نقاشی‌های بزرگ وروغنی قاجاری در دورة فتحعلی شاه بسیار مورد توجه بود وبا دقت وحوصله زیاد پرداخته می‌شد. در سال‌های آخر پادشاهی فتحعلی شاه ، محمد علی، نقاش دربار که توسط محمد شاه برای مطالعه نقاشی اروپایی به ایتالیا سفر کرده بود، کمی پس از برتخت نشستن ناصرالدین شاه به ایران بازگشت وبه کار وتدریس در دربار مشغول شد که از شاگردان او باید از ابو الحسن غفاری نام برد. در هنگام پادشاهی ناصر الدین شاه، بسیاری از نقاشان ونگارگران مورد حمایت قرار گرفتند تا در دربار به کار بپردازند. در این هنگام تعدادی از شاگردان به اروپا فرستاده شدند .

پهلویان

رضا شاه پهلوی :

رضا پهلوی (۲۴ اسفند ۱۲۵۶– ۴ مرداد ۱۳۲۳) که با نام رضا شاه از۱۳۰۴ تا۱۳۲۰خورشیدی پادشاه ایران بود. او که بنیان‌گذار دودمان پهلوی است، پیش‌تر از۱۳۰۰ تا ۱۳۰۴وزیر جنگ واز ۱۳۰۲ تا ۱۳۰۴ نخست وزیر ایران بود. رضا شاه ابتدا تلاش ناکامی در جهت جمهوری خواهی کرد، وسرانجام در سال۱۳۰۴پس از انحلال سلسله قاجار به پادشاهی رسید. وی دوران خردسالی را در فقر گذراند. از نوجوانی به نظام پیوست ومدارج ترقی را پیمود. در۲۵ دی ۱۲۹۹ از سوی ژنرال انگلیسی ادموند آیرونساید به‌عنوان فرماندهٔ قوای قزاق منصوب و۲ماه بعد، در کودتای۳ اسفند۱۲۹۹، نیروهای قزاق به فرماندهی رضاخان، تهران را اشغال کردند. رضاخان ابتدا در مقام وزیر جنگ، بسیاری از ناآرامی‌ها وراه زنی‌ها را از بین برد. در۳ آبان ۱۳۰۲، رضاخان با فرمان احمد شاه قاجار به منصب نخست وزیری گمارده شد . اگر چه رضاخان با پشتیبانی بریتانیا وبا کودتا در عرصهٔ سیاست ایران رخ نمود، اما ارتقای وی در قدرت تا جایگاه پادشاهی، مدیون پشتکار وارادهاش در نظم دادن به امور در سمت وزارت جنگ ونخست وزیری بود .ایران در دورهٔ پادشاهی رضاشاه شاهد ایجاد نظمی نوین بود. وی نهادهای مدرن را در ایران پایه‌گذاری یا تقویت کرد که از مهمترین آن‌ها تأسیس ارتش نوین، دانشگاه تهران و احداث راه آهن جنوب به شمال می‌باشد. همزمان وی در جهت استقرار وتضمین قدرت مطلق خود، مشروطیت را در ایران نابود کرد

ومطبوعات واحزاب مستقل را سرکوب نمود ومصونیّت پارلمانی نمایندگان را گرفت. به این ترتیب، مجلس شورای ملی به نهادی مطیع وتشریفاتی در برابر ارادهٔ شاه تبدیل شد. در این راه، حزب تجدد در بدو امر از رضاشاه پشتیبانی کرد، اما نخست، جای خود را به حزب ایران نو وسپس حزب ترقی داد؛ ولی همین حزب ترقی نیز به زودی به گمان این‌که اندیشه‌های خطرناک جمهوری‌خواهانه دارد، برچیده شد. همچنین، او با به دست آوردن قدرت بلامنازع، اصلاحاتی اجتماعی را آغاز کرد که هرچند قاعده مند نبود، بیان‌گر این نکته بود که وی خواهان ایرانی بود که از یک سو رها از نفوذ روحانیون مذهبی، دسیسهٔ بیگانگان، شورش عشایر واختلافات قومی، واز سوی دیگر، دارای مؤسسات آموزشی به سبک اروپا، زنان متجدد و شاغل در بیرون از خانه، ساختار اقتصادی نوین با کارخانه‌های دولتی، شبکه‌های ارتباطی، بانک‌های سرمایه‌گذار وفروشگاه‌های زنجیره‌ای باشد. او برای رسیدن به هدفش(بازسازی ایران طبق تصویر غرب) دست به مذهب‌زدایی، برانداختن قبیله گرایی، گسترش ملی‌گرایی، توسعهٔ آموزشی وسرمایه‌داری دولتی زد. مدافعان رضاشاه او را «پدر ایران نوین» می‌دانستند. وپادشاهی وی از سوی حامیانش دیکتاتوری منور نامیده شد که آرمان‌های جنبش منور الفکری در ایران را پی گرفت، اما به تدریج، منور الفکران حامی خود نظیر محمد علی فروغی، علی‌اکبر داور وعبد الحسین تیمورتاش را از قدرت حذف کرد ونوعی استبداد فردی در حکومت را در پیش گرفت. از سویی دیگر مخالفان رضاشاه او را مسئول «بر باد رفتن مشروطیت» در ایران می‌دانند ومعتقدند اگر چه پهلوی یکم توانست نظام حکمرانی به ظاهر مدرنی تأسیس کند، اما دموکراسی، مجلس،

انتخابات و آزادی را در ایران نابود کرد .سرانجام با وقوع جنگ جهانی دوم، علی‌رغم اعلام بی‌طرفی در سال ۱۳۲۰، متفقین ایران را اشغال کردند سپس با اولتیماتوم بریتانیا، وی مجبور به استعفا، ترک ایران و واگذاری سلطنت به ولیعهدش شد. سرانجام سه سال بعد، در ژوهانسبورگ، آفریقای جنوبی درگذشت .

محمد رضا شاه :

محمد رضا پهلوی (۱۳۵۹– ۱۲۹۸) آخرین پادشاه ایران است که در ۲۶ دی ماه ۱۳۵۷ به دلیل گسترش تظاهرات خیابانی گروه‌های وسیع مردم علیه او وبه امید آنکه خروجش از ایران زمینه را برای پایدار ماندن نهاد سلطنت وحکومت پسرش فراهم سازد ایران را ترک کرد.

حکومت ۳۷ ساله محمد رضا پهلوی در ۲۵ شهریور ۱۳۲۰ وپس از خروج پدرش رضا شاه از ایران آغاز شد وناظران آن را به سه دوره تقسیم کرده‌اند: هفت سال آغازین حکومت او یکی از آزاد ترین دوران سیاسی تاریخ معاصر است. دوره دوم با ترور او در سال ۱۳۲۷ آغاز می‌شود که به طور رسمی به یک متعصب مذهبی متمایل به حزب توده نسبت داده شد. پس از ترور شاه، موج دستگیری مخالفان گسترش یافت وشاه با تاسیس مجلس موسسان اختیارات بیشتری گرفت. مخالفان این اقدام او را به معنی تکیه بیشتر به آمریکا وانگلستان تلقی کردند. پس از این تغییرات سیاسی، تقاضای ملی برای تسلط بیشتر بر نفت در ایران بالا گرفت که به نام جنبش ملی شدن نفت شناخته می‌شود وبا وجود حمایت شاه از این

تحولات در آغاز سرانجام به تنش میان شاه ونخست وزیرش محمد مصدق انجامید. این تنش سرانجام با خروج شاه از ایران وسقوط دولت مصدق در کودتای ۲۸ مرداد ۱۳۳۲ به نفع شاه حل شد. پس از کودتا سومین دوره حکومت او آغاز شد که با تاسیس سازمان اطلاعات و امنیت کشور (ساواک) همراه است. این دستگاه امنیتی که زیر نظر مستقیم شاه اداره می‌شد از سوی منتقدان به عنوان عامل اصلی سرکوب مخالفان وبسته کردن فضای سیاسی کشور همواره مورد انتقاد بود وسازمان‌های بین‌المللی ناظر بر حقوق بشر پیوسته از آن انتقاد کرده‌اند. در فاصله سال‌های ۱۳۴۰ تا ۱۳۴۴ آیت‌الله خمینی مهم‌ترین مخالف شاه بود که در سال‌های جوانی هوادار حسن مدرس بود که از مخالفان سر سخت پدر شاه به حساب می‌آمد. شاه، خمینی و هوادارانش را با تعبیر ارتجاع سیاه مورد حمله قرار می‌داد. از دیگر نهادهایی که در این دوره قدرت یافت سازمان برنامه وبودجه بود که مجری برنامه‌های توسعه ایران بود که بسیاری آن را ناشی از بلند پروازی‌های شاه می‌دانستند ودر طی دو دهه چهل وپنجاه به رشد سریع شاخص‌های توسعه اقتصادی و اجتماعی در ایران منتهی شد. در این دوره از حکومت شاه نوسازی عمده نهادهای فرهنگی واجتماعی ودستگاه اداری با سرعت دنبال می‌شد که پس از برنامه تبلیغاتی وفرهنگی دولت در سال۱۳۵۰در قالب بزرگداشت دو هزار وپانصدمین سال شاهنشاهی ایران به وجهه‌ای بین‌المللی برای حکومت شاه انجامید. در جریان این برنامه گسترده تبلیغاتی شاه هدف دستیابی به تمدن بزرگ را مطرح کرد که از سوی مخالفان داخلی ومنتقدان خارجی به عنوان بلند پروازی وتجمل افسار گسیخته توصیف شد. در دوره سوم، شاه برای ایجاد

سازمان کشورهای صادر کننده نفت (اوپک) تلاش کرد وموقعیت منطقه‌ای ایران از نظر سیاسی ونظامی اهمیت بیشتری یافت. نظر شاه در این زمان این بود که برای پیشرفت سریع‌تر کشور باید از هرگونه اختلاف سیاسی پرهیز کرد وبه همین دلیل حزب واحدی به نام حزب رستاخیز را در سال ۱۳۵۲ تاسیس کرد که عملا یک حزب دولتی بود و نوعی اجبار به حضور در آن وجود داشت. شاه امیدوار بود از طریق این حزب بتواند نیروهای نوسازی را سازمان دهد؛ نیروهایی که معتقد بود خود آنان را نمایندگی می‌کند. برخی از برنامه‌های سیاسی وفرهنگی نظیر شرکت دادن زنان در انتخابات وآنچه آزاد سازی زنان توصیف می‌شد از سوی نیروهای مذهبی از جمله آیت‌الله خمینی در ادامه برنامه کشف حجاب رضا شاه دانسته ومحکوم می‌شد. همچنین منتقدان نظر مثبتی به تلاش شاه برای نوسازی و تجهیز ارتش با سلاح‌های جدید نداشتند و از این تلاش‌ها به عنوان هزینه‌های غیر ضروری و وابسته کردن ایران به آمریکا یاد می‌کردند. نیروهای چپگرا او را با تعبیر ژاندارم منطقه در چارچوب سیاست جنگ سرد علیه شوروی مورد حمله قرار می‌دادند. محمدرضا پهلوی پس از ترک ایران در ۲۶ دی ماه ۱۳۵۷ به مصر رفت. او در فاصله ۲۹ مهر ماه ۱۳۵۸ تا ۲۳ آذر ماه همان سال به آمریکا رفت، اما به دلیل اینکه دولت آمریکا از دادن اقامت به او پرهیز کرد به پاناما وسرانجام به مصر رفت. او در پنجم مرداد ۱۳۵۹ در مصر درگذشت ودر وصیتی که فرح پهلوی آن را خواند، آخرین اراده خود را تمایلش به رسیدن فرزند بزرگش به پادشاهی ایران دانست. محمد رضا پهلوی در ۴ آبان ۱۲۹۸ در تهران به دنیا آمد ودر هنگام تولد پدر او رضا خان میرپنج سوادکوهی نامیده می‌شد.

دوران مدرسه را در یک دوره اختصاص مدرسه نظام گذراند ودر ۱۲ سالگی برای ادامه تحصیل به سوییس اعزام شد. در ۱۷ سالگی به ایران بازگشت وبه دانشگاه افسری رفت. محمدرضا پهلوی زندگی خانوادگی پرتلاطمی داشت. سه بار ازدواج کرد. در سال ۱۳۱۸ با فوزیه خواهر ملک فاروق پادشاه مصر ازدواج کرد و ۶ سال بعد از او جدا شد. سه سال بعد با ثریا اسفندیاری ازدواج کرد که دختر یکی از خوانین بختیاری بود واین ازدواج پس از ۷ سال با این توضیح رسمی که همسر شاه باردار نمی‌شود از یکدیگر جدا شدند. شاه در سال ۱۳۳۷ با فرح دیبا ازدواج وتا پایان عمر با او زندگی کرد. فرح پهلوی به عنوان ملکه ایران در زندگی سیاسی شاه حضور داشت وطراح بسیاری از برنامه‌های فرهنگی در دوره سوم حکومت شاه بود؛ برنامه‌هایی که عمدتا در جهت حفظ ومعرفی هنر وفرهنگ ایرانی وگسترش فرهنگ وهنر مدرن بود. یکی از مهم‌ترین این برنامه‌ها مجموعه جشن هنر شیراز بود که با حضور هنرمندان سرشناس جهانی برگزار می‌شد. این برنامه‌ها حملات شدید روحانیون و مخالفان شاه را به همراه داشت. شاه که به عنوان یک پادشاه شیعه در سال ۱۳۴۶ تاجگذاری کرد، به طور رسمی پایبندی خود به اسلام را ابراز می‌کرد و در خاطرات خود برخی از رخدادها نظیر نجاتش از برخی حوادث را ناشی از توجه امامان شیعه به خود می‌دانست. او روش برخورد شدید پدرش با روحانیون را دنبال نکرد و تا پیش از آیت‌الله خمینی با مراجع شیعیان در ایران مانند آیت‌الله بروجردی روابط مسالمت آمیزی داشت .

جمهوری اسلامی

آیت الله خمینی :

روح الله موسوی خمینی(۱۲۸۱– ۱۳۶۸) از مراجع شیعیان ایران بود که در ادبیات رسمی جمهوری اسلامی ایران وبر اساس نخستین قانون اساسی جمهوری اسلامی به نام بنیانگذار این حکومت شناخته می‌شود. با افزایش مخالفت گروه‌های مختلف مردم با محمد رضا شاه پهلوی وحکومت سلطنتی در سال ۱۳۵۷به تدریج در ایران به عنوان رهبر انقلاب واز زمان بازگشت از تبعید ۱۴ ساله در خارج از کشور در۱۲ بهمن ۱۳۵۷به طور رسمی به عنوان رهبر انقلاب در سطح بین‌المللی شناخته شد. پیش از این وبه طور عمده از دهه پنجاه، مقلدین وپیروان آیت‌الله خمینی از او به عنوان امام خمینی نام بردند که با اوج گیری انقلاب به لقب مرسوم او تبدیل شد. آیت‌الله خمینی در دهه ۵۰ خورشیدی ودر زمان تبعید در شهر نجف در عراق طی چند سخنرانی اندیشه حکومت اسلامی وحکومت ولایت فقیه را مطرح کرد. این سخنرانی‌ها پس از مدتی در کتابی به نام "حکومت اسلامی" منتشر شد. این کتاب بنا بر نظر رسمی در جمهوری اسلامی وبنا بر نظر برخی از ناظران، زیر بنای فکری آنچه بعدا انقلاب اسلامی نامیده شد واساس نظری جمهوری اسلامی دانسته می‌شود. کتاب وهمچنین سخنرانی‌های او در دهه پنجاه به طور مخفیانه از عراق به ایران می‌رسید وتوسط شبکه‌ای از روحانیون پیرو او به صورت اعلامیه‌های پنهانی ونوارهای صوتی در سطح کشور پخش می‌شد. از سال ۱۳۵۶ ودر پی مجموعه‌ای از اعتراضات که توسط روحانیون هوادار او در قالب برگزاری مراسم چهلم در مساجد در

شهرهای بزرگ ایران برگزار می‌شد به تدریج آیت‌الله خمینی به مهم‌ترین چهره مخالف حکومت شاه در ایران مبدل شد. آیت‌الله خمینی در میان هوادارانش بسیار محبوب بود وصاحب نظران به صراحت از نوعی کاریزمای معنوی سخن می‌گفتند که به او موقعیتی ویژه داده بود؛ چنانکه میشل فوکو فیلسوف منتقد فرانسوی او را به عنوان رهبر "انقلاب به نام خدا" توصیف کرد. روحیه زاهدانه او که نتیجه سال‌ها تدریس عرفان واخلاق وپرهیز مرسوم در میان روحانیون فرهیخته سنتی بود به اعتبار او در میان طرفداران انقلاب می‌افزود. رفتار سیاسی او با قاطعیت وصراحت شناخته وتوصیف می‌شد. برخی ناظران رسیدن او به موقعیت رهبری انقلاب را نتیجه موقع شناسی وسرعت عمل سیاسی او در شرایط بحرانی می دانند که برای او چهره یک رهبری قدرتمند را فراهم کرده بود؛ هرچند گروهی هم خشونت وبی‌اعتنایی عاطفی او را مورد انتقاد قرار می‌دادند. پس از پیروزی انقلاب آیت‌الله خمینی در ۲۴ بهمن۱۳۵۷ دستور تشکیل دادگاه‌ها انقلاب را صادر کرد که با حکم آن گروهی از مقامات وابسته به حکومت پهلوی به سرعت اعدام شدند. آیت‌الله خمینی در میان هوادارانش بسیار محبوب بود وصاحب نظران به صراحت از نوعی کاریزمای معنوی سخن می‌گفتند که به او موقعیتی ویژه داده بود؛ چنانکه میشل فوکو فیلسوف منتقد فرانسوی او را به عنوان رهبر "انقلاب به نام خدا" توصیف کرد در فروردین ماه ۱۳۵۸به هنگام برگزاری رفراندوم عمومی برای تعیین نوع حکومت در ایران آیت‌الله خمینی دو گزینه عمده مطرح دیگر یعنی جمهوری دموکراتیک و جمهوری دموکراتیک اسلامی را رد کرد وتنها جمهوری اسلامی را به شکل پاسخ آری یا نه به رای عمومی نهاد. آیت‌الله خمینی با تکیه بر نفوذی که در میان مقلدان وپیروان خود وبه

ویژه نوجوانان وجوانان ایرانی داشت، در فاصله سال‌های۱۳۵۸ تا ۱۳۶۰ ازحذف بیشتر مخالفان جمهوری اسلامی که بخشی از آنان از مخالفان حکومت شاه بودند در فرایند منازعات سیاسی در ایران حمایت کرد. روح‌الله خمینی در همین دوران چنانکه آیت‌الله صادق خلخالی گفت از اقدامات دادگاه‌های انقلاب در صدور احکام سنگین واز جمله اعدام گروه‌هایی از مخالفان که محارب با خدا ومفسد فی‌الارض نامیده می‌شدند، پشتیبانی کرد. اوهمچنین با حمایت از گروگان گیری دیپلمات‌های آمریکایی شاغل در سفارت آمریکا توسط دانشجویان موسوم به پیروان خط امام در سال۱۳۵۹ از اقدام آمریکا در قطع روابط دیپلماتیک با ایران استقبال کرد. در آن زمان او محمد مصدق را مرتد خواند وبه دوره مشارکت نسبی جناح‌های موسوم به ملی ومذهبی در حکومت پس از انقلاب پایان داد. این مواضع آیت‌الله خمینی به استعفای مهدی بازرگان انجامید که نخستین نخست وزیر پس از انقلاب بود ووظیفه انتقال حکومت به جمهوری اسلامی در قالب دولت موقت را بر عهده داشت. در فاصله سال‌های ۱۳۶۰تا ۱۳۶۸آیت‌الله خمینی به طور رسمی فرماندهی نیروهای ایرانی در جنگ باعراق را برعهده گرفت واندیشه صدور انقلاب وتصرف بیت‌المقدس ونابودی اسراییل را در شمار اهداف رسمی جنگ قرار داد اما با ناکام ماندن نفوذ نیروهای ایرانی به خاک عراق وپذیرش قطعنامه آتش بس مصوب شورای امنیت سازمان ملل متحد(قطعنامه ۵۹۸) توقف جنگ را پذیرفت. پذیرش پایان جنگ از سوی آیت‌الله خمینی از سوی او با تعبیر "نوشیدن جام زهر" یاد شد. به گمان برخی از ناظران شدت گرفتن بیماری آیت‌الله خمینی که از سرطان معده رنج می‌برد در اقدام او در پذیرش آتش بس موثر بود.این بیماری در۱۴خرداد ماه ۱۳۶۸به مرگ او منجر شد.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية

١- أحمد الخولي(دكتور): الدولة الصفوية: تاريخها السياسي والاجتماعي، علاقتها بالعثمانيين، القاهرة ١٩٨١م

٢- اسيمه چانو: التاج الإيرانى، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٧م

٣-آمال السبكى(دكتور): تاريخ ايران السياسى بين ثورتين، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد٢٥٠، الكويت، أكتوبر ١٩٩٩م

٤- بديع جمعة(دكتور)، د.أحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي ، القاهرة ١٩٧٦م

٥- تقى نجارى راد: السافاك، منظمة السافاك ودورها في تطور الأوضاع الداخلية لإيران في عهد الشاه، ترجمة: محمود سلامة علاوى، مراجعة وتقديم: محمد السعيد جمال الدين، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م

٦- حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٩م

٧- حسن كريم الجاف(دكتور): موسوعة تاريخ إيران السياسي، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان ٢٠٠٨م

٨- دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة ١٤٠٥/١٩٨٥م

٩- طلال مجذوب: ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٨٠م

١٠- عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة ١٩٩٠م

١١- عبد السلام عبد العزيز فهمى(دكتور) : تاريخ ايران السياسى في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي، الجيزة ١٩٧٣م

ـــــــــ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م

١٢- عفاف سيد صبرة (دكتور): التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨٧م

١٣- فريدون هويدا: سقوط الشاه، ترجمة وتعليق د. أحمد عبد القادر الشاذلى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٣م

١٤- فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور): المغول في التاريخ، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠م

١٥- علي محمد محمد الصَّلاَّبي(دكتور): دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ط١- القاهرة٢٠٠٦م

ـــــــــ دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ٢٠٠٩م

١٦- محمد سهيل طقوش(دكتور): تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، لبنان ٢٠١٦م

١٧- محمد عبد العظيم يوسف(دكتور): السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١م

١٧- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، دار النفائس، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ثانيًا : المصادروالمراجع الفارسية

١- ابو الحسن گلستانه: مجمل التواريخ پس از نادر، بسعى واهتمام مدرس رضوى، چابخانه شركت طبع كتاب، تهران ١٣٢٠هـ.ش

٢- پاول هرن: تاريخ مختصر إيران، ترجمة د. رضا زاده شفق، مطبعه مجلس، تهران ١٣١٤هـ.ش

٣- حسن بيرنيا وعباس إقبال: دورهٔ إيران از آغاز تا انقراض قاجاريه، تهران ١٣٢٦ش

٤- حسين فردوست: ظهور وسقوط سلطنت پهلوى، جلد اول، چاپ نهم، انتشارات اطلاعات، ١٣٧٨هـ.ش

٥- ذبيح الله قديمى: تاريخ ٢٥ساله ارتش شاهنشاهى ايران، تهران ١٣٢٦ش

٦- رابرت گرانت واتسن: تاريخ إيران از ابتداى قرن نوزدهم تا سال ١٨٥٨م، ترجمةع . وحيد مازندرانى، چاپ سوم، تهران ١٣٥٤هـ.ش.

٧-رضا شعبانى(دكتر): مختصر تاريخ إيران، جلد اول، تهران ١٣٧٨هـ.ش

٨- سيد جلال الدين مدنى: تاريخ سياسى معاصر ايران، دو جلد، تهران ١٣٨٧هـ.ش

٩- شمس الدين لنگرودى: تاريخ تحليلى شعر نو، جلد اول، چاپ دوم، ويرايش دوم، چاپ سعدى، نشر مركز، تهران ١٣٧٧هـ.ش

١٠- عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د.عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠م

١١- عبد الرحيم ذاكر حسين: ادبيات سياسى إيران در عصر مشروطيت، چهار جلد، چاپ اول، چاپخانۀ مهارت، نشر علم، تهران ١٣٧٧ هـ.ش

١٢- عبد الرزاق بيك دنبلى: تجربة الأحرار وتسلية الأبرار: دو بخش، بتصحيح حسن قاضى طباطبائى، انتشارات مؤسسهٔ تاريخ وفرهنگ إيران، تبريز ١٣٤٩-١٣٥٠هـ.ش

١٣- عبد الرضا هوشنگ مهدوى، تاريخ روابط خارجى إيران از ابتداى دوران صفويه تا پايان جنگ دوم جهانى (١٥٠٠- ١٩٤٥)، مؤسسه انتشارات امير كبير، چاپ ششم، تهران ١٣٧٧هـ.ش

١٤- عبد الله رازى همدان: تاريخ إيران از ازمنه باستانى تا سال ١٣١٦هـ.ش ، چاپخانه اقبال، تهران ١٣١٧هـ.ش

١٥-غلا مرضا نجاتى: تاريخ سياسى بيست وپنج ساله ى ايران، جلد اول، چاپ چهارم، چاپخانهٔآرمان، تهران ١٣٧٣هـ.ش.

١٦- محمد رضا پهلوى. الثورة البيضاء. ترجمة/ صادق نشأت. الطبعة الأولى. المكتبة الإمبراطورية البهلوية ١٩٦٨م

١٧- محمد صادق موسوى نامى: تاريخ گيتى گشا، با تصحيح ومقدمه سعيد نفيسى، تهران١٣١٧هـ.ش

١٨- محمد على سفرى: گذرى بر تاريخ معاصر ايران، قلم وسياست، جلد ٢، چاپ اول، چاپ خورشيد، نشر نامك، تهران ١٣٧٣هـ.ش.

١٩- مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى إيران، جلد هشتم، بخش دوم، چاپ اول، إيران ١٣٧٤هـ.ش

٢٠- منوچهر ثقفى: پديده هاى انقلاب، چاپ نقش جهان، انتشارات دانشگاه ملى ايران، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى

٢١- ن. وبيگولوسكايا وآخرون: تاريخ إيران از دوران باستان تا پايان سده هيجدهم ميلادى، ترجمة كريم كشاورز، چاپ چهارم، انتشارات بيام، تهران زمستان ١٣٥٤هـ.ش

٢٢- نصر الله شيفته: زندگينامه ومبارزات سياسى دكتر محمد مصدق، چاپ دوم، چاپ آرين، نشر كومش، تهران ١٣٧٦هـ.ش

٢٣-هادى هدايتى(دكتر): تاريخ زنديه، جلد اول، دانشگاه تهران، تهران ١٣٣٤هـ.ش

٢٤- يرواند آبراهاميان: ايران بين دو انقلاب، ترجمه احمد گل محمدى، محمد ابراهيم فتاحى، چاپ چهارم، چاپ غزال، نشرنى، تهران١٣٧٨هـ.ش

ثالثًا: الرسائل العلمية

١- حاتم محمد رشاد: درة نادره، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٨٩م

٢- رضا عبد الفتاح عبد العزيز: النزعة المذهبية في الشعر الإيراني في عهد محمد رضا شاه، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية ٢٠٠١م

٣- عبد الحميد الأرقط: أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول، ماجستير غير منشورة، جامعة حمة لخضر-الوادي-الجزائر٢٠١٥م

٤- نبيلة محمود: السياسية الأمريكية تجاه إيران، ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠١٢م

٥- هويدا عزت محمد: تاريخ الحكم النيابى لإيران، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٦م

رابعًا المراجع الإنجليزية

1- Peter Avery. Modern Iran. Ernest Benn Limited. London. 1967.

2- Mohamed Heikal. Iran: The Untold story. Panthon Books. New York. 1981.

خامسًا: شبكة المعلومات الدولية

-https://ahmedalalaq.ahlamontada.com/t3-topic

-https://archive.islamonline.net/?p/10103

-https://archive.islamonline.net/?p/11160

-https://archive.islamonline.net/?p/9872

-https://www.bbc.com/persian/iran-47097095

-https://www.islamist-movements.com/10039

-https://demo.islamstory.com/

-https://islamstory.com/ar/artical/3407862/

-https://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no/6445

-http://www.meisami.com/no-25/93-103.htm.

-http://www.javaan.net/hisrory/Matarikhi/28mordad 32.pdf-

-https://islamstory.com/ar/artical/340779

-https://www.marefa.org/

-https://tipyan.com/renaissance-of-the-great-seljuk-state

-https://toosfoundation.com/fa/author/admin/page/2/

-http://intjz.net/maqalat/sh-esmailiyan.htm

-http://lib.eshia.ir/23022/2/589